

الهيئة العامة  
لدار الكتب والوثائق القومية  
مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

من تراث عبدالله النديم « ٣ »

# كان ديون

تقديم

د. عبدالعظيم رمضان

دراسة تحليلية

د. عبدالمنعم إبراهيم الجميحي

طبع بمطبعة دار الكتب  
القاهرة ١٩٩٥

# كأن يكون

لمؤلفه الفاضل

السيد عبدالله افندي النديم الشريف

الادريسي الشافعي

الاسكندري

هذا الكتاب احد الكتب العشرين التي ألفها وحررها حضرة شقيقي الفاضل السيد النديم ايام اخفائه ويده الآن ستة كتب تحت الاتمام اعانه الله تعالى على هذه الخدمة العامة فانه حفظه الله تعالى لم يضع وقتاً من سني الاختفاء بلا اشتغال مع احاطة فكره اذ ذاك بالمكدرات والمزعجات اذ كانت ثقته بالله تعالى اكبر من خطوبه واسله في النجاة دافعاً لاهام العطب . وسنطبع منها في الجريدة ما يناسب مشربها ان شاء الله تعالى وابتدأنا بكان ويكون لكونه تاريخاً ادبياً عاماً وهو جزآن ضخمان ينشر على التوالي خدمة لأولي الالباب

عبد الفتاح  
النديم

طبع بمطبعة (الهروسة) بمصر سنة ١٨٩٢

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أُسْمِلُ وَالْمَسْمِيُّ نَاءٌ عَنِ الْآنَاءِ . وَأُحْمَدِلُ وَالْحَمْدُ لَهُ أَلَى مَنْ  
الْآلَاءِ . فَهُوَ الْإِبْدِيُّ ذَارِيُّ الْآبَادِ . اسْتَأْخُدُ بِالْبَرِّ فَايْرُزُ الْآحَادِ . وَشَاءَ  
الْمَكُونَاتِ فَاَنْطَوَى السَّبْقُ فِي الْأَشَاوَى . وَتَنْزَهُ عَنِ الْإِمْدِ فَمَدْمَغَتْ أَوْلِيَّتَهُ  
الدَّعَاوَى . أَوْجِدُ مَلِكُهُ يَدْعَاً جَهْلَ كُلِّ بَدِيعٍ لِإِسَاسِهِ . وَسَاسَهُ بِمَا بَادَتْ  
فِي دَرَكِ كَنْهِهِ السَّاسَةُ . بِيَدِي وَيُعْبَدُ بِلَا تَبَادُلِ . وَيَبْدِي وَيَبْنِي عَلَيَّ  
تَعَادُلِ . غَابَ عَنِ انْسَانٍ وَظَهَرَ بِالْانْسَانِ . وَادْبِي بِأِحْسَانٍ وَأَعْلَى  
بِالْإِحْسَانِ . وَحَثَّ وَأَمَرَ . وَنَهَى وَزَجَرَ . ثُمَّ حَرَّرَ الْعَمَلَ . وَأَطْلَقَ الْإِمْلَ .  
لِيَعْمَلَ كُلُّ عَلَى شَاكِلَتِهِ . وَيَفْرَمَنْ شَبَاكَ غَائِلَتِهِ . فَخَلْفَاءُ الْإِوَامِرِ مَجَازُونَ .  
وَأَلْفَاءُ الزَّوَاجِرِ مَجَازُونَ . وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ . مِنْهُ بِدُؤُكُمْ وَالْبَيْهِ  
تَرْجَعُونَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مَرْكَباً مَعْرُوضاً لِلْفَسَادِ . وَاسْكَنَهُ أَرْضاً رَوَاجَ  
أَسْوَاقِهَا كِسَادِ . وَبَثَّ فِيهِ أَرْوَاحاً تَبْعَتْ قَوَاهِ وَأَفْعَالَهُ . وَهَيَّأَهُ لِلْكَالِ بِقُوَّةِ  
دِرَاكَةِ فَعَالِهِ . ثُمَّ اخْتَارَ لَهُ مِنْ رِجَالِ الْعِزَائِمِ . لِيُدْلَهُ عَلَيْهِ بِالْمُنْيَلِ الْمَلَائِمِ .  
وَإِوْحَى وَكَلَّمَ . وَارْشَدَ وَعَلَّمَ . وَقَالَ إِنَّا الْأَوَّلُ فَادْعُوا إِلَيَّ وَإِنَّا الْآخِرُ فَدُلُّوا  
عَلَيَّ . وَكُونُوا بَطُونِي مَبْشُرِينَ . وَمَنْ بَطَشْتِي مَحْذَرِينَ . وَاعْمَلُوا فِي هَذِهِ  
الدَّارِ لَتَلِكِ الدَّارِ . وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَيَمْسَكُمُ النَّارُ . فَشَدُّوا  
فِي الْإِنْقِيَادِ مَعْقِدِ الْإِزَارِ . وَاسْمَعُوا النَّهْيَ وَبَلَّغُوا الْإِمْرَارَ . وَوَقَفُوا بَيْنَ  
الْحَدِيدِ وَقَفَّةِ الْمُوثِقِ بِالْحَبَالِ . وَتَحْمَلُوا مِنَ الْأَعْبَاءِ مَا يَنْوِي بِشَمِّ الْجِبَالِ .  
وَنَادُوا بِالْإِخَاءِ وَالنَّسَاوِي . وَالْكَفِّ عَنِ الْمَظَالِمِ وَالْمَسَاوِي . وَالِدُورِ مَعَ الْحَقِّ

حيثما دار . والسير مع الصدق أنى سار . وتوحيد كلمة الاجتماع .  
 وتبديد بوادر الابتداع . فرحين بمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره .  
 مشفقين من ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . وعلى هذا دارت ادوارهم  
 الدغائية . وانقضت انتخاباتهم الاصطفائية . اذ بدأ مظهرهم الفيضي بآدم  
 الاولية . وأتبعه بكل طاهر مصفى من شوائب الحيوانية . وختم رحيق  
 تاريخهم السلسل . بناتم عقد نظامهم الامثل . سيدنا ومولانا محمد . الذي  
 لم تشب حرينه بذلة العبدان . أحد الأحمدين المنقى من ولد عدنان .  
 فعلى جمعهم الشريف صلاة وتسليم . والى دعواتهم الحققة انقياد وتسليم .  
 وسبحان من لا يدرك اوليته تاريخ ولا يلحق بقاءه زمان . ولا اعياء ما  
 كان ولا يعجزه الامكان . اسأله تعالى اجراء قلبي بين قصبتي الحق  
 والصدق . وحفظه من التشيع الى فئة والحط على اخرى بلا حق . والاعانة  
 على هذه الخدمة العامة . حتى تنتهي ملخصة تامة . فانه وحده الفاعل  
 المختار . وكل ما سواه آثار



## مقدمة

يقول الواضع كتابي هذا سميته (كان ويكون) وقدمته خدمة للامم الشرقية على اختلاف اديانهم واجناسهم واوطانهم - وقد ابتدأت الكتابة فيه في الساعة الثامنة من يوم الخميس ٢٨ ربيع الثاني عام ١٣٠٠ هجرية الموافق ٨ مارس عام ١٨٨٣ ميلادية في قاعة ظلاء وحيداً بعيداً عن العلماء والكتبيات والجرائد مخفياً متغيباً عن الجواسيس والعيون من الباحثين علي<sup>١</sup> واذا اعان الله تعالى على اتمامه وانهاهه على ما تصوره ورتبته في مخيلتي اطلقته بين القراء في صورة فذلكة دينية ولغوية ووطنية وسياسية وجنسية وادبية وتاريخية مكلفاً بطلب الصحة والدليل ولا ادعي العصمة فيه بل اقول انه قابل للبحث مهياً للانتقاد معرض للاعتراض ولكن اذا حفظ لي القاري في نفسه اربعة حفظت له مثلها . اذا حفظ لي حق الانسانية من حيث هي في بنيتها على اختلاف الجنس والمعتقد حفظت له الفضل في ذويه وعرفته بالمهذب الكامل . واذا حفظ لي سلامة الذوق في النقد والتحقيق حفظت له حقي التصويب والنحطي . واذا حفظ لي صبره حتى يفرغ من الكتاب مطالعة حفظت له عن كل اعتراض جواباً فاني لا التزم قرن الجواب بالاعتراض في كل المواضع . واذا حفظ لي معرفة وحدتي في غربتي بل قاعتي وتشويش افكار من يكتب جاهلاً عاقبة اختفائه مكدراً بمسموعه كل وقت عرفت له فضل المدارك العالية

وصفح الاحرار عن تقصير من يكتب وهو بين محالب النوائب  
ولا يرى القاري اني شددت فيما طلبت او تحلت بما اشترطت فاني  
لم اقدم له ذلك الا لكوني لا اكتب كتابي هذا على مشربه الخاص ولا  
اضعه على مذهبه المعين ولا اولفه لطائفه المسنقة ولا اخص به جنسيته  
الجليلة ولا لاحبسه في وطنه العزيز بل لأطلقه في الشعوب والقبائل والعشائر  
والاقاليم على ما هي عليه فخذ ما نابت منه واترك ما لا يرضيك لمن  
يرضاه واقراء من باب علمك به من غير ان تكلف بالعمل  
فان سأل سائل عن سبب وضعه اجبته بانني لم اضعه امثالاً  
لامر ملك او خدمة الامير او ذي جاه او لطمع في جائزة او موافقة  
لامة دون اخرى بل عند ما خرجت متغيباً ووصلت الخنفي الاول  
تذاكرت مع الصديق الفاضل العالم العامل صاحب البيت في حوادث  
الشرق الاخيرة واهميتها بالنسبة للمؤرخين وكاشفته بما كنت  
مشتغلاً به من جمع الحوادث المهمة المختصة بالشرق والغرب ديناً وسياسةً  
وتخليدها في كتابي المسمى (مقابلة النظير) واني انهيت منه اربعة اجزاء  
ضخمة الى السلطان محمود واريد الآن ان اشغل باتمامه فقال حفظه  
الله تعالى يمنحك من الكتابة الآن ظلمة القاعة واشتغال فكرك بهذه  
المرجمات الحاصلة ولو نشطت للكتابة فانك لا تعلم ان كان كتابك فقد  
او بقي موجوداً فيكون هذا الجزء الاخير ابر ولو صفت الاوقات  
وانصرفت عنك المكدرات للزمك ان تكتب تاريخاً عاماً بصورة  
فذلكة تاريخية وما اظنك تقوى على هذا الآن فانصرفت عن الكتابة

ونظمت قصيدتي المسماة وطنية الشرق التي مطلعها وما بعده . . .  
 بكل صروف الدهر يمتحن الحرُّ      وفوق جبال العزم ينهمر الضر  
 رويدك لاحي الحر هذا طريقه      فحبه ولم ان طال في الدآب العمر  
 تنام وتصحو في غروب وبكرة      وليل شديد الباس ليس له فجر  
 يقرب فكراً فوق جمر عظامم      اذا اشتعلت نيرانها برد الجمر  
 وهي ثلاثمائة ونيف وستون بيتاً اخلصت فيها التصح للشرقين على  
 اختلاف الجنس والدين . ثم لما تحولنا من بلدته الى هذه البلدة يوم  
 الاربعاء ١٥ ربيع الاول سنة ١٣٠٠ توجه الى مصر وبعد ايام ارسل  
 لي مكتوباً بقلم وضعته لمراسلتنا حتى لا يعرف احد سرنا لو عثر على  
 شيء من كتبنا يقول لي فيه ان فلاناً سيضع كتاباً يجمع فيه حوادث  
 مصر المتوجة للقرن الثالث عشر الهجري فعلمت انه يشير بوضع ما كنت  
 مشتغلاً به بقدر امكاني الآن ورأيت ان المؤرخين من الشرقيين  
 والغربيين سيقتمدون بن تقديمهم من مدح فئة وذم أخرى مطلقين اقلامهم  
 فيما يوافق مشاربهم واغراض معاصريهم طمعاً في جائزة او ارتقاء لمنصب  
 وما اضيع الايام في مثل هذه الاعمال  
 ولئن اعتذر المؤلف للافاضل من معاصريه عما تضمنه كتابه من  
 مخالفة الواقع بعله من العلل المتقدمة فمن يعتذر عنه اذا انحرفت نفسه  
 عن هيكلها ونشرت صحفه على من يأتي بعده من رجال الفضل الباحثين  
 في سير الهالكين واخبار الماضين وقوبلت بما يدونه ارباب الافكار الحرة  
 من سرد الوقائع وبسط الحوادث على ما كانت عليه فاضلة في اهلها او

مفضولة فانه لا يخلو عصر من وجود هذا الفريق الشريف قديماً وحديثاً على ان الناظر للمسئلة الاخيرة كالناظر في عضو مبان لا يدري القارئ من اي جسم هو اذ انه مقتضب بعد ستر سماء السياسة الشرقية بسحب العمل وتجريد سيفها المتمد ثلاثة عشر قرناً ليدفع القول بقوة الفعل - هذا على فرض حرية قلمه وصدق عبارته فان جرى على قاعدة بعض المؤرخين في قولهم (وبني الامير او الملك البيوت وشيد كثيراً من القصور واقضى الوفاً من الغايات والقلمان الصباح وجمع مئيناً من المغنيات والراقصات وحاز صنوفاً من آلات الطرب واواني الشراب واسس المراقص والملاعب والملاهي وملأ الخزان بنفيس الجواهر والمعادن والبسط المزركشة والطنافس المذهبة واعطى فلانة المغنية مائة الف دينار وفلاناً المضحك خمسين الفاً وفلاناً الشاعر الف الف درهم واقطع الامير فلاناً اقليم كذا والسيد فلاناً مدينة كذا وقتل الوفاً من يعارضونه في اوامره واعماله ومن اشاروا عليه بتخفيف مصروف الملاهي وتقوية الحصون وتكثير الجنود) ثم خلط هذه التقائص بقوله (وخاطب دولة كذا طلباً للاصلاح وسعيّاً خلف العمران واحكاماً للسياسة وتوسيعاً للتجارة) جاء الكتاب امشاجاً لا حد لموضوعه الا هذه مدائح فلان ولا ثمرة له الا مخالفته للواقع ونفس الامر هذا اذا كانت عبارته عامة في موضوعها فان خصصها بامة او قيدها بدين تكلف انتقاص الغير وعد فضيلته رذيلة واوما الى فضيلة من يعينهم ان لم يتمكن من التصريح وتراضى عن مصالح الشرقيين من حيث هي في مواطنهم مع اختلاف الجنس والدين الداعية لوحدية الاجتماع



القاضية بدفع النفرة وصرف الاحناد من القلوب . وما اثبت النفرة بينهم بالعوارض الدينية والسياسية الا مثل هذه الكتب ورسائل الاضلاع التي اوغرت الصدور ومكنت العداوة بين قوم تدعوهم ضرورة الاستيطان الى السكنى في بيت واحد . فما قدمته من العمال كان الباعث على وضع كتابي هذا داخلاً فيه بالمقابلة بين الدورتين الشرقية والغربية على اصول المسئلتين بعبارة لا يمل القارئ تلاوتها ولا تقصر في اداء المقصود ولا تعرض لذم او مدح او تقييح او تحسين . وكنت اود ان لو ساعدتني المقادير على وجود ما جمعته في السنين الخالية من منتخبات التواريخ العربية والتراجم التي قضدت فيها كثيراً من افاضل الوطنيين وما ضبطته من الوقائع المصرية والعثمانية والافرنجية الصادرة في عصرنا بالنص المحرر فيها والوقت الحاصلة فيه ولكن ابي سوء الحظ الاضباع اتعاب تسعة عشر عاماً مع ما ضاع من والذي حال مهاجرته من اسكندرية الى مصر في ٢٧ شبان سنة ١٢٩٩ اذ جمع مختارات كتابي ووضعها في ثلاثة صناديق كبار واخذها معه يوم خروجه على غير علم مني ففقدت منه في كفر الزيات بطريقة مذكورة في كتاب الاختفاء . وعند ما خرجت من مصر استصعبت معي مذكرتين صغيرتين كنت اقبذ فيهما زوائد وشوارد مؤملاً وصولي الى مكان امن فيه اتم الكتاب وهما وان كنا لا نقومان بكل المقصود الا انها تساعدان على التذكار والتخيل . وساجتهد في صرف الشواغل بقدر ما يمكن والتخيل محفوظاً او مشاهداً واضعه مع ما في المذكرتين في قالب يمكن الحاضر من تطبيقه على منظوره ومسموعه

ويصور الآتي صور المواضيع على اشكالها التي لم يرها  
 فليستقبل القارىء ما اكتبه على انه شوارد افكار وتمة اعمال وارشاد  
 الى اجتماع شرقي ومقابلة غربية علماً وادباً لا خشونة وتظاهراً . وليعلم اني  
 لا ارتب كتابي على ابواب وفصول بل اعنون المواضيع بعناوين تناسبها  
 وامزجها بطواريء التي تعذبني ترويحاً لنفوس القراء وتسليمة لذوي الافكار  
 واذا جاريت طائفة في سرد عبارة دينية او شرح مقصد سياسي فاني اسرد  
 ذلك باعتياد ما هو عليه عند اهله لا مقبلاً دينياً ولا مزدرياً بمشرب  
 ولا مستخفناً بامة ولا منتقصاً لجنس فاذا عثر القارىء على اعتراض يخصه  
 عند ما اتكلم على الاجناس والسياسات رجوته ان يتبع المطالب ليرى الجواب  
 عنه ان لم يجده ملتصقاً به فان هذه الطريقة اشوق لقراءة الكتاب  
 وادعى لتتبع الباحث

فان تعلقت آمال القارىء بالسؤال عن المؤلف جنساً ونسباً ومولداً  
 ودينياً ووطناً اجبته بانى رجل عربي الجنس حسني النسب اسكندري  
 المولد والمرتبى اسلامي الدين اشعري العقيدة شافعي المذهب خلوتي الطريقة  
 مصري الوطن تربيت على نفقة والدي حتى يفتت واخذت عن العلماء  
 الافاضل كثيراً مما به يشتغلون من السمعيات والعقليات وجالست الادباء  
 وشاركتم فيما فيه يتنافسون وخالطت الامراء وداخلت الحكام وعاشرت  
 اعيان البلاد وامتزجت برجال الصناعة والفلاحة والمهن الصغيرة وادركت  
 ما هم فيه من الجهالة وما يتألمون وماذا يرجون وحييت كثيراً من  
 متفرنجة الشريقين والممت بما انطبع في مرآة صدورهم من اشعة الغربين

وصاحبت جما من افاضل الشرقيين المتعلمين في الغرب من ثبتت اقدامهم في وطنيتهم وفطروا على حب الجنس والوطن والدين وعرفت كثيراً من الغربيين ورأيت افكارهم عالية او سافلة فيما يخص بالشرقيين والغاية المقصودة لهم من مواطنهم واستيطانها وخدمتها واخناطت باكابر التجار وسبرت ما هم عليه من السير في المعاملة والسياسة وامتزجت بلفيف من الاجناس المتباينة جنساً ووطناً وديناً واشتغلت بقراءة كتب الادب على اختلافها والحكمة والتاريخ والادب وتعلقت بمطالعة الجرائد مدة واستخدمت في الحكومة المصرية زمناً واتجرت برهة وفلحت حيناً وخدمت الافكار بالتدريس وقتاً وبالخطابة والجرائد آونة واتخذت هذه المناصب وسائل لهذا المقصد الذي وصلت اليه بعناء كساني نحول الشينوخة في زمن بضاضة الصبي وسبكني في قلب الكهولة ايام الفتاه وتوجني بتاج الحرم الابيض بدل صبغة الشباب السوداء فصورتي تريك هيئة ابناء السبعين وحقيقتي لم تشهد من الاعوام الا تسعة وثلاثين ( اي الى سنة ١٣٠٠ التي هي سنة التاليف ) مبتدأة من عشر ذي الحجة سنة ١٢٦٢ فان عرفتي بهذه الصفات عرفت اني عبدالله وفقني لهذه الخدمة ابتغاء مرضاته وان ابيت الا التصريح جاءك لقبى سيفي خلال الكتاب فانه على ما تصورته انيس للغريب وللوحيد نديم



## \* يوم الجمعة \*

\* غابة ربيع الثاني سنة ١٣٠٠ و ٩ مارس سنة ١٨٨٣ \*

بعد ان فرغت من المقدمة و اردت الاشتغال بالتاصيل في هذا اليوم  
تذكرت صاحباً لي من الغربيين له ابعادية بالقرب من بلدتنا هذه واعلم  
انه لم يهاجر الى فرنسا ايام هجرة الاوروبيين من مصر بل بقي هنا  
ليكتب الحوادث عن مشاهدة ويقين ولهذا صاحب معرفة تامة باللغتين  
العربية والتركية غير ما يعرفه من اللغات الغربية وكان قد حضر من  
باريس في شهر ذي القعدة سنة ١٢٩٨ بعد حركة عابدين الشهيرة واقام هنا  
متتبعاً الحوادث يكتبها باوقاتها منقولة عن مصادرها بمقائنها لاشتغاله بمسائل  
الشرق من امد مديد فكان تعارفنا قبل ذلك باسكندرية سنة ١٢٩٢  
هجرية حيث كان يتردد على الديار المصرية والاقطار العربية والشامية في  
كل سنة ثم يعود الى فرنسا فقلت للصديق الماجد رب الدار اريد ان  
اكتب ورقة الى الخواجه فلان وارسلها مع حضرتك لتدعوه الى زيارتنا  
لعلني اجد عنده من المواد ما يساعدني على ما شرعت فيه وبعد مراجعته  
لي المرة بعد المرة قلت له لا تخش شيئاً فاني واثق بدمته وعلو همته وقد  
استغرت الله تعالى فانشرح صدري لهذا الامر فتوجه اليه واعطه جوابي  
الذي اكتبه اليه فان سالك عن مكاني فقل له هو عندي وان رغب  
الحضور فاحضره معك من غير ان تخوف منه في شيء وبعد توقفه  
نحو ساعتين قال اكتب ما شئت فكتبت اليه هذا الكتاب واخذه وتوجه  
به وهذه صورة ما كتبت به بعد العنوان

« صديقي ولا ازيدك على المصادقة شيئاً فما بعدها الامام الابوة او  
البنوة . لي ستة اشهر لم يعلم بمكاني والدي ولا شقيقي فضلاً عن الاحباب  
والاصحاب وكم هممت بمخاطبة اناس كنت ارى منهم الحنو وشبه الاخاء .  
ايام الرخا فيضيق صدري وتجزع نفسي وتنكش اعضائي عند ما همس  
بذلك فاكف عن الكتابة بتذكري انقلاب الناس بانقلاب الاحوال  
خصوصاً وانا ارى الذين طاروا خلفنا باجنحة الاغراض الذاتية وملأوا  
البلاد مدحاً وثناءً عادوا لمكاتبة الجرائد بالذام والاهاجي شأن عبدة الاوهام  
وحكاة صدى المنادي من غير فهم معناه . ولا تذكرت وجودكم بالقرب  
مني ورأيت سهولة مخاطبتكم انشرح صدري ونشطت اعضائي فلم ادر ان  
كان ذلك لوثوق القلب بامانتكم وعلم الروح بطهارة ذمتكم وصدق حريتمكم  
ام لانقضاء زمن الاخفاء على يديكم اذ تدل عليّ او تعري من يدل  
عليّ فسارعت بكتابة هذه النيقة منتظراً تصديقك احد الخاطرين . فكن نفساً  
بجناً حافظاً للعهد في زمن الشدة كما كان كثير من شداد العزائم من السابقين  
ولا تكن جسماً صرفاً مائلاً للبدنيات التي تنزل بانسانية المرء الى حضيض  
البهيمية وبلغ قرينتك المهذبة سلام من القى نفسه بين يديك موقناً بان  
الله تعالى يلهمك الصواب ويجريك في شأني على صراط مستقيم »

الامضاء معلوم

ثم قعدت اجيل الفكر فيما فعائته والهواجس تاتيني بوساوس مزعجة  
وثقتي بالرجل تدفعها وتمازها حتى حضر رب الدار بعد ثلاث ساعات وعلى  
وجهه لوائح الكدر فتبسمت له متجلداً وسانته عن رحلته . وما رآه فيها فقال

عندما وصلت بيت الحاجة وجدت عنده بعض الاجانب وثلاثة من مشايخ البلاد اعرفهم وبعد ان سلمت وسلم الجميع علي وشربت القهوة سألني عن موجب حضوري فناولته الورقة ففتح الظرف وقرأ المظروف ثم ناوله لزوجته فقرأته واعادته اليه فمزقه ارباً ورباه في الجينة وقال لي وهو مغضب قل له انا لم اعطك هذا المبلغ لتتصرف فيه لزيد وعبيد ثم تعتذر بالضرورات فاحفظ لي حقي عندك قبل كل انسان حتى آتيك وتتحاسب ويايك ان تمد يدك لبنك او الحاجة غيري فانك ان فعلت ذلك وقعت في شرك المحاكم وحكمت عليك بما لا ترضاه - فقلت له هل من تذكرة صغيرة ابليها اليه فقال يكفيك ما سمعت ثم اخذ يتكلم مع الاجانب بلغته فظننت انه يخبرهم عنك فامتلات خوفاً عليك وصرت الومك في سري على مخالفتك لي وانتظرت قيام الناس لاخلو به فعملت من كلام داربينهم انهم مدعوون عنده للغداء ثم انه التفت الي وقال لي تفضل وقل له ما سمعت فقلت وانا ذاهل الفكر وسرت مكدرًا حتى جئتك - فقلت له يا صديقي ان الرجل صدوق حريص على الصحة وقد التزم الحدة في خطابه معك ليصرف افكار الحاضرين وهو بعبارته التي القاها عليك يشدد علي بعدم اخبار احد عن مركزي ويحذرنى من الوثوق بغيره مدة التغيب وينذرني بان الناس تغيرت احوالهم فان اخبرت صديقاً غيره بما انقلب عدواً وسلمني الى الحكومة فتحكم علي بما تراه ثم انه وعد بجيئه وان لم يعين الوقت فعبارته كلها خير ونعم ما فعل معك - ثم بقينا يومنا نتذاكر في احوالنا وما جاء به الصديق من الاخبار الطارئة . وفي الساعة الحادية عشرة جاء مامور المركز

ونزل بالمضيقة فنزل اليه صديقي ليحييه ويقضي له ما يريد من البلد وعند الغروب جاء صاحب الغريبي بجبة وقفطان وعمامة متخللاً بجرام ايض على هيئة مشايخ القبائل ودخل المضيقة فرأى المأمور فيها فتحول الى قاعة اخرى وقال لاحد الخدم ابعث لي عمك سرّاً فاني اريده لامر يخصه فجاء اليه الصديق وقابله وفرح به فرحاً شديداً وقال له حيث ان المأمور لم يرك فتنفضل امش مع خادمي هذا كانك ذاهب ثم ادخل الى صاحبك من باب الدار فانه في محل خصوصي في جانب من بيت الحریم . وبينما انا جالس واذا بهذا الوفي دخل عليّ وسلم سلام المشوق الولهان فعرفته بصوته وقمت اليه وتعانقنا عناقاً طويلاً تغلله ضحك وبكاء ثم جلسنا ودار الكلام بيننا فقص عليّ اخباراً واحوالاً لا علم لي بها فتكدرت وامتلأت غماً وهماً ثم راجعت نفسي ورجعت اليه بالكلام فاخبرته بمشروعي ورجوته ارسال بعض الكتب والمواد التاريخية . فقال لا بد ان اشاركك في هذا العمل واساعدك عليه الا انه عدل بي عن طريق التحرير المرسل الى وضع الكتاب على ما يدور بيننا من سؤال يقترحه وجواب اقدمه ونص عبارته

ارى ان الزم زيارتك كل يوم او يومين مدة اختفائك وان كان في ذلك مشقة الركوب صباحاً ومساءً وشاركك في سكنى هذه القاعة نهراً واحب ان تكف عن الكتابة المرسلة وتجعل الكتاب قاصراً على سوّالي وجوابك فاذا فرغنا من المناظرة تركتك تكتب ما يدور بيننا وثاني يوم نقرؤه قبل الخوض في غيره خشية ان يغيب عنك بعض المطالب حال الكتابة بحيث تكتب ما يدور بيننا على انه من متناظرين لا رابطة

بينها الا الصورة الانسانية فتعطي كل مقام ما يناسبه ولو ادى لانتقاص احدنا او كلينا . ولنعنون اوربا بالغرب موافقة للشرقيين في تعبيرهم عن جنوب اوربا واواسطها وشمالها بالغرب مقابلة للشرق وعنوني بغربي وعنون نفسك بشرقي وسم الدين المسيحي بالمسئلة الغربية ولدين الاسلامي بالمسئلة الشرقية مجازاة للسياسيين في تعبيرهم . ثم ليكن سيزنا باعتبار تاصيل العصبيات وواضعي الدينين لندخل على المقصود من بابه واذا فرغنا من تحقيق مبادئ المسائلين والعوارض التي اعترضتها والوقائع التي تتحالت مدتها تركتك تسرد تاريخ مصر سردا مرسلا فاذا عن لي امر اثناء سردك سالتك عنه . ولا تصرح باسمي الا في آخر الكتاب . واذا سالتك عن امر في جانب الشرق دينيا كان او سياسيا او قبائليا فاترك الميل الجنسي والحب الوطني واجبني بحقائق لا تنكر عليك فان رجعت الي السؤال اجبتك عن الغرب بحقائق لا تنكر علي . واذا طرأ علينا بحث في اثناء مطالب وسالتك عنه فلا تتأخر عن الجواب فان المناظرة تقضي باعتراض شواذ يخطر بها المطالب وشذور يستدعيها المقام . والتزم التصريح واترك التلويح في كل ما تقدمه جوابا او سؤالا . واذا عز عليك مطالب فاجبني بقدر تصورك فيه ولا تنكر سؤالي ابتر فعذر واضح واختفاؤك معلوم . واذا يسر الله العسير وزالت دواعي الاختفاء راجعت افكارنا على منقول او مسموع فما مذكرك الا دفتر جيب لا يقومان بهذا المقصد الكبير . وارى ان مذاكرتي معك تكون كعادة تاخذ منها فتضطرك الى قدح افكارك ومراجعة معلوماتك في مطالب ربما اذهاك عنها تشويش افكارك بالنظر في



شانك وعاقبة امرك وتجلد لهذه الشدة فما هي الايام محنة  
وتنقضي . وقد ملئت سروراً بوجودي مع رجل لم تثنه الشدائد وشدّة  
البحث عليه عن الخدمة الانسانية . واذا علمنا ان مناظرنا سنقع في  
ايدي المسلم والمسيحي والموسوي والبرهمي والمجوسي والبوذي والوثني وغيرهم  
كان علينا ان ندونها بطريق العموميات من حيث هي في اهلها وما  
علينا من الخصائص والغائبا فان الكتب العامة ليست مما يراعى فيه  
حال الحاضر او يحاكي فيه المعاصر . واذا شاركنا القاري في الرجوع الى  
الحقائق وتغاضى عن ما لوفاته العارضة وتعصبه واعترف بالمنفعة النوعية  
الانسانية تمتع معنا بسيرة طيبة ومشرب خال عن الاميال ولا يضربنا  
بعد ذلك اذا جرت ذئاب المتعصبين على اذنانها او اكلت اباعر  
المتباغضين باقتابها

فقلت شمس جففت البائة ودواء ازال العلة ثم تعاهدنا على ذلك  
وعدنا للحدث وتذكّار ما كان وما سيكون حتى وافانا المساء فودّعتني  
وانصرف الى ابعادته بسلام . وارى القارىء سيعجب غاية العجب عندما  
يعلم انني الرجل الذي عينت له الحكومة كثيراً من الجواسيس  
والعيون في عامة البلاد المصرية من أسوان الى الاسكندرية الى  
السويس الى دمياط الى العريش وارسلت مخصوصين للبحث عليه في  
الشام وكتبت لبعض الناس في ايطاليا ليهبث عنه هناك واعلنت في  
جريدتها الرسمية (الوقائع) انها تعطي الف جنيه لمن عثر او دل عليه  
ترغيباً في شدة البحث فصيرت لها فوق قوة البوليس قوة عامة لكثرة

الجهلة الذين تطعمهم هذه المنشورات وكتبت لجميع المدن والقرى والعزوبات ( العزب ) منشورين احدهما من سلطان باشا والثاني من دولتايو رياض باشا تهديد من يخفيني او يؤويني او ينقلني من جهة الى اخرى او يساعدي على التنقل والارتحال وتحتم اعدام من يفعل ذلك . ومع هذا الطلب والتشديد اكتب لرجل يفايرني جنساً ووطناً وديناً واعرفه بنفسي . ومكاني واستدعيه للحضور عندي مع ان معي في البيت نحو اربعين نفساً لا يعلم واحد منهم من انا بل غاية علمهم اني رجل شريف من جروان اسمي الشيخ يوسف المدني وقد حضرت عند صاحب البيت لاعلمه بعض العلوم الشرعية ولا اخرج من القاعة لكوني صوفياً احب الخاوة واكره الاجتماع بالناس . ثم لا اراه الا متعجباً كذلك من ورود خاطر التاليف عليّ واشتغالي به في مثل هذه الحالة . فمن الاول اجيبه بان الذم لا تضيع بالعوارض ولهم تحميا في الشدائد وقد عرفت من صاحبي الغربي ذمة لا تقبل الضياع ولا تذهبها الدينيات وهمة لا تميل الى التسفل ولا تموت بالشدائد والمكاره فدعوته من غير روية واجابني بلا توقف ولا ارتياب بان راى القارى في اصدقائه ما رايتني في صديقي وعلم ان نفسه تقتحم مثل هذه العقبة بقوة جاش كما اقتحمتها غير مبال بما بعدها لم يجد للعجب محلاً . وعن الثاني اجيبه بان الانسان عبارة عن سطر يكتب في صفحات الزمان فان كتب بالماء اللهبى زال وان كتب بمداد مديرخالد . والاول نزل انقضى عمره في المذايد والبيهيمات بلا اثر يومئذ عنه فاذا هلك نسى هيكله وعدم ذكره كأن

لم يكن شيئاً موجوداً ولا مذكوراً . والثاني من يتعلق بالمنفعة العامة  
الانسانية فلا تفارق نفسه هيكله لحتى يترك لها في مظهر الهياكل اثرآ  
بافياً . وقد قال بعض الحكماء من لم يخلف لم يذكر فحمل معظم الناس  
الخلف على سلالة الاصلاب خطأ فان واضع الحكمة لم يقصد الا  
الآثار الباقية لا الوالدان الفانية فقد سبقنا من الناس من مات عن  
عشرات من الولدان وتماقبت ذريته اجيالآ ثم ذهبوا من حيث ذهب  
ولا علم لمن جاء بعدهم بهم كما تقدمنا من لم يقترن بانثى مدة حياته  
وترك كتابآ ولو في فن غير معتنى به فبقي ببقاء الدهور يذكر بين يدي  
الملوك والامراء والعلماء والاعيان والرعايع والابواش والكل يجمله ويعظمه  
ولا يذكره الا بالترحم عليه والترضي عنه . وقد قدر رزق واضع هذا  
الكتاب بمحمد وعثمان والياس وفاطمة وعائشة وسكينة وخديجة ثم  
استودع هياكلهم التراب ونفوسهم الجانب العلي الاقدس ( كما رزق  
بحفصة وربآ في الاختفاء ودرجتا ايضآ ) فعلى رأي القائل بان الخلف  
الذرية تكون حياتي بآراء بعد ابنائي ان لم ارزق بغيرهم ولا اراه مصيبآ  
وعلى رأي القائل بالآثر الباقي تكون خالدة بين من يتعاورون الحياة  
الدنيا وان تداعي الهيكل بعد اجله المحدود . اذا تحقق القارئ هذا  
وعلم ان حياته اذا لم تصرف في اثر باق كانت هباء رجع عن العجب  
الى المجارة . استغفر الله العظيم . لست ممن يدنون البدائع والغرائب  
والمبتكرات وانما انا خادم تابع يصرف افكاره خدمة بلا مقابل تقليدآ  
وتشبهآ ويعرض افكاره على من هم فوقه علماً وادبآ واقنذارآ على الانشاء

والكلام: فمن باب القيام بخدمة تخطى عنها الادباء لخادم افكارهم وعسى  
 أن يجيء الكتاب موافقاً للشارب المشرقية فيعطي بالقبول فإن المخاطب  
 الانسان دام مجده والمقصود الله جل شأنه

يوم السبت غرة جمادى الاولى سنة ١٣٠٠ - ١٠ مارس سنة ١٨٨٣  
 اشتمت بكتابة ما تقدم الى العصر ولم يجئني الصديق الغربي فاشتمت  
 بالمطالعة في تفسير العلامة ابي السعود العمادي وقلد اعازيه الصديق  
 الفاضل مع قاموس الفيروزا الذي عند من ارتفعت من بلده الطيب  
 الى هنا - دخل وقت الغروب ولم يجيء الصديق الغربي فحضر الاخ  
 الفاضل صاحب البيت اوقال لي ما الذي تراه في تاخير صديقك  
 فقلت له لا تدنس افكارك فيه بشيء فإنه مغاص في الصعوبة وما اخره  
 الا عذر طراً عليه فقال يحتفل ويحتفل ويحتفل واطال من الاجتمالات  
 وانا اذافعه بيقيني في الرجل حتى غربت الشمس وجاء الخادم  
 بجواب الى الاخ الماجد بعلتنا به الصديق ان السنن حرمه اصبحت بجعي  
 اوجبت قيامه الى احد الاطباء فاحضره وانه سيجي غدا ان شاء الله  
 تملى فسكنت افكار الاخ للماجد وشكر للرجل عنايته ومعاظته على  
 حقوق الصحبة ثم اخذنا في المسامرة بما لا يتعلق بالكتاب

يوم الاحد ٢ جمادى الاولى سنة ١٣٠٠ الموافق ١١ مارس سنة ١٨٨٣

حضر الصديق وابتدأنا المناظرة معتمدين على جانب الحق سبحانه  
 وتعالى وقد جعلت حرف الخ إشارة للصديق الغربي وحرف ش إشارة  
 لهذا الضيف الشرقي وما صنع فوق كل سؤال رقياً يدل على عدده لتكون

الاسئلة محصورة عند نهايتها ولتسهل المراجعة عند اعادة النظر واردة  
الكشف على مطالب معين وقد ابتدأنا المناظرة بالتفاصيل الشرقي والغربي  
على مقترح الصديق حسب الاتفاق الاصلي

غ كل من الشرقيين والغربيين يدعي ان الآخر وضع اساس هذا  
التخاذل الحاصل في الممالك ويتألم من اعمال رفيقه دينية كانت او  
سياسية ويعتذر للآثمة باقواله وافعاله ويقيم على ذلك ادلة وبراهين  
والعالم طائر خلف افكار الفريقين موتاً وحياتاً فعلى من نلقي اجمال  
المسئولية وما هي الحقيقة التي يتمسك بها العقلاء

ش لا يخفك ان هذا التخاذل والتعارض مبني على افتراق المسئولين  
الشرقية والغربية ملتصقين باطباع منكية وآمال سياسية ولم يشهد احد  
من الحاضرين وضع الاساسين فان واضعها العرب والرومانيون على  
قاعدتي الدينين الاسلامي والمسيحي ذاك في الشرق وذا في الغرب وقد سموا  
اتباع الاول مسلمين واتباع الثاني مسيحيين بعد ان ثبت لكل فريق  
صدق مبعوثه وحقية دعوته ووجوب اتميمها في الاقطار لتهديب  
النفوس وتوحيد الكلمة وجمع النفوس على عبادة خالقها وقد بني كلاً  
الدينين على محاسن الاخلاق ولطائف الآداب والبعد عن العدوان  
والتطهر من اوساخ الآثام ورذائل الفجور وحفظ النفوس والاعراض  
والحقوق وربط الآخذين به بقانون الهي يسوي بين الامير والحقير  
والغني والفقير والقوي والضعيف ويحكم بمسئولية كل فرد من الافراد  
عن اقواله وافعاله بين يدي مولاه يوم يبعثه في النشأة الآخرة . وبعد

ناسيس الاصلين وذهاب مظهريهما كثر الاختلاف بين طوائف الدينين  
 بانتشارها في الاقطار ووقوعها في ايدي أم تمك عليهم الاخلاق والمعادن  
 والاطماع بالتاويل والتفصيل فجردت السيوف السياسية مطبوعة من  
 تلك الخلافات يتبارى رجالها جدالاً ويتبارزون قتالاً تارة في مماثلهم  
 واهليهم ومرة في مغايرهم واعادتهم بدعوى بواغث المدنية وميمات  
 الهيمنة وقد اتخذ كل فريق فجعله وجهة لافكاره ومداراً لاعماله ثم  
 تسابقت اقلام الكتاب في التغطية والنصوب والافساد والتصحيح والتقييع  
 والتحسين والمدح والذم والاغراء والتخريض وملأوا العالم باوراق تلحمت  
 القلوب بما فيها فحمت العداوة وانجبت هذا التنافر وقد صيروا سلسلة  
 الاتصال الانساني دائمة الاحتكاك فحدثت فيها حرارة اكلة فعالة مضادة  
 لما جاء به الدينان من الائتلاف وما دعوا اليه من هداية الخلق وحفظ  
 الدماء والاعراض والاموال ولا انقطاع لهذه الحرارة ما دامت سلسلة  
 الاجتماع الانساني في ايدي ذوي الاطماع والذاتيات من رجال السياسة  
 والمتعصبين لهم فانفراد الطوائف بين ايديهم رضع بظلمون على الاحقاد  
 ويفتأون على العداوة ويشبون على الضغائن فاذا بلغوا مبلغ الرجال  
 قدموهم قرباناً لثيران الحروب وبطون اللهود في داخلية بمالكهم  
 وخارجيتها يحصلون بذلك مطمعة ذاتياً ومظهراً ملكياً باسم الحقوق  
 المقدسة او الدين السلمي او العمران الانساني او الاجتماع المدني او  
 المحافظة على الحدود او امن التجارة والملاحة والسياحة او غير ذلك من  
 العائل التي تتسمها الملوك وسائل لقاصدها وللرومانيين والعرب العذر

في فتوحاتهم التأسيسية فان كلا منهم جاءه مبعوث بدين جديد يقضي  
 بنسخ سابقه ويحمله الاخذ به على نشره طوعاً للامر وانشاده بمن تقدمه  
 ومماثلة لما جاء قبله من الاديان فان النيران الدينية مشتعلة في التنابير  
 السياسية الملكية قبل ظهور العرب والرومانيين بمظهريهما فاننا اذا رجعنا  
 للاديان من حيث ظهورها راينا هذين الدينين متاخرين وجوداً عن  
 سائر الاديان التي طرقت الوجود وملئت بها الاقطار وتعبدت بها الامم  
 وكل دين نفذ بالحادة والمبارزة وانما لضعف عصبيات تلك الاديان  
 وخضوع معظم اهلها لعصبيتي هذين انفراداً بالمباراة والمساجلة اذ من  
 المعلوم ان مملكة ما لم تضع اساسها في قطر من الاقطار قديماً وحديثاً  
 الا على القواعد الدينية وربط افراد الامة بالقوة الادبية الداعية لاجتماع  
 العصبية قبل توسط القوة المادية المؤيدة للملك حتى في ممالك قدماء  
 الفراعنة والاشوريين ومن ادعى غير هذا فليأتنا بدولة قامت في الوجود  
 سائدة جامعة لكثير من الافراد من غير توسط الدين في تاسيسها حقاً  
 كان او باطلاً حتى في الامم النشئة في الصحاري والقفار فانها لا تنحلو  
 من داعية عليها اجتمعت وبها عرفت لولياتنا بدولة متمدنة من دول  
 العصر الحاضر تبعث جيشاً الى حرب ولم تتوصل بروءساء دينها في الدعاء  
 والاستغاثة او تصرف العساكر بعد عودتهم ظافرين قبل ان يتوجه  
 العظاء والامراء والوجهاء الى المعابد ساجدين وراكعين حتى لو كان  
 القابض على زمام الملك ممن يقل لهم اصحاب الفكر الحر اي الذين لا  
 يدينون بدين فانه لا بد وان يجاري افراد الامة وسوادها الاعظم في

عوائدهم الدينية . ومن هذا نعلم ان احمال المسؤولية القيت على عواتق رجال درجوا وقوم بادوا قبل الرومانيين والعرب ثم نرى ان الرومانيين والعرب كذلك غسلوا ايديهم من تلك الدماء من قرون مضت وتركوا الامم في ايدي الملوك ورؤساء الاديان ولم يبق الاسم التأسيس والاحكام في اثرهما عند العوارض الملكية والطوارئ السياسية والغايات الذاتية التي يتوقف حصولها على التوسل بالدين فاذا انقضت الاوطار ووصل الملوك الى غايلتهم بتلك الوسيلة تركوا الدين في ايدي الافراد امانة حتى يضطروا اليه واشتغلوا بقوانينهم وشرائعهم السياسية يسوقون بها المحكومين في اية طريق شاؤوا على اية صورة ارادوا وهكذا الشأن في كل عصر وامة ومملكة ودين . فمن اعترضنا على العرب بظلمهم الرومانيين وخروجهم عليهم بعد ثبات دعوتهم وانتشارها اجابونا بانهم جاروا الرومانيين في خروجهم على بني اسرائيل وبنو اسرائيل خوارجا على غيرهم وغيرهم خرج على خلفه وهكذا حتى اتصل السلسلة الى مبتداها فدعوى الاغتصاب لا تسلم الا في امة غالبت امة على دين لم يتقدمه غيره من حين البدء العمراني وهذه طويت في باب كان ولم يبق امامنا الا اهم تجاوت على امم وممالك ولدت من ممالك . فاذا اردت الفاء احمال المسؤولية على امة فابحث عن مصادر الحركات العدوانية عندما تكون نار الفتن خامدة والنفوس مطمئنة والامن ناشرا اعلامه على الامم وألق المسؤولية على مشعل النار وزعج النفوس ومخيف الامم واترك الرومانيين والعرب يتمتعون في بهاج التاربخ بمجد دائم

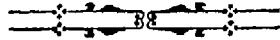


وذكر خالد فقد تركوا اثرين هما روح الملك ولا حياة للملك بدونها على ان رؤساء الاديان صاروا من الافراد تحت سطوة القانون الملكي ولا ينظر اليهم بعين الرأسة الدينية الا فيما يخرق العادة من الحوادث التي يستعان بهم على دفعها او جلبها في كل زمان

غ قلت ان الرومانيين والعرب جاؤا متأخرين عن ام دانت بغير دينيها وان الاقطار كانت ممثلة بتلك الاديان فما هذه الاديان واين كانت ومن جاء بها ومن تعبد بها فان المسكون من الكرة الارضية معلوم بمن فيه وما يعبدون ودعوى بلا دليل توقعنا فيما نجتهد ان نفر منه واذا تحقق وجود غير هذين الدينين فكيف ادعى آخذوها الحقيقة وتجاوزوها مع الاغضاء عن غيرهم واذا صح وجود غير هذين فهل كان تنفيذ الاديان في الامم بالقوة في جميعها او بالقوة في دين وجوابات المحبة في اخر وعلى ابي حال كان التنفيذ فهل تقدم الدين الاسلامي دين دخل على اخر في اقطاره ودعا بالحقية لنفسه كما دخل على الدين المسيحي في اقطاره وادعى الحقية واذا وجد دين بهذه الصفة فهل يوجد في كل دين مذاهب مختلفة متعددة كما في الدينين الاسلامي والمسيحي فاني ارى الجواب عن هذا يكشف لي دعوى الامتين وتأسيس الخلافة ومراجع السياستين وما اريد ان اشق عليك بالتبع والاستقصاء بل اكتفي منك بملخص جزئي يوصلني الى مسهب كلي بالنظر والاستدلال فانك مشتت الافكار الآن بعيد عن المواد

ش دعوتني الى مطلب بعيد القاع شديد الشكيمة ومع شدته

يحتاج الى تحقيق اصل وصحة نقل وقد حثت علي في شروطك ان لا اترك سؤالك ابتر فخذ ما راج الان والتمس معي العفو من محقق يرى تليفاً في التعاريف وباحث يرى مخالفة لبعض الفروع ومن قال اجيب بما اجيب به وانا مضطرب الفكر خائف اتربق فقد استوجب العفو عن هفواته فما ذكر الاديان الا وسيلة للدخول على المسئلتين وما المسئلتان الا تمهيدا للمسئلة المصرية وهذه ساقوم بشرح ما يرفع عنها الاستار ان شاء الله تعالى واجلوها للناظرين بعد احتياجها ولا تكلفني تحقيق المذاهب وبيان الراجح منها والمرجوح والصحيح والفاقد فان ذلك ان ارضى فئة اغضب اخرى وان سرّ قوماً احزن آخرين فكل انسان ما تمسك بدينه الا وهو يرى صحته فلا يسمع حجة على افضلية غيره ولا دليلا على بطلانه وما اتاخر عن هذا جهلاً بالمذاهب وحجج واضعها على صحتها ولكن لاحظ الاشتراك العام في مطالعة مناظرتنا فخذ عاماً في عام وارجع الى التفصيل في كتبه ان شئت وعلى هذا اقسام الدين باعتبار مصدره الى نوعين آلهي وانساني وكل منها ينقسم قسمين بحت ومزجي وكل من القسمين تحته فروع ناتي على بعضها اكتفاء بها وحيث ان الالهي هو موضوع مناظرتنا فنبدأ به فنقول



✽ الدين الآلهي البحت ✽

يعدّ بانه ما جاد به الرسل من قبل الله تعالى بطرق الوحي والالهام

ثم هم على اختلاف مباحثهم وطبقات وجدانهم وتباين لغاتهم لم تختلف دعوتهم في موضوعها وبنائها على ان هناك الهاً واحداً وموحداً لهذه الالكوان قد انفرد بالايجاد والاعدام وتنزه عن الشريك والمثل والولد والوالد واجب الوجود لذاته قديماً ازلها باقياً بعد فناء العوالم مخالفاً لآثاره في الذات والصفات والافعال قادراً مريداً عالماً حياً سمياً بصيراً متكاملاً يحيي ويميت في هذه الدار وينعم ويعذب في دار اخرى اعد فيها جنه للمصدقين العاملين ونارا للمكذبين الضالين وانه اتخذهم امناً على وحيه هداة لخلقهم يعلمون الشرائع ويدعون الى وحدة الاجتماع ويدلون الخلق على خالقهم ويعرفونهم قدره وعظمته وكبرياه وقد اصطفاهم وخصهم برتبة الرسالة وعصمهم من الدنئيات وسفاسف الامور وجعلهم حجة يعتبرها على خلقه بما يوحي اليهم لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد ارسالهم مبشرين ومنذرين ومرشدين ومعلمين . هذه قاعدة دعوة الرسل لا يختلف فيها اثنان وعليها تدور فروع الاحكام بحسب المكان والزمان واخلاق الامم وفروعهم كلها راجعة الى ما يهذبون به النفوس ويلينون به الطباع ويسهلون الانقياد لوحدة الاجتماع المدني والتعارف الائتناسي والاختلاط العمراني والاتلاف الاخائي متعلقة هذه الاداب بظاهر الدين من الصلاة والصوم والصدقة والابتهاال الى الله تعالى وغير ذلك من الاحكام ليتبين المخلص في التصديق والانقياد من المنافق بالموافقة اللفظية ثم يمزجون هذه الفروع بمسائل قضائية واحكام سياسية ترجع اليها افراد الامم عند الترافع وتؤدب بها النفوس في

التخاضم وتحفظ بها الحقوق ذاتية او مالية راجعين في هذه المسائل الى نص وحيي او ارشاد الهامي او استنباط اجتهادي توجب اهمهم الاخذ بالاحكامهم عصمتهم وامانتهم واشتغالهم بالتاليف والاصلاح وبعدهم عن مظاهر الملوك ولزومهم حالة التكشف والقناعه بالميسور والزهد فيما في ايدي الناس وتواضعهم الى حد يؤاكون فيه القدر ويلقمون المؤن ويجالسون الفقراء ويعودون المرضى ويجلسون على التراب ولا يسكون بايديهم نقداً زائدا عن مؤنهم ولا يبيوتهم اثاث يروق النظر ويعجب النفس . قصارى امرهم اعتراف الخلق بوحدانية الله تعالى وتبادل المحبة بين اتباعهم وتخليص الطباع من شوائب الرذائل وتطهيرهم النفوس من النزعات الحيوانية ونشر الآداب والحث على رحمة الصغير وتوقير الكبير ومواساة الفقير ومداراة السفهيه وملازمة الوعاظ والجد في تهذيب النفوس والشفير من العدوان والبغي والخيانة والغدر والفتك والتخدير من الآثام كالسرقة والفسوق والفجور والملاهي وتقييد الانساب والاعراض بوجهة التعارف والائتلاف العلني المقيدين بمحدود تبع التمتع وتعل التوارث وتلبس المتلازمين ثوب شرف تفصله الكفاءة ويخيطه التراضي ويشهد لبسه الاصدقاء ويبارك عليه اولياء امورها الا دنون حفظاً للشرف وبعداً عن العيث الحيواني وتمييز الانسان من البهيم . ثم يلحقونها كذلك بفروع كانت من حدود تدير المنزل والمدنية عند قدماء الفلاسفة مثل بيان البيوع وعقود المعاملات والصحيح منها والفاسد والمباح من المآكل والمشارب والمحدور وحكم الامة حال

السلام وواجباتها وقت الحرب الى غير ذلك مما ملئت به الكتب السماوية والاخبار النبوية وما نقل عن مهابطها من السير والسير مما هو ذائع شائع محفوظ عند افراد اممهم وعلمائهم القائمين بامور الاديان . والرسول في جميع ذلك قائمون بالدعوة وانتشارها وتعليمها والحث عليها منتصبون لفصل القضايا ومقاومة الخصوم جديلاً ودفاعاً فهم رسل في التبليغ قضاة في سماع الدعوى امرأ في التنفيذ ملوك في حفظ النظام وتوسيع الممالك وانتشار المدنية وتعليم المعارف الدينية والآداب التهذيبية لا يخالف خلفهم سلفه الا في بعض فروع يقتضيها مكان امته وما هي عليه ولا يترك سبيل من قبله في المحادة اولاً ثم المقاومة اخيراً الا بضعف العصبية وقلة الاعضاء والانصار فهم دائرون مع اللين ما دامت العصبية في التأسيس وتكوين وحدة الاجتماع راجعون الى القوة عند تمكن العصبية وتيسير الادوات والمعدات واقفون في جميع اعمالهم وحركاتهم وسكناتهم عند وحي سماوي او ارشاد الهامي . اذ ما هم الا اناس من افراد الانسان ساعدتهم العناية العلية واخصتهم الارادة الالهية واصطفتهم الحضرة الربانية لهذه الفيوضات القدسية وفرد لا يقاوم افراد عقلاً الا بالقوة الماثلة لقوة مقاوميه وهي لا تتأني الا بتأسيس العصبية واجتماع الكلمة على امر يجمع الوحدات المتفرقة به ياخذون وعليه يقاتلون واليه يدعون وعلى هذا جاء كل رسول مجرداً دعوته من القسوة والحشونة والتظاهر مقتصرأ على النداء بجماعة العصبية وتكوينها بجاذبة الوعد ومرهبة الوعيد فلذا تمكنت العصبية وقويت اضلاعها قام فجمع الناس على كلمة

واحدة لمنع التخاذل والتغابن وحفظ النفوس من المهالك . وقد جرت عادة الله تعالى ان يبعث كل رسول في قومه ليكون منهم عصبية تسهل انقيادها الرحم يهد بها طريق دينه ويشقوى بها على نشره وتعميمه في المتجاورات من البلاد ولا يزال يدعو بما امر به متحملاً مشاق المعارضة ومضض التكذيب والمقاومة والمعارضة الجدلية حتى يلقي ربه تعالى فان انقضى دوره بلا ظهور ولا عصبية درست اصول دينه وعميت احكامه وان تمت له العصبية وانقذت الاخذ عنه ترك اصول دينه في ايديها وهي بعد ذهابه تتصرف فيها تصرفاً تفسيرياً وقياسياً واجتهادياً بما تصل اليه افكار العقلاء وامناء تلك الشريعة وبهذا التصرف تختلف المذاهب باختلاف فروع التأويل مع رجوع الكل الى اصل واحد . وقد طرق الوجود انبياء كثيرون منهم ما جاء مؤيداً شرع من قبله ومنهم ما جاء بشرع ناسخ لما قبله واتفقت كلمة كل دين على تسمية الآخذ به بمؤمن ناج وتسمية من خالفه بكافر هالك ومن ثبتت اقدامهم على ما جاء به رسولهم هم اصحاب الدين الالهي البحت ومن مزجوه بالعقليات او النظريات هم اصحاب الالهي المزجي ولم يبق اصحاب اديان آلهية بجنة الا المسلمون والموسويون واليسويون على ما هو المشهور عندهم وان كان غيرهم يدعي دعوتهم وسنأتي على تفصيل عصبية الاديان الثلاثة بعد الفراغ من الفرع الالهي المزجي لثلا يعترضنا في طريق الدخول على المقصود

\*\*\*  
\* الدين الالهي المزجي \*

هو ما اخذته امة من اصول رسول وتصرفت فيه بالزيادة والنقص

والدخيل فيه وقد اخذ بهذا الدين كثير من الامم منهم من مزج دينه  
 بالعقليات ومنهم من مزجه بالنظريات ومنهم من مزجه بالمستحسنات ومنهم  
 من تبع الاصول وترك الفروع الى غير ذلك فنزل بالصابئين والكلدانيين  
 من هذا القسم فانهم اولى من يرجع اليهم في التمثيل والحق بالعناية  
 لاشتغالهم بالسميات والعقليات معاً ولا نريد ان نبين جميع اقسامهم  
 ففهم عبدة الكواكب وعبدة الاوثان بل نبين مذهب الفئة الباقية على  
 معتقدها الآلهي الذي مزجته بالعقليات وهي الفئة التي حفظت كتب  
 الحكمة واعتنت بدراستها وشرحها حتى سهلتها للطبقة الثالثة المؤلفة  
 من المسلمين والموسويين واليسويين وحلت مشكلات الحكماء ورموز  
 القدماء وترجمت لغاتهم المتروكة وعرفت اقلامهم المختلفة وهذه الفئة تنقسم  
 الى قسمين قسم يسند دينه الى سيدنا نوح عليه السلام وهم الصابئون  
 وقسم يسنده الى سيدنا ابراهيم عليه السلام آتياً بطريق التلقي عن  
 نوح عن ادريس وهم الكلدانيون والقسمان متفقان في هيئة العبادة على  
 التوجه الى القطب الشمالي وصلاة ثمان ركعات عند ظهر شفق الشمس  
 الشرقي وخمس ركعات وقت الزوال وخمس ركعات وقت غروب  
 الشمس يسجدون في كل ركعة من هذه ثلاث سجودات بلا انحناء  
 ويثلون في قيامهم وسجودهم كلمات تماثل آيات الزبور من حيث اشتغالها  
 على مناجاة ودعوات واستغفار . وصوم ثلاثين يوماً عدد ما نقطعه  
 الشمس في كل برج من بروجها يسكون فيها عن الطعام والشراب  
 من شفق شروق الشمس الى شفق غروبها ويفطرون على غير المعموم

من الالبان والنباتات الا ما حرم منها عندهم ويقسمون هذه الثلاثين الى ثلاثة اقسام قسم يصومون فيه اربعة عشر يوماً متتالية في فصل الشتاء موافقة لاعداد الكواكب السبعة المشهورة قديماً وافلاكها وقسم يصومون فيه سبعة ايام في الربيع موافقة لاعداد الكواكب وحدها وقسم يصومون فيه تسعة ايام في اواخر الصيف موافقة للافلاك بضميمة فلكي الثواب والمحيط . وتقدم الضحايا في هياكلهم ومعابدهم للسنة والفقراء من غير ان ينال المضحي منها شيئاً . وتعظيم الكواكب بناء على انها اعظم اثر آلهي له فاعلية في الاجرام السفلية . ومنع توريث الفاسق من المستقيم . وثبوت العصمة لكل من الزوجين يفترق كل منهما اذا شاء بعلقة الزنا او العقرا و قتل احد الارحام . والاعتراف ببعث الارواح دون الاجساد وطهارة النفس العاصية بعد تعذيبها ثلاثة آلاف سنة واعتقاد الرسل ملهمين بعناية المجردين لا مبعوثين عن الله تعالى . وان الخير كله من الله تعالى والشر كله من النفوس . وان الله تعالى منزه عن الصورة فلا تقع عليه الابصار ولا تلحقه الاوهام فهو في حجاب ازلي في هذه الحياة الدنيا وفي النشئة الاخرى . وان غير الحيوان المباح استعماله عملاً و غذاءً محترماً بعد كل من تعذيبه وقتله ذنباً يكفر عليه فاعله بالضحايا بحسب ما تعينه النصوص . هذا ملخص الاصل و بانتشاره كثرت مذاهبه عدا واختلافاً كما هو الشأن في كل دين عظمت عصبيته وتمددت اوطانه فبعض هذه المذاهب يحرم بعض النبات والحيوان وبعضها يحل زواج امرأة الأب التي لم تعقب منه والبعض



يجرمها مطلقاً والبعض يجرم غسل جراحات القتيل عند دفنه والبعض يوجبها الى غير ذلك من الفروع الخلافية . ثم اشتغل الفريقان بالهيات الحكماء وكتب الفلاسفة على انها كتب تعليم وارشاد ككتيب الرسل على ما تصوره بحسب الشبهات التي اعتقدوها . وقد شهد اهل هذا الدين جميع الدعوات الدينية من الدعوة النوحية الى الدعوة الحميدية على جميع مظاهرها الصلاة والسلام . فكان اول داخل عليهم من المرسلين بعد نوح هود عليها السلام ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح اذ بعث في قوم عاد بن عوص بن ارم بن سام وكانوا يسكنون بالاحقاف بين اليمن وعمان اي من شعر عمان الى زمل فالج فاقام فيهم مدة يدعوهم الى عبادة الله تعالى وكانوا قد غيروا وبدلوا وعبدوا الاوثان فامتنعوا من اجابته وما آمن به الا قليل منهم فدعا عليهم وتم لهم ما اخبر به القرآن الكريم ثم رحل من بلاد العرب الى فلسطين واقام بها . ثم جاء صالح بن عبيد بن اسف بن ماشع بن عبيد بن حاذر بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح الى ثمود وكانوا بين الحجاز والشام بارض الحبر ووادي القري فدعاهم الى عبادة الله تعالى وهدم هياكل الشمس التي كانوا يعبدونها فما آمن به الا قليل منهم وكان معاصراً للملكهم جندع بن عمرو ثم كان ما كان من امر الناقة وما قصه القرآن العزيز علينا من خبره الى ان انتهى امره بالدعاء عليهم ثم رحل الى فلسطين واقام بها . ثم دخل عليهم سيدنا ابراهيم بن تارح بن ناحور بن شاروخ بن ارغو بن فالخ

ابن قينان بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح اذ ولد معهم  
 في ارض بابل ارض الكلدانيين فلما بعث اليهم دعاهم الى اتباعه  
 وتكسير الاصنام وهدم الهياكل والاعتراف بوحدانية الله تعالى والبعث  
 عن الآثام والتجور فلم يجيبوه وتظاهر عمرو بن كنعان بن السغاريب بن  
 عمرو بن كوس بن حام بن نوح بما هو مسطور بالكتب السماوية  
 فهاجر بابن اخيه لوط بن هاران بن تارح ونزل لوط بارض سدوم  
 وعمورة في غور اريحا على شاطئ نهر الاردن ( الشريعة ) ونزل سيدنا  
 ابراهيم بارض كنعان امام حبرون متنبلاً من جهة الى اخرى . ثم  
 دعا لوط قومه واعلمهم انه مبعوث اليهم من الله تعالى ليعبدوا الآله  
 الحق ويتروكو عبادة غيره فكان ما كان من معارضتهم له وتكذيبه  
 واجتماعهم لايدائه وايداء ضيفانه ثم تخريب سدوم وعمورة وخروجه  
 بابنتيه . وولد لابراهيم اسمعيل واسحق وانتهى امر اسمعيل الى سكنى  
 برية فاران ( هي تهامة التي بها مكة الآن ) وبني مع ابيه هذا البيت  
 المحجوج بمكة ودعا الناس للطواف به والاعتكاف حوله والحج اليه كل  
 عام فاجابه من آمن به من جزم عند ما هاجروا الى مكة وبقي دينه  
 الى ان تخربت سباء وجاءت طي وما معها من القبائل وساكنوا بني  
 قيذار فيا بلى مر الظهران الى ثنوب الى اعالي نجد واخذ منهم من اخذ  
 بما بقي من دين اسمعيل عند بني قيذار . واسحق كذلك دعا لدين  
 ابيه وجاء ابنه يعقوب على اثره داعياً الى الله تعالى ودخل يوسف  
 ابنة مصر بدينه على الذين الاستمسانى . ويقال انه لما حجر على الغداء

ايام انقطاع نيلهم باعهم القوت اولاً بما لهم ثم بما شيتهم ثم بجليهم ثم بعقارهم ثم برقابهم وقيل انه تفضل عليهم واعتقهم فان صح العتق فبنو اسرائيل مواليهم وان لم يثبت فالمصريون عبيد بني اسرائيل ورثة يوسف الصديق . ولا ارى ذلك الا من الاقاصيص والاقاويل التي لم تأخذ الصحة بيدها ولا مجال للعقل فيها

ثم جاء عليهم شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم ونزل بمملكة الحجر المسماة قديماً مملكة نابات ودعاهم الى الله تعالى والمخ عليهم وكثر بينه وبينهم الجدال والمناظرة فآمن به نفر قليل وخالفه الباقون . ثم دخل على الكلدانيين في بنوي يونس بن متى فاجابوه بعد ان عصوه مدة . ثم امتد ظهور الرسل الى ان جاء الثلاثة اصحاب الاديان الباقية المنتشرة الان في الغارات والجزائر وقد جاء كل من الرسل بآيات وخوارق يقمها حجة على صدقه ودليلاً على ان الله تعالى هو الذي ارسله الى قومه فممنهم من نجا من النار وممنهم صاحب الناقة وممنهم المجتاز بالبحر وممنهم من احيا الموتى وداوى الاكهم والابرس وممنهم من كلم الدواب واسرى به الى ابعد مكان من ارضه في مدة قصيرة واخبر بالغيوب في وقته وعما يليه . وهذه الخوارق نسميها نحن معاشر المتدينين معجزات اظهرها الله تعالى على ايدي رسله تصديقاً لهم فان المعجزة منزلة منزلة صدق عبدي في كل ما يبلغ عني لانه ليس في وسعه ولا امكانه ان يخلق ناقة من صخر او يخلق بحراً او ينبع ماء من حجر او يحول العصا ثعباناً او يحيي الموتى بقدرته او يخلق في الدواب قوة ناطقة وفي الشجر

قوة سامعة وفي الجو قوة طاوية بل كل ما ظهر على ايديهم انه هو مستند الى الله تعالى خلقاً و ابرازاً . وغير المتدينين بعدون هذه الامور من باب الخوارق الظاهرة بتحريم القوى العلوية على المنفعلات السفلية بالدعوات والرياضات . وبعضهم يجعلها من باب الشعوذة نعوذ بالله تعالى من هذه المعتقدات . وبعضهم ينسب ما يقرب من العقل للحوادث الطبيعية ككفلق البحر للمد والجزر ونزول الدم للمواد المحمولة بالرييح والصفادع لما يجعله السحاب احيانا من جهة ويمطره في أخرى واحياء الموتى لفعل طبي في مصاب بسكنة مخفية ومدواة الاكاه والابرص لخواص النباتات وينكر ما لا يقبله العقل من الخوارق . وهذه اوهام قامت عند اهل هذه الشبه اذ لا يمتنع ان يكون حدوثها آية في مكان وعادة في آخر خصوصاً اذا وقعت بعد التحدي او الخبر بانه سيحدث كذا فاتفق الواقعات فيما مائل المعجزة لا يطن في اصلها . وقد تكلمت الكتب الدينية بتفصيل ذلك واقامة حججه وبراهينه فليرجع اليها محتاج التحقيق ومعتقدنا في الرسل انهم صادقون في دعاويهم امناء في تبليغ شرائعهم لا يفترون على الله تعالى شيئاً ولا يخونون فيما ائتمهم عليه واقفون بين جاذبتي الوحي والالهام يكفر مكذب واحد منهم في شيء مما جاء به ويؤمن من صدقهم وآمن بانهم رسل الله تعالى الى خلقه . وما عرف الحكماء طريق الوصول الى الحكميات الا بمخاطبتهم والاخذ عنهم ولاهتدوا للرياضات وتصفية الذوات الا بمعاشرتهم والتقليد لهم فهم اساتذة الدنيا وفتحة باب كل علم اشتمل به الانسان من بدء العمران الانساني الى

الآن فان التوسع في العلوم الحاصل الآن والتفنن في المبتدعات والمخترعات والاكتشافات كل ذلك نتيجة اتعاينهم الحاصلة بمقدمات تأسيسهم فعلى جمعهم الشريف الصلاة والسلام

وقد وجدلدين الصابئة والسكلدانيين عصبيتان فالصابئة دخلت بلاد العرب ومصر والغرب وعنها انقل الدين الى اقطار بعيدة . والكلدانيون عمموه في العراق وبلاد الفرس والافغان وبلاد الخزر والشام وعندهم انقل الى اقاليم شتى . ثم كان لهذه العصبية دوران دور ديني بحت ودور ديني ملكي فالاول امتد من نوح الى سليمان والثاني ابتداء بعد سليمان حيث قام العراقيون وبددوا مملكة بني اسرائيل كلها واستولوا على فلسطين والشام وجميع سورية ونقلوا احبار بني اسرائيل وعلماءهم وأبناء انبيائهم الى بابل خشية ان يعيدوا دعوتهم ويجددوا مملكتهم التي اخذت لها دوراً عظيماً في آسيا . وفي عهد الملك اسفنديار بن كستاسف البابلي اعادهم الى الشام بعد تمكن الضعف من عصبيتهم ومع حصول الضعف بعد القوة فانهم انقسموا الى سامرية وقرايين وموسوية وهذا الآخر هو الفريق الاعظم فسكن هذا الفريق في اورشليم (ارض القدس) وسكن السامرية في سبسطية ودامت الحروب بين الفريقين مدة حيث اخلفوا في بيت القدس وصخرة الله تعالى في اي المكانيين فاليهود يقولون في اورشليم فانها الارض المقدسة والسامرية يقولون ان صخرة الله تعالى المقدسة هي جبل جرزيم الكائن بارض نابلس وما زالوا كذلك الى زمن خيدرومن احد ملوك طوائف البابليين فقاتلهم وثل عرش ملكهم والحق فلسطين ببابل

ثانية الى ان عاد الملك للاخبار كما يأتي تفصيله . وكما دخلت الاديان  
الالهية البحتة على هذا الدين المزجي كذلك دخلت عليه فروع العقلي  
والتنظري بمصبات اوصلتها الى اوطانها ومتجاوراتها بما يطول سرده فقد  
حملت عنا كتب التاريخ هذا الحمل العظيم . ومن الصابئين والكلدانيين  
من مزج اصله الالهى بالوثني والاستحساني عند فتور المهم عن التعليم  
واقْتصار فلاسفتهم على تدوين الكتب وشرحها فيما بينهم وتركهم الامم في  
ايدي الجهالة يقلد بعضهم بعضاً وقد كثرت المبتدعات وتفرق الناس حول  
اهوائهم شيعاً وعجز الحكماء عن ارجاعهم لقصور الافهام عن الحكميات التي  
صارت من خصائص العلماء . ومن الآلهي المزجي قسم من الحبشة اخذ  
بالدين المسيحي ثم الاسلامي ثم مزجها وصيرها ديناً واحداً على اصول  
قررها وعمل بها . وقسم منها ايضاً اخذ بالاديان الثلاثة واستخلص منها  
ديناً عمل به ويوجد اذن القسمان فيما يلي هرر ومصوع من الجهات  
القريبة من النقط الاسلامية . وقسم من غينا الشمالية اخذ بالدين  
المسيحي عن التسيسين عند دخول البرتوغاليين في بلادهم ثم مزجه  
بالاستحساني . وقسم من بزنو اخذ بالدين الاسلامي عن الادارة ملوك  
الغرب ثم مزجه بالاستحساني . وقسم من بولينيزيا اخذ بالدينين الاسلامي  
والمسيحي ثم مزجها بالوثني وقسم من السوريين اخذ بالدين الاسلامي  
ثم مزجه بالوهميات وهم الدروز والمثولة والنصيرية . وقسم عظيم بالسودان  
اخذ بالدين الاسلامي ثم مزجه بالاستحساني . وقسم من مونيقيو الصينية  
اخذ بالدين الاسلامي ثم مزجه بالوثني . ولهذا الاقسام عصبيات شتى

قالت عليها ودافعت عنها فافترغ بعضهم الى بعض بالضعف وثبت قليل منهم على ما هو عليه وقد كثرت المبتدعات والمنتحلات ودعاهم الفراغ من العلوم الى عبادة ما لا يعبد مما هو مسطور بكتب الاخبار .

٣ غ . قلت ان الصابئين والكلدانين اشتغلوا بكتب الفلسفة على انها كتب تعليم ولم تذكر ما نتج من اشتغالهم بها وهل تركوا ما كان عليه ابائهم واتخذوا لهم ديناً آخر ام حافظوا عليه مع اشتغالهم بالحكميات ارجوك ان تتم هذا البحث قبل ان تبعد عنا مناسبتة بذكر الاديان الباقية فيجئ معترضاً بين المطالب

ش . عندما اشتغل الناس بكتب الحكماء انقسموا اقساماً شتى فلنسم هذا الدين بالاستدلالي العقلي ونذكر اقسامه وهو ايضاً استدلالي بحت واستدلالي مزجي . فالاستدلالي البحت هو ما نتج من بحث القدماء في علل الاشياء وذلك ان الانسان شأنه البحث عن منشئه ومبدع هذه الكائنات ومبرزها لدور الافكار حول هذا المطلب في كل دور من ادوار العالم الانساني ولهذا بحث القدماء في علل الاشياء كوناً وفساداً مسندين تأسيسهم الى هرمس المثلث المدعو بالعبانية اخنوخ والعربية ادريس عليه السلام قائلين انه اخذ البعض عن صحف شيث عن آدم وزاده بسطاً وتقريراً بالدلائل العقلية والمؤثرات الفلكية وبعد ان قرره اوحى اليه بالنبوة فحمل عشيرته على الاخذ بدينه وجمع بين النبوة والحكمة والملك فسمى المثلث كذا يقول البعض من الكلدانين والبعض يقول ان ادريس لم يسبقه سابق بهذا الاستدلال فهو واضع الحكمة

الاولى فوافقهم الصابئون على ذلك والبعض يقول انه لم يقرر من اصولها الاكليات ابتدائية حتى جاء سليمان وزادها بسطة وبسطاً وشرح معميات من مقدمه واستخدم نتائج الفلكيات والعنصریات في مظاهر اعماله في ملكه . وعلى اي حال كان اسناد التأسيس فمرجع هذا الدين النظر في المجدرات الصادرة عن بعضها بجهة وجوبها بعد صدور الاول عن الذات الاقدس والصانع الحكيم جل شأنه ثم الافلاك الصادرة بجهة الامكان وانفصال الحرارة عن الفلك الرابع والبرودة عن الفلك الاول وتحركها تحريكاً ولد اليبوسة من الحرارة والرطوبة من البرودة وانفعال هذه الاربعة للمؤثرات العلوية انفعلاً تكونت منه الطبيعة الحيوية من تصعيد الحرارة والرطوبة . والطبيعة العدمية والسكون السفلى من هبوط اليبوسة والبرودة . وبانفعال الطبيعتين للعاويات تم ظهور العنصرية النارية من امتزاج الحرارة واليبوسة . والعنصرية النورية من امتزاج الحرارة واليبوسة والبرودة . والعنصرية الهوائية بجوهرها من امتزاج الحرارة والرطوبة . والعنصرية المائية من امتزاج الرطوبة والبرودة والعنصرية الترابية من امتزاج الرطوبة واليبوسة . ثم دارت الافلاك ادواراً فاعلة منفعة بحسب الطوارئ حتى تم تكوين المعدن ثم النبات ثم الحيوان الصامت ثم الانسان على ما هو مقرر عند القدماء . وبهذا الاستدلال ثبت عندهم وجود العلتين العنصرية والغذائية وتفرع المادة والهيوولي والغاية وتواجد الكائنات وتمالكها ثم انبعاثها وصدورها عن الاركان اصالة من غير احتياج الى وسائط غير التفاعل والانفعال الحاصلين بالطوارئ والتضام والتجاذب



والتنافر وتأثير البعض في الآخر بقوى الانفعالات حتى تبرز المكونات على صور معينة . ثم هي بعد صدورها اما متحركة بعلة الانفعال الكائنة في المواليد . او نامية بلا حركة بعلة البخار والتصعيد . او واففة عند كيانها بعلة الاتصال الشعاعي والتجاذب الكهربائي . وما يبرز من الكائنات السفلية في طبقتها الارضية والجوية مركباً يكون معروضاً للفساد . فافعال المادة تجري تحت اللآ نهاية لتلازم الاركان مع الحادثات بظهور المادة منها مع الاخلاط وظهور الميولي منها مع المزاج . وظهور الغاية منها مع الافعال والكل مركب معروض للفساد والتكوين ما دامت المجردات بجهتيها وما صدر عنها من الافلاك وهي لا انقضاء لما دامت الفاعلية الباقية ببقاء اول الاوائل المبدع لهذا النظام البديع جلت قدرته ونقدست ذاته العلية . وما اوقعهم في هذا الخطا الا نظرهم في علل الاشياء وقولهم ان الواحد جهة واعتباراً وهو الله جل شأنه يستحيل ان تصدر الدثرة عنه فحكموا بالعقول العشرة وسلبوا الله تعالى الاختيار والعلم بالجزئيات وانكروا بعثة الرسل وبعث الاجسام وخالفوا الشرائع الالهية في امور كثيرة بها حكم عليهم بالزيغ عن جادة الهدى وسنشرح هذا عند حلول مناسبه لعدم التطويل هنا . ثم انهم قطعوا بان الله تعالى ذاتي الوجود ابدى الخفاء ازلي الافعال يستحيل عليه صدور التكثر وحدث التجدد عنه مع وحدة ذاته العلية وان وجوده المطلق غير مختلط بشيء من الاشياء وان الاجسام والجواهر والاعراض من لوازم الاغيار . وانه تعالى متساوي النسب النوعية فلا تخصيص لبعض اجزائها ولا دخول لها في سلسلة الممكنات فهو منزه عن المادة والميولي والصور اللاحقة للامكان .

وان السعادة والشقاء خاصان بالنفس وانفعال الاعضاء بالنفسيات سعادة  
 وبالبيهيميات شقاء وانه تعانى منزه عن التسفل والحلول مستغن عما صدر عنه  
 مجرداً او مركباً . و بانتقال هذا الدين الى الطبقة الثانية بعد الطوفان قسموا  
 السياسة في حكمايتهم الى قسمين سماوية وارضوية فانهم قالوا اذا كان القائم  
 بامر السياسة رجلاً ظاهراً سليم الحواس مخلص الظاهر والباطن عالي المهمة  
 بعيداً عن الدنيئات غير متعمق في البدنيات قد دلت على وجوده القرانات  
 الكبار العلوية فدولته دولة النبوة وهذا القائم بها هو النبي المفاض عليه من  
 قوى المجردات واتجاه الافلاك ما يخلع صورة توجهاته النفسية من الحيوانية  
 الى الملكية ليمتاز بالعنايات والمساعدات العلوية ( الذي ندين الله تعالى به ان  
 هذا الفيض حاصل من الله تعالى باختياره لا من المجردات والافلاك فانها  
 مجعولة متأثرة بفعل الله تعالى فلا استقلال لها بالتاثير في شىء من الكائنات )  
 وان كان من دلت على وجوده القرانات الوسطى مشاركاً للأفراد في  
 المالوفات والملاذ الميكلمية فهذه دولة الملك والقائم بها هو الملك صاحب  
 السياسة الأرضية . ثم انقسمت هذه الطبقة ثلاثة اقسام كل قسم صار مذهبه  
 اصلاً لفروع شتى . فالاول اشتغل بالنظر في العلة والوحدة واثبات الصانع  
 وما يجب له وما يستحيل عليه ونقسم المجردات وصادراتها ( على زعمه )  
 واحوال النفس بعد مفارقة الميكل وغير ذلك من الامور العامة فسمي مذهبه  
 بالالهي والفلسفة الاولى . والثاني نظر فيما تجرد عن المادة في الذهن من  
 النقط والخطوط والمنحنيات والدوائر والمخروطات والكرات متحركة او ساكنة  
 وفيما موضوعه الاجرام الفلكية والعنصرية من حيث الكم والكيف واحوال

الكواكب في الابعاد والنقاطع والشرف والتربيع والتسديس والمقابلة والاجتماع والحركة والسكون والخسوف والكسوف والمنازل والهبوط . وفيما موضوعه العدد من حيث الزوج والفرد والتركيب من الاحاد والمثالث والالوف والجمع والطرح والضرب والقسمة والتكعيب والتناسب . وفيما موضوعه الصوت من حيث تركيبه مستلذاً متناسباً او مستقيماً منافراً والنقرات والايقاع فسمي هذا كله بالرياضي . والثالث اشتغل بالنظر في المواد والصور والحركة والنهاية والافلاك والعناصر وما يكون ارتباطها بالالتباس والتباس وانجاذب وما يكون عن تغيرات العناصر في نفسها وحكم ما يصعد اليها من دخان وبخار . وفيما يبحث فيه عن كون المركبات وفسادها وكيفية تخليص الاجساد وتطهيرها وتحليلها وتصعيدها ونقطيدها وتبخيرها وتركيب جوهر من جوهرين فاكثر . وفيما يبحث فيه عن المعادن من حيث الجامد والمنظرق والسيال والشعال والفاسد المرجو صلاحه وغير المرجو والنام والناقص والصلب والهش . وفيما يبحث فيه عن العصارات النباتية من حيث ما ينبت وما يستنبت وطبيعته وخاصته بزراً وغصناً وورقاً وليفاً وقشراً وعصارة وزهراً وثمره . وفيما يبحث فيه عن الحيوان من حيث صورته من مستقيم ومعوج ومكبوب ومسحوب والبري منه والبحري والغذائي والدوائي والسام والاهلي والوحشي ومما يتألف بعد نفوره وما لا يتألف وتركيب انواعه وعللها وامراضها . وفيما يبحث فيه عن النفوس وتحرير القوى وكيفية بثها في الجهاد والنامي والحساس وما يتعلق بالركب الجامد والنامي غير الحساس والنامي الحساس ناطقاً وصامتاً وغير ذلك وهذا كله يسمى بالطبيعي . وبعد انقسامهم جال رجال كل

مذهب جولة في مباحثه وتضاربت افكارهم وكثرت تجاربههم في مبتدعاتهم حتى اتسع نطاق علم الحكمة وتداولته الأمم ودارت الايام وهو ينقل من صورة الى أخرى يعلو في امة بعلو افكارها ويسفل في اخرى بتسفلها راجعاً الى اصوله في جميع فروعه وان شوشت بعض مطالبه بقصور الافكار حتى وصل الطبقة الثالثة المولفة من المسلمين والمسيحيين والموسويين فانكبوا عليه وفصلوه وشعبوه ونوعوا مواضعه انواعاً شتى نأتى عليها بعد الفراغ من الاستدلال المزجي وفروعه ان شاء الله تعالى

غ . ٤

هات الكلام عليه عندما وصل الى الطبقة الثالثة والرابعة قبل ان ندخل في المزجي منه لئلا تبعد المناسبة او نغفل عنه بظول المباحث لنفرغ منه الى غيره واذكر لنا الام التي اخذت به قبل ذلك والاقاليم التي استوطنها والاديان التي نسخته منها وما صار عليه الآن واني وان كنت اتوسع في السؤال واكثفتك الجواب المسهب مع علمي بما انت فيه من شدة الحال فاني اكتفي منك بمخلص يقرب فهم المطولات ولا تترك البحث خالياً من الافادة ولو بتقرير موجز فلا تضق بكثرة السؤال فاني اريد ان اجعله موجباً لقدح افكارك كما قلت لك اولاً

ش

الطبقة الثالثة تأسست في القرن الثاني من الهجرة بعد انتشار الدين الاسلامي في الاقطار ودخول كثير من الناس فيه من العرب والقيظ وبني اسرائيل والفرس والترك والكرد والحبشة والهند والافغان والروم والرومانيين

والاسبانويولين والافريقيين والسوريين والشاميين وغيرهم واخذ العرب في تعلم لغات المحكومين بحكمهم وانجز الاستطلاع الى الكتب القديمة من تاريخ وحكمة فتعلقت نفوسهم العلية بترجمتها للوقوف على العلوم المحتسبة بحجاب اللغات اليونانية والسريانية والفينيقية والبرانية واللاطينية ودعوا لترجمتها اناسا من كل امة وافرغوا مجودهم فيها واشتغلوا بتعلمها وتحصيلها فافترقوا فرقا شتى تضاربت افكارهم وتعارضت اقوالهم وتكثرت مباحثهم وطال الاختلاف واشتد تعصب كل فريق لدينه او فكره وكثرت المجامع الاتفاية والخلافية وفرعوا من كل قسم من اقسام المنقدمين اقساماً وابواباً حتي هذبوا هذا العلم في وقت قريب ودونوا فيه الاسفار العظيمة كانهم هم الذين وضعوه . وتنج من تظاهرهم العقلي علوم تسمى كل منها باسم خاص وانفرد بكتب ورجال وتوزعت وحدة العقيدة في هذه الفروع الكثيرة فصارت من قواعد الفنون وروابط التعاريف يدخلها كل مؤلف في كتبه من غير التفات لاصل وضعها الديني ناظراً لما يدعو اليه علمه لا اعتقاده وما تجره اليه المنفعة العامة لادينه الخاص وكثير منهم من نبه على ما يخالف العقيدة الايمانية الحققة عند ما يذكر اصلاً من اصول الحكمة ويورد عليه ما يدفعه او يضعفه خوفاً على صغار الطلبة وضعفاء العقول . خصوصاً علماء الاسلام فانهم اجتهدوا في تحصين العقيدة والدفاع عنها وحاربوا عقليات يمثلمها وردوا شبهة ببرهان وايدوا معتقداً بحجة وطبقوا كثيراً من اصول الحكمة على اصول العقيدة وبحثوا في شبه المتكلمين وقواعد الالهيين وجمعوا ما تشتمت من مذاهب فرق العالم وانتصبوا للنضال والجدال واجتهدوا في حل المشكلات وتبيين المضلات وابعدوا في البحث

والتدقيق حتى انقلوا من التقليد الى الاختراع والابتداع . وانتظم معهم في  
 خدمة العقلية والحكميات كثير من المسيحيين والاسرائيليين فامتلات  
 مؤلفات رجال الاديان الثلاثة بالعلوم النافعة وزينوا العالم الانساني بالآداب  
 وآلات العمران ومواد المدنية وارشدوا الخلق بكتبهم الى احسان الصناعة  
 والزراعة والملاحة والسياحة والسياسة والتجارة والتربية والتهديب . فقد  
 فصلوا الرياضي الى الهندسة وفرعوا منها علم المساحة . وجر الاثقال . والابنية .  
 والعقود . والحصون . ومركز الاثقال . والمناظر . والمرايا . والكرات .  
 واخذ المرتفعات والأبعاد . وغيرها من العلوم المفرعة من الهندسة . وفرعوا  
 من الهيئة علم الرصد . والظلال . والمنحرفات . والزيج . والاحكام الخاصة .  
 والمواقيت . والقبلة . وغيرها . وفرعوا علم الحساب الى التكميب . والجبر  
 والمثلثات والتناسب . والنخت . والافاق . وغيرها . وفرعوا الموسيقى الى  
 تأليف الاصوات والنقرات . والايقاع . والنسبة . وتفكيك الدوائر . وتلحين  
 الموشح والمواالي والقصائد . وتقسيم النغم . وغير ذلك . وفصلوا من الطبيعى  
 علوم الامور العامة ( علم الكلام ) والسماء والآثار العلوية . والكون . والفساد .  
 والمعادن . والنبات . والحيوان . والنفس . والقوى . والخواص . وفصلوا  
 هذا الاخير الى علوم السحر . والطلاسم . والسيمياه . والمخايل ( الشعوذة ) .  
 والفلاحة . والدخن . والطب الانساني . والحيواني . والبزدره ( علم تربية  
 الطيور ) . والكيمياه . والخواص النباتية والحيوانية والمعدنية . والسباحة .  
 والملاحة . والرؤيا . ثم تصرفوا في هذه العقلية تصرفاً اوصلهم الى  
 وضع علوم التشريع . والجراحة . والصبغة . والفراسة . وتقويم البلدان

( الجغرافيا ) • وتركيب الآلات ( المبخائيكى ) • والاخلاق • وتديبر  
 المنزل • والملاعب • والجدل • والسياسة • والمناظرة • والوضع • والبحث •  
 والاقتصاد • والتربية • وغير ذلك مما تفرع من الاصول الحكيمية  
 بطريق اللزوم او الضرورة • فانقسمت هذه الطبقة نحو سبعين قسماً كل  
 قسم يشغل بعلم خاص غير العلوم الدينية والآلية فتغيرت اشكال العمران  
 وصور الافكار وترقت العقول الى المخترعات وظهر في الجامع العلمية  
 الكثير من الفلاسفة والحكماء من كل من المسلمين والمسيحيين والاسرائيليين  
 والبراهمة والمجوس والصابئة وتلمذ كل لصاحبه بحسب الحاجة مع اختلاف  
 الدين والجنس والوطن سعياً خلف العلوم النافعة واشتغالاً بالمصلحة العامة  
 ولم تشغلهم هذه العلوم الجليلية عن الاشتغال بعلوم دينهم والقيام بمظاهره  
 والاحتفال له في الجامع العامة واداء الواجب عليهم في خلواتهم الخاصة ولا  
 حمتهم كذلك على غرس الاحقاد في قلوب معاصريهم بالمنفرات من المطاعن الدينية  
 بل كانوا يجالسون بعضهم ويتناظرون فيما هم فيه من العلوم العامة فاذا انقضت  
 مجالسهم قام المسلم الى مسجده والمسيحي الى كنيسته واليهودي الى بيعة • وما  
 تم لم ذلك الا بسطوة الحاكم الاكبر ونفوذه وتسويته بين المحكومين بحكمته  
 في التمتع بالمعادات والمعتقدات عكس ما عليه دول اوروبا الآن في الامم  
 التي تحكمها مخالفة لدينها فانها تحتال لنقلها منه بطريق التعليم المجرد عن دين  
 المحكومين حتى تخرج الطبقات المتولدة من المعاصرين خالية من معرفة دين  
 الآباء فيسهل تلقينها دين الحاكم او تلقنها اياه باذى بدء رغم انف الآباء  
 كما هو مشاهد الآن — ومع عدم المطابع اذ ذاك وصعوبة الانتقال والرحلة

وامتلاء الطرق بالخاوف والازعاج لم تقعد بهم همهم عن جوب الاقطار وقطع القفار والتغلغل في الاودية والجبال وكتابة الكتب اجمالاً واثقالاً وتداولها عاماً وعملاً ونقلاً وحلاً وشرحاً وتفسيراً وترجمةً وتكميلاً وتذييلاً مع ملازمة الجد والنشاط وتحمل اتعاب الغربة وخشونة العيش . وما انقضى دورهم حتى ظهر في الوجود العلمي مئآت الوف من افاضل واجلاء علماء بلاد العرب . والفرس والكردي . ومصر . وسورية . والشام . والهند . والافغان . وتونس . والانديس ( ايام عمرانه بالمسلمين اذ كان امام العالم علماً ومدنية وانتظاماً ) وبلوجستان والتريك . والحزر . ولارستان . ومكران . وبذخشان . وخوارزم . ومرو وهرارة . وخوزستان . وسجستان . وجيلان . وكرمان . وطاغستان ومازندران . وخراسان . وكوهستان . ومراكش . وغدامس . وفزان . وشنقيط . والسوس . والجزائر . والنجاة . وزيلع وغيرهم ممن قطعوا الاعمار في البحث والتفتيش على دقائق المعاني وغرائب المخترعات وسهروا الليالي الطويلة في تدوين نتائج ابحاثهم حتى اشرقت شمس المدنية على رؤوس العالم فاهتدى الى ما هو عليه الآن . فكل ما هو منبث في اقسام اوروبا وافريقية وآسيا وامريكا من العلوم ومدلولاتها انما هو حسنة من حسنات هؤلاء الشرقيين الذين كانوا حداة العالم في السير الى الحضارة وكال العمران . وهم وما جاؤا به نعمة من نعم الاسلام الذي جمع هذا الشتيت والاف بين الاضداد ووحده الجامعة وسعى في جمع اسفار العلوم من الاقطار ووسع نطاق المعارف الى حد تناولها بالسنة الآخذين به والمعارضين له . وما اتفق ذلك لجامعة من الجامعات الدينية قبل الاسلام اذ كانت الجوامع الدينية قاصرة



على انه اليم الشرعية لا تدنو من الرياضيات ولا تقرب من الطبيعيات ولا تعترف بالحكميات فكان فريق الحكميات ضعيفاً غير منظور اليه بالعين التي ينظر بها فريق الدينيات فلما جاء الاسلام ناشر التمدن في العالم ومجيز الاشتغال بالعمليات والنقليات ومعمم ذلك في تابعه ومجاور به ظهرت النتج المتقدمة . وعند ما وصلت الحكميات الى الطبقة الرابعة الحاضرة من الاوروبيين خدموها خدمة جد واجتهاد ودأب دائم بنشاط وهمة وجمعوا كتب العلوم الشرقية من بلاد المسلمين شرقاً وغرباً وملأوا بها كتبها العديدة ووجهوا اليها كليات افكارهم وجزئياتها وصرفوا في ترجمتها وتحصيلها الاعمار الطويلة والاموال الكثيرة وانكبوا عليها تعلماً وتعلماً وتفصيلاً وتفريعاً وشرحاً وتوضيحاً وحلاً وتركيباً وتخصيصاً وتعميماً حتى انتزعوا من كل علم علوماً . وقد اوصلتهم التجارب الى حل معميات علماء المسلمين وفك رموزهم وفهم اشاراتهم والوقوف على اسرار عقولهم التي اودعوها كتبهم برقم او اصطلاح خفي وبهذا امكنهم ان يقابلوا الخافي من الجامدات والمنطوقات والسائلات بصناعي دبروا موادهم وعرفوا تركيبه بسبب وفرفهم على مواد تركيب الخلفي بالطرق والاستكشافات الكيماوية فملأوا الوجود بباهر صنعهم واستعملوا البخار والكهربا في تسهيل الاعمال الشاقة وقطع المسافات البعيدة برّاً وبحراً وجواً ونقلوا تلك الاشكال الى اشكال تسهل على المتعلم اخذاً وتلقيناً وتملاً الناظر بهجة وسروراً وفتحت لاعالم الغربية ومخترعاتهم البديعة المعامل الكثيرة واخذ رجال الثروة بيد العلم فانتشرت المبتكرات وتمتع الناس بجملة الوجود المدني التي هدى اليها العلم واظهرها

التعب في تحصيله فانتقل العالم الى صورة جديدة اخذ في تحسينها من عهد اشتغال هذه الطبقة بالعلوم الحكمية بعد نفيها في الشرق بكثرة الحروب وموت العلماء في الفن الداخلية والغارات الخارجية وما زالت تترقى من حسن الى احسن ومن غريب الى اغرب حتى انتهت الى نقل المبتدعات من مضيق المستحيل تصوراً الى مجبوحة الممكن المتداول بين الناس . وقد تنبه ملوك الشرق وابنائهم بما رأوه من غرائب اوربا وعجائبيها فرحلوا من بلادهم الشرقية الى البلاد الغربية لتحصيل هذه العلوم ونقلها الى بلادهم مقرر نشأتها الأولى فنبت من ابناء الشرق كثير من طلبة الطبيعيات والرياضيات وانتهوا لتأليف الكتب وحل رموز اوربا فاذا زادت رغبة الشرقيين في هذه العلوم وفتحوا لها المدارس الكثيرة وحشدوا فيها عدداً كبيراً من الطلبة ولازموا الجد والاجتهاد واخذت حكوماتهم بعضهم فكافأتهم على انعامهم وساعدتهم بفتح المعامل والمدارس ومدت الامم الشرقية يدها لمساعدة الحكومات واستمر هذا الاجتهاد قرناً واحداً وقف الشرق امام الغرب علماً وعملاً وربما فاقه بشدة ذكاء ابناءه وقوة تصورهم واقتدارهم على حل المشكلات . فانظر الى آثار حكمة الله تعالى كيف تميي العالم الانساني والحيواني والنباتي والمعدني باصل كان آلة لهذه المعدات العمرانية والكمالات المدنية . وقد تحولت الافكار عن وجهة الحكميات الدينية الى وجهتها العلمية فاشتغل بها الناس على اختلاف اديانهم كما كان في صدر الاسلام فكأن الناس فطروا على تقليد اللاحق للسابق وتسمية ما فهمه المتأخر من علوم المتقدم مبتكراً وذلك بتقليد الامم بين ابدي العمران والخراب فيتعب هذا في وضع ابكار تخيله

في كتاب ووطنه في دورة العمران فيقلده الحاضر والمعاصر فإذا آن امر وطنه الى الخراب ووقعت كتيبه في ايدي اصحاب الدور العمراني الثاني كانت كنيزا مطلساً وغلماً محكماً فاذا اهتدى بعض الافراد الى ما فيها من مواد العمران وبواعث المدنية عد مبتكراً لها بالنسبة لمعاصريه وما هو الا مقلد لسابقه ولكن له الفضل في حل ما اشكل على غيره وتفصيل ما اجمله سابقه واستعمال اصوله حتى فرع عنها ما يساويها قدراً واختراعاً . واذا اعتبرنا هذا امراً دورياً بين العالم الانساني كما هو مبسوط في التاريخ وشهدت به حالة المالك الآن ايقنا ان الشرق سيكون له الحظ الاوفر من هذه العلوم بترينته تحت احضان من تربوا تحت احضان سكانه القدماء .

اما عصبيات هذا الدين الاستدلالي ايام كان معتقداً معمولاً به فقد وجدت له عصبية في العراق اوصلته الى الفرس فانتقل الى الهند والافغان وبلوجستان وسورية ثم سار به الفينيقيون حتى ادخلوه جزائر الروم وشبه جزيرة اليونان وسبيليا ( صقلية ) وقبرس وشاموس وسواحل افريقية ثم تناقلته طوائف الامم بالاخذ عن بعضهم البعض حتى انتشر في معظم آسيا وافريقية وبعض جهات اوربا وقلعة كتيبه وعلماته اذ ذلك تصرفت فيه الامم بافكارهم وادخلوا فيه ما دعته اليه الشبه الوهمية والمستحسنات الخيالية فانتقل في اكثر اقاليمه من البحتية الى المزجية وتفرع عنه فروع مزجية مختلفة المواضيع والاصول والفروع كما سنبينها ان شاء الله تعالى . وقد دخل عليه الدينان اليهودي والصالح في بلاد العرب والمجوسي في بلاد الفرس والبرهمي في الهند وافغانستان والبوذي في الهند واطراف الصين والابراهيمي الخليلي

في بابل وفلسطين واللوطي في سدوم وعمورة واليونسي في نينوى والشعبي في اطراف بلاد العرب والشام والموسوي في مصر والشام وسورية وبعض بلاد العرب الى ان اوصله سيدنا سليمان الى العراق واطراف فارس والمسيبي في مصر والشام واوروبا وبعض بلاد العرب والاسلامي في جميع بلاد العرب والعراق وفارس والعجم والافغان والهند ومصر والسودان والغرب والاناضول والتركان وجزائر البحر الابيض . وغيرها مما حل فيه من بلاد آسيا وافريقية واطراف اوروبا . وكذا دخلت عليه الاديان الالهية في اقطاره كذلك دخلت على فروعه المزجية بعد ان دخلت هي عليه . ولم يشغل احد من المرسلين عليهم الصلاة والسلام بالحكميات، مثل ما اشغل بها سيدنا سليمان فانه اشغل بها اشتغالا عظيماً ورخص في الطب منها ودون كتباً في النباتات والعقاقير وتصدى لتعليم الطب بنفسه وعنه اخذ الفيلسوف سقراط وغيره فهو ثاني اثنين اشغلا بالحكميات ادريس وسليمان . وقال بعض العلماء ان هودا اشغل بالعلوم الحرفية والوفقية وان صالحا اشغل بها ايضا وان بعض انبياء بني اسرائيل اشغلوا بالطلاسم والزيارج ولكن هذه الدعوى تحتاج الدليل الذي يثبتها وليس في وسع اثباتها من طريق الظاهر والاثبات بالكشوفات الفتحية غير مقبول عند من لم يعاندها وذلك كثير في الناس . فاكتف الآن بهذا المختص الموجز ولعلنا نوسع الكلام فيه عند مناسبة أخرى .

ه . غ .

ارج افكارك الآن حتى آتيك فاني متوجه الى طنطا لاستحضار بعض ضروريات المنزل واعدود بعد غد فاشغل بكتابة ما دار بيننا ودونه في كتاب

لئلا يذهب عمك بعض المطالب بطول العهد بها وهل يلزمك شيء  
غير الدخان

ش

يلزمني نصف اوقية لودنم واربع اواق من ماء الورد لأصنع منها قطرة  
عين وزجاجة مغنيسيا ( مانيزيا ) مكلسة وقدر خمسين جراما من مسحوق  
الراوند لأصنع منها مركباً معدياً فان عندي ضعفاً في المعدة ولا بأس من  
استحضار زجاجة مداد وجانب ورق وانلام فاني اصنع الخبر من هباب  
الفرن واضيف اليه بعض قرظ السنط وليس عندي من الاقلام غير اقلام  
الحجناه القريبة الحفاء والورق الموجود عندي رقيق جداً لا ينفع في كتابة  
الكتب واذا اشتريت لنا بعض الجرائد العربية كنت متفضلاً فاني  
مشارك في جريدة الوطن باسم غير اسمي ولكنني احب الوفوف على الاخبار  
اليومية لذلك

٦ . غ .

الجرائد المحلية ليس فيها شيء الآن غير الخط على الثائرين واغراء  
الحكومة على الانتقام وتشديد العقاب فليس فيها شيء يمسك ولا يمكنها ان  
تتكلم في الامور السياسية باللسان الذي تتكلم به جرائد اوروبا فاننا نترجم لك  
التمس والدا النيوز والدالي تلفراف الانكليزية والديا والريبيليك فرانسز  
والفيجارو الفرنساوية فاني مشترك فيها ويكفيك ان تقف على حقائق  
السياسة من هذه الجرائد اما الوطنية فاني لا احب ان تكدر فكرك بما فيها  
ومع ذلك فاني استحضر لك عددًا او عددين من الاهرام فان استحسنتم ما

فيه اشتركت فيه باسمي وجئتك به كل يوم  
ش

لا بأس من استحضاره فاني احب ان افف على الاخبار المحلية كائنة ما  
كانت ولا تظن اني اتكدر بما في الجرائد بما لا احبه فاني اعلم ان الحوادث  
تقضى على المحررين بصرف الانكار فيها  
محادثة

غ . كيف حالك اليوم وكيف حال معدتك لعلاك بخير . ش . الحمد  
لله على كل حال بعد قيامك امس وجدت الاعراض الخفية الحذت في  
الزيادة واحسست بالآلام في قسم البطن فعلمت ان هذا من تعاصي الطبيعة  
عن البراز فقلت للصديق اطلب لنا جانباً من مش الحصير (مصل اللبن)  
وان كنت اعلم انه ردي الكيموس (الحلظ) وقد يضر بالمعدة ولكن لعدم  
وجود مسهل او ملين عندي استعملته ففاد الطبيعة بعد الاستعصاء وخفت  
الاعراض العصبية وفي الصباح تازات قدحاً من اللبن البقري ولم اتبعه  
بشيء فاجدني الآن معتدل الحالة متقدماً للصحة . غ . حضرة السبت تسأل  
عن صحتك وتكدرت كثيراً عند ما قلت لها انك معتل الجسد الآن لعدم  
الرياضة البدنية وتوالي المهوم والمكدرات وكانت همت بالحضور معي  
لزيارتك ولكن جاءها تلغراف من عائلة الخواجا . . . . بمصر يعلمها انهم  
قادمون بواور اليوم لتغيير الهواء عندنا اياماً فتأخرت لتجهز البيت وترتبه  
وتهيئ ما يازم للطعام والشراب وكلفتني ان ابري لك تأثرها من صعوبة  
حالتك وتكدرتها بما ألم بك من الضعف . ش . اشكر لك صنعك الجميل

وعنايتك بمن فقد الثقة من كل انسان وخاف كل صديق وظن ان الاحباب صاروا اعداء بل هم كذلك الآن حقيقة او تظاهراً بما يخلصهم من النسبة اليها ولو علمت اني لم اخبر والذي الرحيم واخي الشقيق الشفيق بكاني ولا علم لم بوجودي لعدم ارسالي اليهم لا للخوف منهم بل للخوف عليهم لعلمت قدر ثقتي بك التي لم اخطيء فيها . غ . ولم لم ترسل خيراً لاهلك ليطمئنوا واي شيء تخوفه عليهم . ش . هم الآن مخاطون بالجواسيس والعيون ما ينطقون بكلمة الا كتبت عنهم ولا يخفون خطورة الأعداء عليهم ولا يتحركون حركة الا سئلوا عنها وما طرق بابهم طارق الا سئل عن سبب وجوده على هذا الباب ومن اين اتى ومن يعرفه فاذا تحايل رسولي ووصل اليهم واخبرهم خبري سكن روعهم واطمأن خاطرهم وذهبت عنهم حالة الملح والخوف التي هم بها الآن . فتتفرس الناس فيهم انهم وقفوا على حقيقة ولدهم ومكانه وربما انجز الحديث مع بعض من يدعي المحبة والالتصاق بهم فيعثر اللسان بكلمة تدل على وجودي وينتشر هذا الخبر عنهم فيؤخذون الى السجن والاهانة ويقعون فيها هو شر من وجدهم على حال جهالهم بكاني . وهناك داع آخر وهو اني اعتقد اعتقاداً جازماً ان الله تعالى حق لا شك في وجوده وتصرفه في خلقه بما يشاء ويختار وان الرسل صادقون وشريعتنا حقة لامية فيها وقد اخبرتنا ان دعاء الوالدين يجاب عند الله تعالى فما دمت مجهول الحالة عند الاهل فانهم يدعون من صميم افئدتهم ويبتهلون الليل والنهار لا يفترون ويكون الدعاء مصحوباً بمبرات وحسرات وتواصل زفريات وهذه حالة تحرك سلسلة الاجابة ونزول الرحمة على ولدهم الذي منهم فضايله النوم والطعام

والشراب فاذا ارسلت اليهم خبراً بوجودي واطمأنوا فترت همهم وسكن  
غليان قلوبهم وجمدت نار الخوف وكفوا عن الدعاء او يدعون بهمة ضعيفة  
لقلبة الاطمئنان عليهم فلم تين العاتين لم ابعث اليهم احداً وعسى ان تخف  
حالة البحث وتنصرف الافكار عنا بطول العهد فابعث اليهم من يدخل عليهم  
السرور والفرح بما يخبئهم به من وجودي حياً آمناً مطمئناً لا يغيب عني  
شيء سواهم . غ . عند ما كنت في طنطا امس سمعت عنك اخباراً كثيرة  
من الناس فمنهم من يقول انك ركبت مع العرب وخرجت الى الصحراء  
لتسافر منها الى الغرب الأقصى . ومنهم من يقول انك مت في التل الكبير  
ومنهم من يقول انك بطرف احد فواصل الدول فكنت اسمع واضحك وتعجب  
من جرأة الناس على الكذب . ش . ونحن ايضا سمعنا اول امس اكدوبة  
غريبة وهي ان رجلاً دخل المضيفة وقعد مع صديقنا وكانت مزدحمة بالضيوف  
ثم قال ان عبد الله نديم عند السلطان الان فقيل له من اين انك فقل  
انه توجه من دمياط الى الشام براكب البرنقل ثم سافر من بافا الى اسلامبول  
فلما صار فيها صعد على ماؤنة بالقرب من سراي السلطان بين العصر والمغرب  
ونادى بالأذان فلما سمعه السلطان استحضره وسأله عن هذا الأذان فقال  
له انما اذنت لسمع مولانا السلطان ويدعوني اليه انا عبدكم عبد الله نديم  
المصري فقام السلطان واخذه بالحض وقال له الحمد لله على سلامتك يا ابني  
ما اصل حكايتهم وكيف انكسرت العساكر المصرية فقص عليه الخبر من  
طقطق لسلامه عليهم ففرح السلطان به واكرمه وامر ان يخدموه في خدمة  
عظيمة فلم يقبل الخدمة وقال انا احب ان السلطان يبعث معي عن كركر البصر



ومراكب ليخلص لنا البلاد من ايدي الانكليز . فضحكت عند ما اخبرني صديقي بهذه العبارة ورايت ان الانسان لا يتصور غير ما علمه وما يجر اليه علمه بطريق القياس فان مثل هذا القائل اذا لقي صاحباً له 'عزيزاً اخذه بالحضن وسلم عليه وقال له الحمد لله على سلامتكَ يا ابني فقاَس ما يحصل من الملوك العظام على ما يحصل منه وتصور ان السلطان الاعظم قال لي تلك العبارة . ثم لعدم وقوفه على الاحوال السياسية تصور ان السلطان لا علم له بالمسئلة المصرية وانه سألني عما جرى ولو علم ان المخابرات السياسية ممتدة بين السلطان ومصر من بدء الخلاف الى الحرب وماجرياتهما وان درويش باشا كان نائباً عن الحضرة السلطانية في مصر وكان يكتب الكليات والجزئيات لما حكم بما حكم او لو كان ممن يقرؤون ويكتبون ورأى المنشور الصادر من الدولة بمصيان العرايين لتحقق ان كلامه محض كذب وافتراء ولكن جهله حمله على تجهيل من لا يجوز تجهيله وتصور ما لا يمكن وقوعه . وجاءنا رجل آخر فقال انهم ضبطوا عبد الله نديم من بيت رياض باشا فتأمل الغلو في الكذب اذ تصور اني ادخل بيت دولة رياض باشا في هذه الحالة الخطرة مع اصداره منشوراً بالبحث عني ومع وجوده في الحكومة . فانه ان سلم عاقل ان دولته ربما اخذته الحمية عندما اذهب اليه مستجيراً به فيغض عني الطرف فلا يسلم انه يبقيني بمنزلة عرضة للناظرين ولا يسلم كذلك اني اذهب اليه في هذه الحالة مخنياً به لوقوف الهواجس السيئة بين الانسان وبين الثقة بالرجال في وقت المصائب . وكل يوم نسمع اخباراً غريبة لو بسطتها لك سمعت عجباً . وهذه عادة الناس في كل وقت حصلت فيه امور خفية عن العامة

فتكثر الهواجس والظنون تصوراً واقتراءً . ولذا ترى التواريخ الشرقية والغربية ممتلئة بالآخبار الكاذبة عن الحوادث والوقائع لتلقف المؤلفين تلك الآخبار من أفواه الناس حتى لو تلبى المؤرخ الآخبار عن مصادرها الاصلية فإنه لا يسمع منهم الا ما ارتضوه لانفسهم وما يحبون ان ينشر عنهم . اللهم الا ان يكون حضر امر او وقف على حقيقته بنفسه فإنه يكتبه على ما هو عليه ولذا قال بعض علمائنا

وليعلم الطالب ان السيراء تجمع ما صح وما قد أنكرا

غ ٧

قد فرغنا من الدين الاستدلالي العقلي الاصيل وعلمنا الآخذين به والاقطار التي دخلها والأديان التي دخلت عليه وتنقله بين الطبقات الاربع حتى تحول من الاصل الاعتقادي الى الصورة العلمية ووقفنا على تصرف العلماء فيه ونقسيمه . فهل عدت عصيته بارة او بقي لما اثر في العالم واين يوجد هذا الأثر وهل هناك من يتظاهر به ويعلم اصوله في مكان خاص ويتكلم بعقيدته بين الناس سواه كانوا من اهل ملته او من غيرهم

ش

كنت احب ان تؤخر هذا السؤال حتى اقدم لك فروع المراجعة فائنا بصدد تفريز الأديان على ما كانت عليه قبل هذه العصور الاخيرة وهذا الذي تطلبه هو ما عليه رجال هذه العلوم الآن من بقاء البعض على عقيدته الشرعية وهدول البعض عنها بالوهميات او الظنون او المشاهدات ووقوف هذا الاخير عند المحسوسات وانكاره كل ما لا يصل اليه حسه فان رايت تأخير الجواب

حتى نصل اليه حفظاً لنظام العبارة فاعدل عن هذا السؤال الى غيره

غ

لا بأس من التأخير فإن انتظام سير المطلب ابعده عن تشتيت فروعها وواقع في النفس فهات الآن فروعها المزجية وعصبياتها واقطارها والاديان التي دخلت عليها وما ذهب منها وما بقي لنفرغ من باب التأسيس الى العصبية الحاضرة ونقلب المسئلتين الشرقية والغربية وانقلاب الاحوال بهذا التقلب الدائم والتزم الاختصار فاني اكتفي بذلك كما يعلم منها ما تناوله اهل العصور الأولى من الاديان تيمياً للباب

ش

قدمنا ان الطبقة الثانية اختلفت بادي بدء ثلاث فرق وكل فرقة وضعت اصولها على قواعد ثابتة في زعمها حقيقة في وهمها واحكمت الادلة والبراهين فجاء على اثر كل فريق كثير من الامم واخذوا بمذاهبهم ودانوا بها ثم اختلفوا فرقا شتى بحسب الابحاث العلمية او الفراغ منها فمن الذين انشقوا بالبحث العلمي قداماء علماء النجوم فانهم نظروا في الكون السفلي من حيث تأثير الكواكب فيه بتسوية المعادن وحفظ الاجسام الحية وتصفيد البخار وتبيد الدخان ونقطيره وانفصال العناصر عنها واطالوا البحث والتدقيق بقدر قواهم العلمية اذ ذاك فادام البحث الى اعتقاد ان الكرة الارضية تسخن بالشمس وتبرد بالقمر وتبيض وتحمض موادها بزحل وتحمض وتملح بالمريخ وتحمض وتبيض بالمشتري وتصفو من اخلاطها بالزهرة وتمتزج ببعضها بعطارد وتخلع صورها الهولانية بالثوابت وتدخل الكون الظهوري بالحيط وان هذه الافلاك قامت

بأفعالها حال اشراق الكواكب على العالم الأوسط فتعارضت طوارثه وانفعلت لهذه  
المؤثرات انفعالاً تخلخلت به الأغوار تخلخللاً نفذت منه الأشعة والاهواء في  
الطبقات الأرضية وتصعدت منه الابخرة الصاعدة من الحرارة المركزية لبطن  
الأرض فطردت الأشعة البرودة الى الأغوار وصعدت الرطوبة في محيط الكرة  
وسقوف الكهوف والمغارات فجفت الجبال وتراكت الابخرة تراكمًا كَوْن الحر واليبس  
فتجاذبا اطراف المواد الكروية تجاذب اخصاص وانفعال بالتفاعل الحاصل بينها  
فحدث الكبريت والزئبق والأملاح من الانفعال لهذه المؤثرات وتجاذب  
الوالدين الكبريت والزئبق وزيادة الأول عن الثاني في موضوع والثاني عن  
الآخر بحسب الطوارئ وانفعال المواد لها بمساعدة محلول الأملاح تم تكوين  
المعادن مختلفة باختلاف مراتب اجتماع هذين الاصلين . وبالسقي المزجي  
والاستمداد الطبيعي والتأثير الفلكي تخلصت النفس الكلية السارية في  
الكائنات واثرت في العناصر تأثيراً اوجد فيها قوى التدافع التي امتدت  
العالم الأرضي بالمجورة والمقابلة والتماس حتى قويت بالتطابق  
على التفاعل وانقادت للانفعال وتم تكوين النباتات البحرية ثم  
الاسماك ثم الحشرات الذرية ثم الطيور ثم النباتات البرية ثم ذوات الابدان  
من الحيوان ثم بقية الحيوان ثم الانسان . وعلى هذا الخد وقفوا وجعلوا  
الموجودات الأرضية اثراً للكوكب العلوي ( الشمس ) عند قوم وللكواكب  
بتوزيع التأثير عليها عند آخرين وغفلوا عن قول الحكماء الآخذين عنهم  
( ان المطلق في البساطة لا يتصف بصفات المركبات فتفاعل الفلك وانفعال  
المركبات راجعان الى المجردات وهي الى الآله الصانع فلا طبع في المركبات

استقلالاً ولا علة في الأفلاك استناداً فان المركبات مخترعة الصور قبل مادتها التكوينية والفلك دال على الحدوث بما اودع فيه من جانب المجردات المؤثرة بالفعل الإلهي لا ان الفلك محدث بالذات فاعل بالاستقلال) وبهذا حكمت هذه الطائفة بان الكواكب هي المديرة لهذا العالم البديع المثال وعنهما تصدر الخيرات والشور والسعادة والنحوس وغيرها من لوازم الاغيار . ثم انقسم الصابئون والكلدانيون في هذا الاصل ثلاث فرق ايضاً فرقة تقول ان الكواكب واجبة الوجود لذاتها غير محتاجة الى مخصص (وهو لآء خالفوا الالهيين في قولهم ان تحرك الافلاك يقضي بحرك ووجود الكواكب في مداراتها يقضي بمخصص يخصص كلاً منها بما هو عليه وما ذاك الا الفاعل المشيء والصانع الحكيم جل شأنه ) وفرقة تقول ان الكواكب هي الآلهة ولكل عمل قائم به في هذا العالم لا يقدر عليه غيره وانها ابدية الوجود ازلية الاولية تجري احكامها لا لغاية (وهذه قصرت فيما اخذته من اصول الحكماء وبقصور افكارها عن مداركهم العالية وقفت عند الحدس والتخمين والظنون الفاسدة فاعتقدوا إلهية مقسورة بفعل مبدعه متحرك بمراد غيره شأن الفراغ من المعدات العلمية والدور مع الخيالات الوهمية ) وفرقة تقول ان لهذه الافلاك والكواكب الهاً مبدعاً فعلاً اعطاها قوة عالية وإرادة ذاتية نافذة في هذا العالم السفلي وفوض اليها تدبيره فهي تفعل في العوالم الارضية ما اوجدها الله تعالى لأجله . وان الانسان تبلغ روحه بالتصفية والرياضة الشاقة ومصابرة الجوع والعطش وتلطيف الغذاء وعدم تناول الروحانيات وما خرج منها الى حيث يقدر على الإيجاد والاعدام والإحياء .

والإيمانية وتغيير البنية والشكل وتسيير السحب وانزال الصواعق وغير ذلك من الاعمال التي يفعلها الروحانيون بتعريج القوى العلوية بالقوى الأرضية (وهذه أوهام لا حقائق لها إذ لم نر في الوجود فرداً ينطبق عليه هذا الظن الفاسد وإن عدوا معجزات الأنبياء من هذا القبيل كذبيهم اختلاطهم بالأمم واتفاقهم معهم في المآكل والمشرب والمجامع ولم يعتكف أجدهم بصومعة ينفرد بها عن الناس ولا ارتاض رياضة كوكبية أو خلوة بحرية بل كانوا كأهم من أفراد الناس في تناول ضروريات الحياة ومع ذلك كانت تصدر الخوارق على أيديهم في ملاء من الأعداء والمعارضين من تحيز ابداء أي فعل أو قول يوهم حدوث المعجزة به ولو صدر عنهم فعل بتعريج القوى كما تزعم هذه الفرقة لكان ذلك كافياً في تكذيب معاصريهم لهم واقامة الحججة عليهم ولم يسمع عن رسول منهم أنه فعل ذلك فما تصوره هذه الفرقة مجرد وهم غير مستند لشيء من الصحة) وعلى هذا فإن هذه الفرقة نقول أيضاً إن الأنبياء من قبيل خواص الحكماء البالغين مبلغ خلع توجه النفس من الحيوانية إلى الصورة الملكية وبمناية الطوالع السعيدة يقتدرون على تهذيب الإنسان بدوال ترشدهم إليها توجهاتهم العلية فتؤخذ عنهم التعاليم الأدبية لتخليص النفوس من شوائب الأغيار لآعلى إن تلك التعاليم الختفاً إلى من الذات الإقدس أو خطاب منه محتجين بأن الإنسان إذا كانت غاية أفعاله موقوفة على فرد أو أفراد منه كان صدوره عن الله تعالى فيما دون درجة الكمال فيكون مكمله حائزاً للعناية فوق عناية المبدع وهذا غير مسلم عقلاً وإذا انتفى هذا وثبت وجود الإنسان كمال الحواس قبلاً لترقي الكمالات فيه لذاته بتجرده

وارتياضه بطل ارسال الرسل عن الله تعالى وثبت كمال الداعين في ذاتهم اذ ما بينهم وبين مغايرهم الا الصوارف الطبيعية (وفاتهم في هذا الزعم ان افراد الانسان لا تنفق في طبائعها واخلاقها فان الله تعالى خلق اهل كل اقلين في طبائع واخللاق تغاير طبائع واخللاق غيرهم وميز الافكار والعقول فاوجد الضعيف منها والقوي والذكي والبليد والنشيط والكسلان وفرق بين اهوائهم واميالهم فمنهم من يميل الى العلوم ومنهم من يميل الى الصنائع ومنهم من يميل الى الزراعة ومنهم من يميل الى الملاحة وكل فريق مختلف في ميله الى فن مخصوص او فنون متعددة وهذا التباين يفضي باستحالة قيام فرد بعمل لم يتفق فيه مع قومه الابداعية فاعل آخر . ومن اين اتى للمرتاض منهم ان الرياضة موصلة لاحداث الخوارق من غير ان يفقد غيره فيها او يبلغه عن الغير كيفية العمل وبهذا نعلم صدق الرسل واستحالة الكذب عليهم وان الانسان قابل لترقي الكمالات فيه بالتأقين والتعميم لا بالذات فانه فارغاً عن التعاليم حيوان اقل درجة من البهيم الساري في اعماله خالف الالهام الالهي ) وعلى هذا نرى ان المذاهب الحكيمية الاصلية تفرع عنها ثلاثة مزجبة استدلالية تصوري وهو القائل بقدم الكواكب ولزمه القول بقدم العالم تبعاً لها . واستدلالي وهمي وهو القائل بالهيتها . واستنتاجي اجتهادي وهو القائل بثبوت الفاعل جل شأنه وتفويض التدبير الى الكواكب وكمال الانبياء في ذاتهم والكل ممزوج بالاصل الحكيم . ناشي عن دور الافكار في كل امة وزن على مبدع هذه الكائنات ومخترع هذه الصور العظيمة واقوف العقل عما وراء مداركه من الافعال الالهية بعثر كثيراً في هذا الطريق ويصدر عنه تصورات وهمية وكلها

رتقى الانسان في النظر العقلي كلما ترقى معه الهواجس والظنون وهذا الذي سار بكثير من الناس قديماً وحديثاً في طريق الشكوك والالوهام فهلك من هلك ونجا من نجا

وهذه الفرق وجدت لها عصبيات في بلاد العرب والفرس والكلدانين فاجتهد العرب في بناء الهياكل العظيمة للشمس وجبوا اليها وفربوا فيها القرابين وذبحوا لها الذبائح واعتكفوا حولها متمعبدين وكانت سلطنة هذا الاعتقاد في قبائل سبأ الحميرية فلما تهدمت سدودهم وسالت عليهم السيول تفرقوا في اقطار متباعدة ومعهم اصول دينهم فبشوها في القبائل التي نزلوا بأوديتها والطوائف المساكنين لهم وعنهم انتشر في معظم بلاد العرب وانتقل الى اطراف بلاد الحبشة واخذ عنهم الكنعانيون عند نزولهم باراضيهم وامتد من سورية الى جزائر الروم على ايدي الفينيقيين وعن الفرس اخذ الافغانيون وعنهم انتقل الى الاقطار الهندية وبنيت له كذلك هياكل عديدة في سورية والشام والهند وبقي ظاهراً معمولاً به الى ان دخل عليه الدين الموسوي في سورية والشام والمسيحي فيها وفي بعض بلاد العرب والاسلامي في جميع اقطاره ثم انتهى امره بانتقاله الى الصورة العلمية وبقيت المسئلة الاعتقادية منطوية تحت مؤذي عباراته وقواعده يعتقدها قوم وينكرها آخرون ، وقد نقضت الطبقة الاخيرة كل ما اسسته الطبقة الاولى واثبتت من السيارة وسيارة السيارة ما لم يكن في حساب المتقدمين فانخرمت قواعدهم وانهدمت اصول عقائدهم وبقي العلم آخذاً في التقدم والترقي غير واقف عند حد فكما تعددت المراصد وكبرت المعظمت البلورية وتعددت الراصدون في اقطار



متباينة تقدم الفلك نقداً عظيماً وظهرت خفايا العالم العلوي بالنظارات العظيمة وانكشف للفلكيين من الكواكب وغرائبها ما لو ظهر للمتقدمين لبهرهم وزادهم حيرة . ولو انصف المتقدمون والمتأخرون انفسهم لقطعوا بان وجود هذه الاجرام العظيمة بعوالم العديدة والاسرار البديعة والافعال الغريبة مع اختلاف الاجناس وتنوع الصور والأشكال لا يكون الا اثرًا لمؤثر . وليس المؤثر مجموعها بعد ثبوت احتياجها الى بعضها ولا جواهرها الفردة فان كل جوهر محتاج لمخصص يخصصه مع احتياجه الى المكان والزمان وجواهر المكان كذلك محتاجة الى مبدع مخصص وليس ذلك الا الله تعالى . والقول بوجود الكون صدفة بعيد عن التصور العقلي فان اختلاف العناصر وتنوع الاجناس والصور مبطل له مثبت للفاعل المختار والقول بالطبع كذلك منقوض بالخوارق المسماة في عرف اهلها بفلتات الطبيعة لعدم سريان الطبيعة على نسق يقضي بيزور الاشياء محفوظة الصور ولا يخلصنا من هذا قولهم ان الطبيعة بلاها تصدر عنها فلتات لاحتياج التكوين الى فاعل مختار عليم قادر حكيم لا يصدر عنه العيب ولا تتشوش عليه المطالب ولا تغالبه الطبيعيات وما لم اذا رجعوا بالموجودات عند انتهاء سلسلة الممكنات الى واجب الوجود سموه طبيعة ولم يسموه الهاً والعقول لا تأتي ذلك ولا تراه بعيداً عن التصور بعد اقامة البرهان عليه . ومن فروع الاستدلالي العقلي فرع العقلي التنزيهي وهو مذهب الناظرين في إلهيات الحكماء مقتصرين على البحث في الموجودات علوية وسفلية من حيث افتقارها الى افرادها بسائط ومركبات وعدم قيام فرد منها بنفسه فضلاً عن غيره سواء كان فلکاً او كوكباً او عنصراً او حيواناً او نباتاً

او جماداً فقطعوا به قطع به الحكماء من احتياجها الى صانع حكيم مبدع لموادها  
 مخترع لصورها موجود لا جناسها معاير لما خارج عن سلسلتها الامكانية مدبر  
 لظواهرها مؤثر في تفاعلها وانفعالها مدير لحركتي الابداع والاعدام غني عن الشريك  
 والمعين منزه عن العجز والاكرام والغفلة والذهول والاغراض والحلول والاتصال  
 والانفصال . ثم حكموا باستحقاق هذا المبدع العظيم والصانع الحكيم للعبادة  
 والخضوع والرجوع اليه استغناء واستعانة وتضرعاً واستغفاراً ومن هذا  
 الفرع فرع البراهمة ولكنهم عند ما رجعوا الى قول الحكماء في السياستين  
 النبوية والملكية نظروا الى الانسان من حيث تساويه في الخلق وفطرته على  
 قابلية الادراك واستعداده الى التوجهات العلية ووصوله الى مدارك النفوس  
 العلوية ومخاطبة الجمادات والافلاك والحيوان وقلب الحقائق قلباً صورياً  
 بالرياضة الطويلة والمجاهدات الشاقة والبعد عن الحيوانيات النازلة به الى  
 حجب الموانع السفلية واشتغاله بالنفسيات الواصلة به الى التجرد ومشاكل  
 الاجرام العلوية واستخدامها في اغراضه ووسائله وانه متحد في هذا للناسب لا  
 يختلف فيه فرد من الافراد فجعلوه محتاجاً في جميع احواله الى الالهات الالهية  
 من غير تفاضل ولا اختصاص سماوي في افراده لاستحالة الاختصاص والغرض  
 على الصانع المبدع بتزييه عن الاستعانة ببعض افراد خلقهم من غير احتياج  
 اليهم لمداية خلق عظيم يقوم الهامه فيهم مقام الهادي والمبلغ فوافقوا بعض  
 الصابئين والكلدانيين في بطلان ارسال الرسل عن الله تعالى . وقد تقدم  
 نقض هذا القول واثبت احتياج الانسان الى رسول يختاره الفاعل المختار  
 ولكنهم خالفوا الصابئين والكلدانيين في جعل الكائنات اثر الله تعالى من

غير اشتراك منها في إيجاد أو اعدام . وجعلوا الانبياء عليهم الصلاة والسلام من قبيل الحكماء البالغين مقامات الكمال بالرياضة مما هو في قابلية كل فرد من افراد الانسان فطرة وجبلة لو ارتاض مثلهم وان من ساعدته القرانات العلوية مولداً وظهوراً . كان مقبول الحجة واسع الملك ومن لم تساعده وقف عند حد الدعوة والمجادة والاستعانة باستخدام رياح او صواعق دون ان يبلغ الانتشار فهم عندهم خواص ينظر اليهم بعين الاعتبار لا الاتباع ويؤخذ ما يلقونه من التعاليم من قبيل التهذيب والارشاد لا من قبيل اعتقاده وحيثاً سلبوا منزلاً من الله تعالى . وعند ما نظروا في قول الحكماء في علمي الاخلاق وتدير المنزل « ان الانسان لا يميل الى الاقتران بانسانه الا بدافعة طبيعية وادوار الطبيعة غير مضبوطة في الانسان بما تدعو اليه متناولاته البدنية فيستحيل عليه ان يسوي بين انسانين في ميله الطبيعي ويجب ان يقتصر في الاقتران على واحدة دفعا لرديلة الظلم عن نفسه وسلب حقوق المغضى عنها منهن وتحصيلاً لفضيلة الائتناس وتأليف النرية بتوحيد الاصلاب والارحام» قالوا اذا كانت ادوار الطبيعة لعدم امكان ضبطها واختلافها باختلاف متناولات الذات كماً وكيفاً نقضي على الانسان بعدم العدل في زوجتين سامعتين لامره فحكمها عليه بتوزيع امياله في الخارج انساناً كان او انسانة امن باب أولى . واذا ثبت توزيع امياله فيمن يراهم خارجاً عن حوزته فالزامه بتركها مع اندفاع طبيعته بها اظلم وحكموا بجواز التعدد وحل المباشرة باتفاق المقترنين على اي دين كانا وبأية صورة شاء وبهذا انتقل دينهم من الاصل الاستدلالي البحت الى المزجي التنزيهي . وفاتهم ان الرجوع الى الطبيعة في

استرسال الانسان خلفها مفوت لفضيلة العقل فيلحق الانسان بالبهيم على ان من البهيم ما يلزم قرينه ويفار عليها ويقا تل دونها وبةتلها اذا باضعت غيره ويقتل الغير اذا دنا منها فيكون الانسان في هذا الباب احط درجات من البهيم ولا يرضى بهذا الا من نزلت مداركه العقلية عن درجات الكمال وكيف يسترسل الانسان خلف طبيعته الحيوانية ولا يرى قبح مباضعته لقرينه غيره وهو يرى قبح مباضعة الغير لقرينته ام كيف تسترسل انسانة خلف طبيعتها وترضى بافتراش غير قرينها لها وهي ترى قبح افتراش قرينها لغيرها وتكاد تاكله غيرة منها عليه . ولا يقال ان الاقتران بشنتين او ثلاث من هذا القبيل فانا نقول ان الوجهة التي بها اقترن بالزوائد معلومة للقرينة الاولى من طريق مألوف بين عشيرتها وليس ما يفعله استرسالاً خلف الطبيعة وانما لكون القرينة قد تكون على غير صورة القابلية للمباضعة حال احتياج القرين الى صرف المادة المعدودة من الفضلات الضار تأخيرها اذا كانت في حيض او نفاس جاز له الاقتران بما فوق الواحدة الى الرابعة عندنا والى ما فوقها عند غيرنا فراراً من العيث في الاعراض وخلط الانساب وضياع الابناء في الارحام المستعارة ولكون الرجل لا تعتربه هذه الموانع لم يرخص للقرينة في الزيادة عن واحد وبالجملة فان هذه اوها م جروا فيها على افكار واضع المذهب ايام الفراغ من المواد العلمية

ومن فروع الاستدلالي الاشراكي وهو دين الباجنين في كتب الحكماء مقتصرين على مبعثي التكوين والخير والشر فالاول اقتصروا فيه على النظر في انفصال الحرارة التكوينية من ممكن المصادر الاول ثم تدرجها الى

الحرارة المركزية بالنسبة الى بطن الارض ومحيط سطحها وعدم امكان استقلال الارض بذاتها وظهورها ربوات وجزائر وجبالاً وهضاباً وصحارى في وسط البحار السائلة من غير مساعدة الحرارة وارتباطها بها وانجذابها اليها باتصال الاشعة ثم نظروا الى الانسان من حيث تركيبه وما اشتمل عليه هيكله من الاجزاء الارضية وتسلطها عليه مع العلويات قبضاً وبسطاً وحركة وسكوناً وتوزيعاً في اصوله المواليد حتى استوى بشراً وقام انساناً نامياً حساساً درأكاً فعلاً بالارادة فجعلوه ابن الارض وهي بنت الحرارة المقابلة للقدرة الالهية فاتخذوا النار التي هي اثر الاله وفيها صفة التكوينية دالاً على معبود وبتقديم الزمن وكثرة تصرف الرؤساء في هذا الاصل افرقوا فيه فرقاً واختافوا قولاً حتى قالت فئة ان النار معبود قائم بذاته . وعند ما نظر قدمائهم في قول الحكماء « ان الله تعالى بتوحيد ذاته جهة واعتباراً يستحيل صدور التكثر عنه » قالوا ان حدوث الخير والشر عنه هو عين التكثر في امكانه واذا بطل التكثر عن واحد جهة واعتباراً لزم الحكم بوجود فاعلين يصدر عن احدهما الخير كله وعن الثاني الشر كله وانتهى بالتأخرين الامر الى ان صوروا صورة زعموا انها صورة الاله وعلى كتفها صورتا الخير والشر وبنوا لها الهياكل العظيمة والمعابد المشيدة ثم توسعوا في الفروع الى ان صار على ما هو عليه الآن . اما عصبياته فسندكرها عند ما نفرغ من الفرع الاستدلالي المركب ان شاء الله تعالى

غ ٩

أخر الآن هذا الفرع حتى ينتهي مجلس صديقنا فقد جاء ليقعد معنا

ويحدثنا ولكنني أسألك عن امر بدا لي في كلامك قلت في صدر العبارة عند ذكر رياض باشا لوقوف المواجهين بين الانسان وثقته بالرجال ففهمت من كلامك ان لك اعتقاداً في هذا الرجل غير الذي اعتقده فيه فاكشف لي عن باطنك فيه وقل ماشئت فاننا في مكان لا تنقل عنا فيه اخبار ولا نخشى له سطوة لعدم علمه بنا ولست جاهلاً بالرجل وما هو عليه ولكنني احب ان اعرف اعتقادك فيه

ش

يا حضرة الخواجه تعلم قدر شدتي وكربي وشدّة تضييقه عليّ بالاوامر الصعبة حتى يتخيل للواقف على الحال اني لا اذكره الا بسوء في هذه الحالة ولست الرجل الذي تحوله العوارض عن قول الحق ان ( دولة ) رياض باشا احد الرجال المدربين على الاعمال السياسية والادارية بل هو الرجل الصبور على الشدائد الذي لا يقابله مصري في اعماله فانه عند ما تحال عليه ادارة تراه يكتب بيده قدر خمسة كتاب من عماله ولا يترك من الاعمال دقيقاً او عظيماً الا يعمل فكره فيه بحيث لا يكون لعامل من العمال الذين دونه ادنى تصرف في شيء وهذا امر يستدعي صرف الوقت في مراجعة اوراق وسماع محادثات فاذا انصرف الى بيته اخذ في استدعاء الرؤساء وكثير من العمال للمفاوضة او السؤال منهم عن امور تعرض له فتراه مشتغلاً بما يبط به الليل والنهار وربما ادركه النوم وهو في محل الاستقبال فينام وهو قائد ويكتفي بذلك ولقوة جاشه كان يعارض افندينا اسمعيل باشا في كثير من الامور حتى قال بعض النوات العظام اننا عند ما شكل المجلس الخصوصي

كنا ندخل والاختتام بأيدينا فما يستطيع احد ان يفتح فمه بكلمة معارضة فيما يراه ضاراً بالبلاد أو العباد الأرياض باشا وهذه صفة لازمة له وفيه عفة ونزاهة نفس فانه ينزل نفسه منزلاً رفيعاً عن منازل الذوات والاعيان فلا يرضى ان يدنس مجده بما ينزله عن تلك الخطة التي اختطها لنفسه فتراه يحيط مظهره بتغلبه على شهواته وله تاريخ طويل وسعي عظيم في البلاد واخص اعماله تصفية الديون وترتيب قلم المراقبة الذي كان حجاباً بيننا وبين اطماع اوروبا واشتهر بحب الأثرة في الرأي ولا ارى ذلك الامن عدم اطلاع الناس على همة الرجل فانه كثيراً ما يخفي مقاصده عن العمال ليتوصل اليها بقطع العقبات التي يعترضها القبل والقال فاذا عورض في وسيلة من الوسائل ابي التحول عنها لعله بما وراءها واستره الحقيقة عن المعارض يرميه بصلابة الرأي فلو قالوا ان ذلك من شدة الحزم لصدقوا وسأتيك بتاريخه عندما نفرغ من التأسيس ونصل المسألة المصرية

غ

كلما طالت المذاكرة معك كلما زدت ثقة بك فان هذا الباشا الآن من اكبر الناقمين عليك وانت تقرأ الاوامر الصادرة وتطالع الاعلان الموجود في الوقائع المصرية ومع ذلك لم تتحول عن قول الحق فيه وهذا مما يزيدني حباً فيك

ش

يا خواجه انه ان نعم علي فاني اعذره لامور منها انه ساعدني في الجمعية الخيرية الاسلامية وقدمت اليه قانونها فقرره ونشره في الوقائع وبعث بصورته

الى المديرين والمحافظين والضباط فانصرفت عنها الشبه ودخلها الناس افواجاً ورتب للمدرسة مائتين وخمسين جنيهاً سنوياً مساعدة من ديوان المعارف وقرر ان خدمة الجمعية والمدرسة تحسب لهم مدة خدمتهم من مدة المعاش لآتمكن من استخدام معلمين من افاضل رجال المعارف وعدة نفسه عضواً في الجمعية متبرعاً بخمسة وعشرين جنيهاً سنوياً فتقدمت المدرسة وارتفع صيت الجمعية ارتفاعاً عظيماً بعنايته بي وبها ثم نقلت الاحوال ورائي في طريق لا يرضاه فله حق الحق علي الآن

١٠ غ

وكيف تهوت عن افكارك التي كنت تعمل بمقتضاها ايام اقباله عليك

ش

هذا امر يطول شرحه وملخصه اني كنت احب تعميم مدارس الجمعيات الوطنية لتخلص البلاد من ضيق الامة ودعوت فريقاً من الاقباط وعقدت بهم جمعية قبطية على قواعد الجمعية الاسلامية ليتوحد سير الوطنيين لعلمي ان الحقوق الوطنية لا تعرف الا من طريق العلم ولا تحفظ الا بتوحيد الكلمة ولكن حال بيني وبين الغاية ما لا احب ذكره الآن فنقلت الاحوال حتى انتهت الى ما ترى وفضل الرجل محفوظ عندي ولا استطيع اخفائه وقد تكفلت بنشره صفحات التاريخ - وبالله عليك لا تجربنا الى المسألة المصرية ونحن في باب التاريخ وتأصيل العصبية وخذ بيان ما بقي من فروع الدين الاستدلالي لنفرغ منه الى النظري والاستحساني المسمى عند الاور وباوپين بالفتيشي - هذا الفرع هو الشهير بالبدي او البوذي وهو الآخذ قواعده من



اصول قدماء الحكماء والآلهيين بالنظر في المركبات والبسائط من العالمين العلوي والسفلي واحتياج هذا التكوين البديع والصنع العجيب الى صانع حكيم مخالف لما ابدعه من العوالم قادر على ضبط اضداده المتنافرة وانواع المتغايرة واقتصروا في البحث على مطلب من هو الصانع لهذه الكائنات . وتوزع هذا الدين في اقطار واسعة وعصبيات كبيرة تضاربت فيه الافكار وكثر القياس والتأويل بين الآخذين به بقدر ما وصلت اليه عقول رؤسهم وساسة افكارهم حتى تركب من الحكمة والخيالات الوهمية وانقسم اخيراً الى ثمانية مذاهب فيما يعلم وقد تفرع من كل مذهب فروع شتى يطول بنا الأمر لو تتبعناها وسردناها والاشارة الى الاصول توصل الى معرفة الفروع بوجه التقريب . الاول منها مذهب غودمة . واهله يقولون ان الله تعالى واحد في ذاته والخلق صور تدل عليه وقد اوجد الارواح بادئ بدء عدداً محصوراً لا يقبل الزيادة والنقص وترك الانشاء والابداع بما وضعه في العوالم من القوانين اللانهائية السير وجعل الارواح مرسله في نوعي الانسان والحيوان فهي متناسخة في جميع الكائنات بلا اختصاص نوع منها بنوع من المركبات ووجودها في العالم العلوي قبل تسفلها اكسبها علماً بالضرورات الحيوية فهي في غناء عن مرشد او هاد باستوائها في الدرجة واستعداد كل فرد للترقي الى الكمال . واستدلوا على التناسخ في الانسان والحيوان بان الحيوان توجد فيه قابلية التعليم ومعرفة ضروريات حياته واشتغاله بصنائع محكمة يصنعها في مأواه من غير معلم يرشده . وما كان خلقه مساعداً على مماثلة اعمال الانسان شاركه في معظمها فطرةً وجبلةً وحاكاه في كل ما يصدر عنه من الاعمال

البدنية . وعنده علم بالتوالد بطريق المباضة ومعرفة بتربية الوليد وتعليمه اخلاق ابويه وعادات جنسه . وفيه حنو واثتناس بالانسان اذا تألفه واستماله اليه بالرفق وحسن المعاملة . ومنه ما يعقل عن الانسان ما يقوله فيقف عند ما يقول له قف ويقدم عند ما يستدعيه اليه من بعد ويفهم منه الاشارات اليدية فيذهب هاهنا وهاهنا وينام ويقوم ويمشي ويقف بحسب الاشارات التي يشار بها اليه الى غير ذلك وما ذاك الا بواسطة الروح المتقل اليه عن انسان عامل فيرد على الجسم الذي يحل فيه ما علمه حال ما كان في جسم انساني . ويوجد في الانسان من يميل الى النفرة والعزلة والافتراس والاعتمال وكرهه اصناف من الحيوان او النبات او المعدن مما يكرهه بعض اجناس الحيوان . ومن يميل الى الشجاعة او الجبن او الكرم او الشح او السكون او الطيش او النفع او الضر او الخمول او الظهور او اللين او القسوة او غير ذلك مما هو من خصائص الحيوان وما ذاك الا بواسطة الروح الآتي اليه عن حيوان عدم هيكله . وبطلان هذا لا يحتاج الى دليل فان الانسان كثيراً ما اخذ صنائع عن الحيوان فلا يقال ان روح الانسان بعودتها الى مقرها الاول جهلت ما علمته وهي في الجسم المعار الذي لا قابلية فيه للمدرك بشعاع العلم الانساني . على ان قولهم ان وجود الارواح في العالم العلوي قبل تسفلها اكسبها علماً بالضروريات مبطل لهذا التعليل الذي عللوا به وجود بعض صفات الانسان في الحيوان وبالعكس واعلنا نأتي على شيء من الأدلة بعد ذلك عندما نرى مناسبة لبسطها ان شاء الله تعالى - الثاني مذهب الفو - واهله يقولون بوحدة الاله وجواز تصورهِ في صورة حسناء يبتدعها من غير حلول فيها او في غيرها من الهياكل وانما يقرب

للعقول انهُ بالغ من الحسن والمهابة مبلغ هذه الصورة وان كان بعيداً عن الإدراك في حد ذاته لخروجه عن سلسلة الممكنات وقد ترك الإنشاء والابداع وجعل الأرواح متناسخة الانسانية في الإنسان والحيوانية في الحيوان وهو غني عن الرسل بإدراك الأرواح للملائم والمنافي قبل ان تحمل في هياكلها وبمجرد الاحتكاك في المثل تنصلق مرة ذاتها وتعود اليها علومها الفطرية . وهذا مذهب دخله التصور الاستحساني فصار مركباً تركيباً غريباً اسلخ به عما قبله كما فارقه في تخصيص الأرواح بأنواعها - الثالث مذهب الكنفورة - واهله يقولون ان الله تعالى واحد في ذاته منزه عن الصورة والمهيولي والمادة والحلول وقد خلق الأرواح على صور دبرها واخترعها وجعلها متناسخة بصورة لا تصل العقول الي كنهها وهو غني عن الرسل والمعالمين بما في فطرة المخلوقات من العلم بضرورياتها - الرابع مذهب الولىمائي - واهله يقولون : بوحداية الامرله وتنزيهه عن الصورة والمادة والحلول . ويحكمون بتناسخ الأرواح ايضاً فيما يوافق مظهر هيكلها القاني فروح العالم تحمل في عالم غيره وروح الملك تحمل في ملك خلافة وروح الصانع تحمل في صانع غيره وهكذا فالظاهر العالمية ملكاً وعلماً وصناعة وزراعة وشقاء وسعادة على ما هي عليه في الدور الاول الروحي . ثم يقولون ان الله تعالى يفرغ الكمالات الانسانية في كل زمن على انسان متجرد لعبادته منقطع عن الحيوانيات لينوب منابه في اظهار الغضب والرضا على افراد خلقه بحسب ما ياتونه من الاعمال وليثبت وينسخ ويحل ويحرم من الاحكام ما يناسب الطوارئ الزمانية والمتنضيات الاجتماعية فيتخذون عابداً في كل زمن نائباً في الارض عن إله لا يموت ويعملون بكل ما

يسنه من الاحكام اقر سابقه على ما كان عليه او خالفه في بعض الفروع  
وكلمات عابد اقاموا غيره من الموهلين لهذا المقام مقامه — الخمين  
مذهب السنتوم — وهو يوافق مذهب غودمه في اصل العقيدة ويخالفه  
في تجديد الارواح فيقول ان باب الانشاء لم يقفل على الله تعالى فهو  
يزيد في خلقه ما يشاء ومع هذه الزيادة فان الارواح تتناسخ في نوعي  
الانسان والحيوان قديمة وحديثة — السادس مذهب الشمال — وهو يوافق  
مذهب الكنفرة في اصول عقائده ويقول برجعة الاجسام بطريق  
المواليذ ان انفقت الادوار انفلكية ومن صادفه هذا الاتفاق عاد الى  
الوجود بصورته التي كان عليها في الدور الاول وجذبته طبيعته الاولى  
لتعلم ما كان من خصائص الهيكل الاول فلا يحسن غيره لو حاوله  
وبصل الى معلوماته الاولى في مدة قصيرة اذ تعلم الثاني عبارة عن  
دراسة ماضي نسي بعوارض لا تصور رسمه من خيال الروح — السابع  
مذهب فرع — وهو يوافق مذهب الفوفي اصوله ويخالفه في اختراع  
الاله صورة حسنة يقرب بها للعقول انه بالغ من الحسن مبلغها ويقول  
انه يحل في اية صورة ارادها من صور الكائنات الانسانية حلول تطهير  
وتكميل لا حاول استقراره ويوافق في تناسخ الارواح على تلك الصورة  
— الثامن مذهب السيك — وهو يوافق الوليائي في عقائده ويخالفه  
في اطلاق النسخ والاثبات وتفويضها الى العابد المتخذ فيقول ان هذا  
العابد لا يجوز له ان ينسخ ما لم يمض عليه قرن من الاحكام فهذه جملة  
فروعه وملخص عقائدها . والدين البدي (البوذى) الاصلي يوافق الجميع في القول

بوجود الله تعالى ووحدانيته وتناسخ الارواح وبخالفها في الحلول والصور  
واتخاذ العابد وعودة الاجسام بطريق الادوار الفلكية فلا يقول بشيء من  
هذه الاقوال . وكلها تنكر البعث جسمانياً وروحانياً وتحكم بان السعادة  
والشقاء في هذه الدار ليس الا وتنكر الرسل ونزول الكتب السماوية على  
اي فرد من افراد الانسان وتحرم تعداد الازواج غير فرع من فروع  
غودمة فانه يبيحه بحسب الطاقة محجماً بان الحجر داعية الزنا وغير  
الدين البدي الاصيل فانه يميز للملوك ما لا يدخل تحت حصر .  
وليس في مذهب من هذه المذاهب رؤساء دينيون ما عدا الوليالمائي  
معلين المنع بان النفوس ادري بمصالحها واعلم بعقبها فهي تفعل ما تشاء بناءً  
على علمها الاولي قبل ان تسفل في هيكلها وبانكار هذا الدين وفروعه البعث  
وما فيه ماتت الحماسة بين رجاله واستولى عليهم الجبن والسكون وصاروا عرضة  
لغالبية الضعفاء ومن هم اقل منهم عدداً وعدداً فلا يكادون يدافعون عن  
اوطانهم الا اذا اكرهوا على الدفاع فان من ينكر البعث يعلم ان السعادة هي  
هذه الحياة الدنيوية فيشخ بها ولا يعرضها للزوال بمزاولة الحروب والتعرض  
للعوارض ويميل الى ما فيه السلامة من الدم على اية صورة كان بخلاف  
من يعتقد البعث والجنة والنار فانه لا يبالي بهذه الحياة الدنيا ولا يعتقدونها  
دار سعادة فيقدم على الموت طامعاً في الحياة الابدية والنعيم المقيم او الظفر  
بالعدو والغنيمة منه فترى المؤمن بالآخرة يعرض نفسه للموت في الحروب ولو لم  
يكن من الصالحين لها عالماً بانها طريق السعادة ومرضاة الاله اذا كان يقاتل عن  
دين او لاجله كما هو مشاهد معلوم . ولا تزال جموع السائحين والفاتحين

تكشف من مستور هذه الاديان في العالم الشرقي ما لم يكن معلوماً لنا قبل ذلك ومن تتبع رسائلهم وكتبهم الحديثة العهد وقف على غير ما ذكرناه بزيادة ايضاح وتبيين فاجتهد في كتب قيسي البروتستانت والسائحين هناك ان اردت الوقوف على جملة الاديان الشرقية اصولاً وفروعاً لاعتنائهم بمعرفتها من دانوا بها في امكتتها ويكفيك هذا الملخص

١١ غ

هات الآن بقية الاديان وعصبيات الاشرافي والمركب وغيرها لنفرغ من هذا الباب ونخلص الى التأسيس الشرقي

ش

✽ الدين النظري التصوري وفروعه ✽

وهو دين الوثن وذو الروح وداعيته ان الطبقة الاولى من الحكماء والالهيين عندما وضعوا قواعدهم الحكيمية ودعوا الخلق اليها والاخذ بها وقعوا من قلوب الامم ونفوسهم موقفاً عظيماً اذ دى البعض الى القول بجلول الاله في هياكل هولاء الحكماء . والبعض لا يتخاذ صورهم تذكاراً لها كما هم الشريفة ويتداول الايام وكثرة الامم مع قلة التعليم اتخذ المتأخرون تلك الصور معبودات تقربهم الى الله متوسلين اليه باهل هذه الهياكل من المشرعين وعندما جاءت الطبقة النوحية انتشرت فيها تلك الصور المسماة بالاصنام والاثوان وبنيت لها الهياكل العظيمة واجتمع عليها الناس في كل الاقاليم المسكونة ثم ضعف الادراك بفقد المعلمين والمرشدين وانتشار الامية في العالم وفراغ الناس من العلوم والدوال على الاصول فآل بالامر الى اتخاذ تلك

الاصنام آلهة فعالة مقصودة بالعبادة لذاتها وقربوا اليها القرابين وتفننوا في صور العبادة وهيئاتها بحسب ما تدعوا اليه الاوهام والخيالات الفاسدة . وقال البعض بالبعث والنعيم والعذاب وانكر معظم الناس ذلك ثم باتساع نطاقه وانتشاره في امم متعددة متباعدة متباينة اللغات توسعوا فيه وتنقلوا من صور الحكماء الى صور الملوك العادلين والعباد المتكلمين ثم زادوه بسطة فوضع كل جنس او كل قوم او كل انسان صنأعلى صورة ما يقع عليه استحسانه كوكبا او انسانا او حيوانا او نباتا او معدنا وانقلت فروعه من النظري التصوري الى الاستحساني

✽ الدين الاستحساني ✽

هذا الدين لا تدخل معبوداته تحت حصر فانها تختلف باختلاف النظر والاستحسان . وداعيته ان النفوس من لوازمها البحث على موجد او مؤثر في الموجودات وهذا البحث لازم لكل امة مهما كانت هيكلها الانسانية فارغة من الآداب خالية من التعاليم خصوصا ايام انقطاع المواصلات الاجتماعية واستقلال كل امة بارضها وجهلها من عداها من الناس وتمكن النفرة والوحشة وقطع الطرق وجهل الملاحة والسياسة وبحسب المدارك وقفت كل امة عند ما وقفت عليه مداركها فكما ان ارباب العقليات او صلهم البحث الى الاديان المتقدمة كذلك ارباب الاستحساني وقفوا عند حدود او صلهم اليها تصور النفع او الضرر في حيوان او نبات او معدن او كوكب فافترقوا فيه أفرقا شتى فمنهم من عبد الاثوار ومنهم من عبد الثعابين ومنهم من عبد القملط ومنهم من عبد شجر الزيتون ومنهم من عبد الخرنوب ومنهم من عبد الثوم

ومنهم من عبد جزءاً من انسان ومنهم من عبد الانسان ومنهم من عبد الاحجار التي توجد على صورة هيكل انساني او حيواني ومنهم من عبد الشمس ومنهم من عبد القمر الى غير ذلك مما لا يدخل تحت حصر . ومن فروعها من الزمهم الملوك بعبادتهم والسجود اليهم في مجتمعاتهم . فهذا ملخص الدين الانساني وفروعه باعتبار الاصول الكبار والمباني القديمة ولو تتبعنا الظاهرين بالدعوات والتمتلات الداعين اليها كثيراً من الامم في السابقين واللاحقين لخرجنا عن حد الايجاز الملتزم ودخلنا باب الاسهاب — اما عصبية هذه الاديان فقد وجدت للاستدلالي التنزيهي عصبية البراهمة في كتك من مدن كلكوتا فادخلته في دهلي وبينارس ومدرس وكوشين وسرنغبتمان وبيباي واجمير وكمايه وكولومبو ( عاصمة سيلان ) وسورات ثم تنقل الى ممالك واقسام لاهور وسندي ونبول واودة ونجبور وغيركاوار ونظام وميسور وترونكورة وجزائر ملديوه واندامار ونيكوبار وغيرها من الاقطار الهندية . ثم ادخلته في اقطار افغانستان واسام وبقي سائداً حتى دخل عليه الدين المجوسي ثم الاسلامي ثم خضعت عصبية الى المملكة الانكليزية اخيراً ولم يزل قائماً على اصوله معمولاً به يبلغ الآخذون به في الاقطار الهندية وحدها نحو مائة وعشرين مليوناً من النفوس وله الهياكل العظيمة والبيوت المحجوجة في بينارس وكتك واودجان وكتمندو وغيرها . والدين الاشراكي المجوسي وجدت له عصبية في هذه الاقطار ايضاً سارت به الى الفرس والافغان وتركستان وكوهستان والعراق واطراف بلاد العرب وارمينية والخطا والدكن وبعض قطع من افريقية ثم خضعت عصبية الى



عصبية الدين الاسلامي بدخوله عليه في بلاد الفرس والافغان وتركستان وبلاد العراق والعرب وخضعت عصبته الهندية اخيراً الى المماكة الانكليزية مع بقائها على اصول دينها - والدين المركب البدي (البوذي) وجدت له عصبية في نكنغ (نكين) ادخلته في بكين (بكنغ) وكيلين وكتون ومكاو وصيصيكاو واونلين ومكدن وايي وككيتاو ويركند ولسا وتاسيسودون وغيرها من البلاد الصينية ثم سارت به في جزائر فرموزة وهينات وليوكيو وجوكا ثم ترحلت به الى جزائر نيفون وسيكوكف وكترين ويزو وكوريلا وغيرها من بلاد اليابان ثم الى البرمان وانام وسيام وملقا (ملقعة) وسير وبلاد التار . وبدخول الاديان على غيره في كل جهاتها لم يدخل عليه الا الدين الاسلامي في التار وشمال هندستان وملقعة والدين المسيحي في سير ولبعد عصبياته لم تقع في اطماع الممالك المتدنية غيره الا في هذا القرن الثالث عشر الهجري حيث امتدت اليها اطماع فرنسا وانكلترا والروسية فهي الان بين جاذبة الاستتباع ودافعة الاستقلال والظفر للآلات والحكم للقوة ولا قوة لهذه العصبيات مع كثرتها وجودة اراضيها واتساعها فهي لا شك واقعة في اشراك الدول بالقوة او بالحيلة ان لم يكن العام فالقابل او هذا القرن فالآتي خصوصاً وقد ارسل اليهم الوف من رجال الجمعيات الدينية لافساد ما هم عليه وايقاع النفرة بين تلك الجموع الكثيرة بالمطامن الدينية ليسهل على الدول التداخل الحربي باسم حماية المسلمين والدفاع عن الدين المسيحي كما هي القاعدة المتبعة بين ممالك اوروبا الطامعة في اقطار الشرق - والدين النظري التصوري والاستعسائي كانا منتشرين في

جميع اقسام الكرة الارضية وبقيا على سيادتها حتى دخل عليها الدين الموسوي في فلسطين وبعض العراق وبعض بلاد العرب ثم الدين المسيحي في الشام وايطاليا واسبانيا وفرنسا وانكلترا والمانيا والنمسا والروسية واسنوخ والبرازيل وسويسره والفلمنك والبرتغال وايتازونيا امريكا المتحدة وجزائر البحر الابيض وشبه جزيرة اليونان وارمينية ومصر وبعض بلاد العرب والحبشة ثم جاء الدين الاسلامي فدخل عليها في بلاد العرب والفرس وتركستان وكوهستان وكرديستان وافغانستان وبلوجستان وخوزستان وهندستان والشام ومصر والسودان وتونس والجزائر ومراكش وشنقيط والاندلس والاناطول وجورجستان وطاغستان وفزان وعادل وزنجبار والنوبة وبرنو ونوتازيا وتبكتو وسقطو وسنغميا وبعض بلاد الحبشة وكثير من جزائر البحر الابيض والمهرسك وبوسنه والباغار وارمينية وبعض البلاد الصينية واناقراد الدينين الاسلامي والمسيحي بالمساجلة والمباراة اباداهما من معظم المعمور ولم يبق منها الا عصبية ضعيفة في موزمبيق وغينا الشمالية والجنوبية والبيرو العليا والشيلي ولكن رجال الدين المسيحي يحاولون نقلهم اليه بواسطة القسيسين والرهبان المسلمين اليهم للتزغيب بالوسائل المألوفة والتعليم الديني في المدارس لينقلوا الاطفال طبقة بعد طبقة حتى اذا انقرضت الطبقة الكبيرة انقرض الدين معهم وخرج الصغار على الدين المسيحي وهذه الطريقة التي التزمتها اوربا في نقل الشريكين من اديانهم الى الدين المسيحي بواسطة التعليم المدرسي اسهل لهم من طريقة الفتح بالسيف فان الدعوة بالسيف ينفر منها المدعو اول الامر وهذه لا يشعربها احد الا بعد تمام تربيته وقد نجحوا في هذه الطريقة في

الجزائر وتونس وبعض اطفال مصر والشام والهند والصين فربوا الكثير على هذه الطريقة وهم وان فاتهم تظاهر المتعلمين عليهم بدينهم الآن فقد صيروهم من مشاربهم وسقوهم شراب محبتهم واستخدموهم في الحصول على ما يريدون الشرقية ولنجاحهم في هذه الطريقة فتحوا الوفاً من الجمعيات وحسبوا عليها الاوقاف العظيمة ورتبوا لرجال الدين الرواتب الكثيرة وساعدتهم الحكومات على نفوذهم في الممالك الشرقية فهم الآن يجاربون كل امة شرقية بهذه الحرب الادبية صابرين على الاتعاب والمشاق باسطين ايديهم بمال المساعدة والاعانة قائمين بوظائفهم جيلاً بعد جيل بلا ملل ولا سامة راجين الظفر بالقصود العام بعد العام والقرن بعد القرن والشرقيون في غفلة الاوهام معجبون عن معرفة هذه الحروب بحجاب دعوى حرية التدين ومنع التعصب الديني وهما كلمتان لم تسمعا الا في الشرق فان اعمال اوربا تنكر سماعها فيها وليس بعد عمل البروتستانت والفريير والجزويت دليل يطلب على شدة تعصب اوربا للدين نعم ان المدارس المدنية في اوربا ليس فيها دروس دينية ولكن هذه لا يدخلها التميز الا بعد اتمام دروسه الدينية في المدارس الابتدائية وبالجملة فان سعى رؤساء الدين المسيحي في العالم الشرقي عموماً والصين خصوصاً يجعل للمستقبل حكماً غير ما عليه الناس الآن ما دامت اهواء الشرقيين موزعة حول شقائق اوربا واوهام دهاتها فهذه مقارن الاديان الانسانية وعصبياتها المنتشرة في اقسام الكرة الارضية قديماً وحديثاً وهذه الاديان الداخلة عليها في ازمان مختلفة بدعوات متغايرة الى عصرنا هذا — ومنها تعلم عدم خلو الامم من دين يدينون به في عصر من العصور واقلهم

من الاقاليم وترى ان كلاً منها لم ينفذ برسائل المحبة ولا بجوابات الوداد وما انفذها الا ذاك المعوج المسمى بالسيف فان الانسان حريص على مألوفه ومحبوب والديه ولا ينتقل عنه الى غيره الا بقوة قاهرة او مجادلة عامية والمجادلة لا تكون الا لافراد لا يستطيعون ان يتظاهروا بغير دين قومهم خوفاً على حياتهم فلم تبق الا القوة . ودعوى ان ديناً نفذ في العالم بسلم وامان دعوى لا دليل عليها فان التاريخ حفظ لكل دين طريق تنفيذه خصوصاً الاديان الثلاثة الموسوية والمسيحية والاسلامية وسياً في تفصيل عصبياتها وكيفية نفوذها في العالم في ادوارها الاولي

وقد وجد في الاديان الالهية والانسانية رجال يحابون الملوك والامراء واناس يحافظون على الاصل المتعبد به من غير تغيير ولا تحريف ولا زيادة ولا نقص ولا تاويل يفاير حقائقه المقررة عند متقدمي علمائهم ومحققهم . فمن القسم الاول رجال من قبضة الازمة الدينية داروا مع الملوك والامراء حيثما داروا تحليلاً وتحريماً بشبهات عقلية او قضايا قياسية او تاويل بعيد او يرجوع الى اقوال ضعيفة تنفيذ الآراء الملوك والامراء في الامم المحكومين فان رجال الدين في كل امة قابضون على الارواح والملوك قابضون على الاشباح فهؤلاء يحكمون بالصحة والفساد واولئك ينفذون والامم في ايديهم آلات يديرونها كيف شاؤوا والسوط بداية التأديب والسيف غاية التهذيب ولا مجال لأمناء الاديان في هذه الميادين لاشتغالهم بالمحافظة على الاصول وهم في خلواتهم بين التمسكين بعقائدهم . ومن هذا القسم الدائر مع الملوك والامراء حيثما داروا بعض المؤرخين من الموسويين والمسيحيين والمسلمين ممن خدموا

المملكه واخصوا بمجالسهم فانك ترى الرجل منهم اذا رأى من يوافق ملكه في دينه ويخالفه في مذهب من مذاهب فروعہ قد علم باحكام تقاير مذهبه فاستفرتہ حمية الانتصار الى الحق او امامه الآخذ بمذهبه بالنصوص القوية الصحيحة برزله هذا الجليس وطعن في مذهبه وخطاهه وضوب ما عليه الملك واتباعه محتجاً بمسائل ضعيفة يتصيدھا من كتب امثاله وانبرى المورخ منهم يمدح ويحسن ويذم الغير ويقع حتى اذا انقضت ادولرهم وهلكت اجسامهم كانت كتبهم اغراس احقاد تنبخرى اليها الاتباع متهاككين ويمجنون ثمرتها متاوتين فترى رجال كل مذهب متجادين اطراف مذاهبهم بزخرف ما صورہ المتعلقون من هذا القسم فيتشائمون وهم اهل بيت ويتقاتلون وهم رجال وطن وبتقاطعون وهم ابناہ جنس متصل الارحام فاذا نظروا الى المذاهب من حيث تباينها ضحك الموسوي لما يراه في كتب السامري وسخر الكاتوليكي براى البروتستانتى وحط السنى على الخارجى فاذا التى كل منهم ذاك الكتاب وخرج الى الجامع الاخلاطية نبنى الالفاظ الصحيحة وحفظ الاغلاط والاوهام وقابل جاره الغاير له او شريكه او ابن جنسه بقلب مظلم وصدر ملتهب بالاحقاد والضغائن ينافقه بالسلام ويوافقہ بالمصالحه ويحميه بشفر يبتسم ابتسام الورد فوق الغصن الشائك خصوصاً ما يقع بين المسلمين والمسيحيين والاسرائيليين فانهم لولا ضرورة الاختلاط وقوة الدول لاكل بعضهم بعضاً . والحقائق في حد ذاتها لا تلتبس بالاوهام الزائفة ولكن من اللام بالتحقيق والاجتماع على كلمة واحدة هي الحق المبين وهم سكارى بكاس الوعاظ ودردي المتعصبين - ومن القسم الثاني افاضل يحفظون على

الاصول الدينية خالصة من شوائب الافكار والاقوال المتضاربة والشبه  
الوهمية يقضون حياتهم الطيبة في تدريسها وتعليمها ورد المعارضين لها واذا  
كتبوا تاريخاً دونوا سير المعاصرين على ما هي عليه وخدموا العالم خدمة  
انسانية محضة يخفون لهذا العمل المبرور في زوايا بيوتهم يكتبون ويبينون  
ما يكاد ان يلتبس بالحقائق من الدعاوي الباطلة واذا تم لاحدهم مؤلف جليله  
طلسماً لا يتهدي اليه الا بعد وفاته ولا ينشر الا بعد ذهاب معاصره . وفي  
حياته يتظاهر بموافقة عامة قومه في اطراء معاصريهم من الرؤساء خوفاً من  
البطش به او تشديد التكبير عليه . دعنا من المحابة حتى في رجال اوربا  
المتظاهرة بالحرية فقد اطعنى احد افاضلهم على مؤلف له غريب يذكر فيه  
الاصل المسيحي وما دخل فيه ويعلم الله تعالى انه لو اظهره واطلع عليه المسيحيون  
لاغضب الزائع قبل التمسك ولا تمضي الايام حتى يموت ويظهر كتابه في  
تركته ويتعصب له بعض من هم على شاكلته فينشره سرّاً او جهراً ليتحصل  
على الغاية المقصودة منه وهي ايقاع العداوة والشحناء بين قومه بالاختلاف  
الديني الذي دس لاجله الاكاذيب والمفتريات . فرحم الله تعالى من مضى  
من رجال الفضل وحفظ من بقي وأيد من يأتي منهم فلولاهم ما عرفنا فضل  
المتقدمين من اكابر المؤلفين ولا ميزنا رذائل السابقين من رجال  
البيهيمات بل لولاهم لزار الناس قبور الظالمين والزائعين متوسلين بهم الى  
الله تعالى في قضاء مصالحهم غروراً بما في التواريخ من المدائح والاصواف التي  
لا توجد الا في لفيف الاولياء - والى هنا تعلم انه لم يبق في العالم اديان  
يتنافس فيها الا ستة ثلاثة ذهبت قوى تحريكها وبقيت قوى تأسيسها في

ام قنعت بالحياة راضية بالخضوع لاية قوة حكمت ارض بعثها ومقر نشأتها  
 وهي الموسوي والبرهمي والمجوسي وربما كان في طي الاقدار ما يبعث فيها  
 روح الحياة الملكية فتتحرك على المتغلبين عليها وتستقل كما كانت في اول  
 نشأتها فان تربية الامم تحت احضان بعضها تولد هيئة المحاكاة وتبث روح  
 التخلص من ذل التبعية الى عز الاستقلال - ودين تطرفت عصبته في  
 سكتها وبقيت تحت تحويل الانظار اليها وقد تحولت بالفعل كما قدمنا وهو  
 دين البدة ( البوذي ) . ودينان حملا سلاح البارزة والدفاع وتشعبا في  
 جميع الاقطار وهما الاسلامي والمسيحي فهما يتبادلان الحركة والسكون بقوى  
 تبعثها الاعتقادات الدينية مستترة بثوب السياسة الشفاف حاملة كتب اليهود  
 الدولية على صدرها واضعة يدها على جبهة الحدود والتخوم قابضة بيسراها  
 على عضد التجارة والمواصلات شاغلة فكرها باسم راحة دينيها في بلاد مغايره  
 فقد اتخذت اوروبا هذه العنل وسائل للفوز بالاطماع اذا سكنت حركات  
 الدفاع العدواني ومقصداً للاعدام اذا تمكنت الوصلة بين الامم والمحكومون  
 يجنون من تلك الاغراس حنظل المعيشة وعلقم الموت في سبيل حصرت ثمراته  
 في افراد اذا اضرمو نار حرب لاغراضهم الذاتية وقربوا اليها الارواح العزيزة  
 ترحموا على الميت وحذبوا للحي وانه لثمن لا تشرى به قلامه ظفر فضلاً عن  
 حياة ملايين من الاناسي . ولولا اطماع الملوك في ممالك بعضهم لعاش الناس  
 في كل ارض اخوانا فقد مضت ازمان الفتوحات الدينية ورضي كل بما  
 هو عليه من الاعتقاد وهيئات ان سكنت حركة الحروب الاعدامية بعد  
 ان كتب على كل لقمة يتناولها الملوك الذين والسياسة

غ

ارى الوقت قرب بالنسبة لحضور الوابور وقد حضر لي تلغراف بانتظار  
بعض الاحباب فاشتغل بكتابة ما دار بيننا اليوم حتى لا تزاحمك المطالب  
بكثرتها . وقد استأذنت صديقنا صاحب البيت في حضور الست معي  
لتشاركنا فيما نحن فيه فأذن على شرط ان تأتي في لباس امرأة فلاحه

ش

احسنت في استئذائك وعسى ان ترزق تمام الشفاء وتحضر فاني احب  
مشاغبته ومبادلتها بالبحث ولو انها شديدة الخصام كثيرة الجدال اذا فتحت  
باباً ولم يقفل على ما تريد مع حديثها في القول وصعوبتها في المطاعن وطالما  
ضايقتني في اسكندرية فيما نحن فيه باعراضات ومطاعن لا يقوى عليها  
غيرها خصوصاً اذا تكلمت في سياسة الدول واخلاق الامم وتواريخ الملوك  
شركيين وغربيين فانها تشند حنقاً وتمتلي ، غيظاً كأنها ام العالم اجمع لما عندها  
من الشفقة والحنو والتألم من التخاذل والاختلاف الحاصلين في العالم والمسئول  
الله تعالى في رزقها السلامة والعافية

غ ١٢

مالي اراك اليوم متغيراً كأنك تشكو شيئاً

ش

الحمد لله على السراء والضراء بعد ذهابك امس اخذت اكتب ما دار  
بيننا وبيننا انا على وشك الفراغ اعترفتني حمى خفيفة فاستعملت ماء مغلي الكينا  
بعد ذهاب الدور وطلبت من اهل البيت عمل جانب من ماء الشعير وقد



علمتهم كيفية عمله فقلت لم اغلوا الشعير اولاً ثم اريقوا ماءه فانه يذهب  
بما فيه من الزهومة والغضاضة ثم اغلوه ثانية حتى يصير كحب البليلة وصفوه  
وأتوني بمائه لأشرب منه وفي نصف الليل رأيت الاعراض قد خفت  
فصنعت حماماً قديماً بالخردل ( هو حب النبات الشبير عند الفلاحين  
بالكبر ) وقد اصبحت والله الحمد في مهالة احسن من حالة امس فتناولت  
نصف درهم من مسحوق الراوند وقد عزمت على اخذ مسهل ولكن لما رأيت  
الدور انقطع بعد المرة الاولى جزعت نفسي من تناوله فكأن النفس لا تقبل  
الدواء الا مكرهه بحكم الضرورة . وكيف حال الست لعلها اصبحت معتدلة المزاج

غ

الحمد لله اصبحت بخير وقد ائلمت بضيوفا فتسلت بهم عن مرضها  
ولا يخفك ان نصف الامراض اوهام فلما ذهب عنها الفكر في المرض بمسامة  
الستات اصبحت معتدلة الصحة وهي تسلم عليك كثيراً ونقول عند ما يذهب  
الضيوف تحضر معي ان شاء الله تعالى . وحيث انك معتل المزاج الآن فأذن  
لي بالقيام لادرك الوابور فاني متوجه اليوم الى مصر واحضر غدأ هل بلزمك شي

ش

ارجوك ان توجه الى صديقي الفاضل الشيخ المعلوم وتساله عن اهلي  
وحالتهم وأين يكون شقيقي الآن وماذا يصنع وهل وجد أبي شيئاً من  
كتبي التي فقدت منه في كفر الزيات وخذ هذا الكيس معك علامة  
فاني اخذته منه يوم خرجت من مصر للاختفاء وقل له صاحبك بخير

غ

عند ما توجهت اول امس الى مصر سألت عن صاحبك حتى وصلت  
اليه فبجرد ما اعطيته الكيس تغير واخذ يتفرس فيّ وكما اخبرته بمعرفتي  
بك وصادقتنا وما بيننا من المودة انكرني وانكر معرفتك فلما يشت منه قلت  
له كيف حال ابيه واخيه ووالدته فقال انا لا اعرفهم وانما سمعت من الناس  
انهم بخير وانهم كانوا اقاموا مدة ببولاق ثم سافروا الى اسكندرية من قريب  
اما اخوه فيقال انه لا خدمة له ولا سمعت منه ذلك اطمان قلبي وودعته  
وقد جعل الكلام في صورة مستوعه وهو خبر منه في الواقع فالحمد لله  
على سلامتهم

ش

بشرك الله تعالى بكل خير فقد ملأني سروراً بهذه العبارة وصدقتنا  
لكثرة الطوايس حوله احتاط معكم فلا يؤخذ بما صنع وانما يعد ذلك  
من حزمه

غ ١٣

هات اليوم عصيتي الدينين الموسوي والمسيحي وأخر عصبية الدين  
الاسلامي حتى تحضر الست فانها قالت انك قادر على سبك مقاصدك في  
قوالب تعجب الخصم ويراها حججاً قاطعة فهي تعجب ان لا ندخل في التمهيد  
الشرقي الا وهي جاضرة معنا فانها ادري بطرق محاجتك مني لكثرة ما دار  
بينكما من المباحث في الايام الخالية

ش

لما الله تعالى من حريضة على افكارها في الشرق واهله . واجابة لمقترحها  
اذكر كم بان بني اسرائيل بانتقالهم من فلسطين الى مصر ايام سيدنا يوسف  
عليه السلام عظمت منزلتهم فيها وارتفعوا عزاً واثرةً ومجداً الى حيث صاروا  
سادات الامة المصرية ووجهاءها وارتفع الكثير منهم الى المناصب العالية  
والادارات الملكية الجليلة كما هو الشأن في كل طارىء على الامة المصرية  
في جميع ادوارها العمرانية حيث يتقدم فيها الغريب ويتأخر اهلها الى ان  
ينفذ الفقر فيهم وبعد انقضاء دور الصديق قضاوا سنين في هذه المنعة حتى  
بدا التخاذل فيهم وكثر التخالف بينهم وبين المصريين فضعفت عصبيتهم  
وتوزعت اهوائهم في مقاصد الاحزاب وقام الملك وقعد بهم وبالمصريين حتى  
هاجمهم العاقلة واستولوا على البلاد وتأسست دولة الفراعنة الاخيرة فنزل  
بنو اسرائيل من اوج الملكية الى حضيض الاستعباد واستعملهم العاقلة  
والمصريون في صغير الاعمال ودنيء الصنائع تحاملاً عليهم وخوفاً من ظهور  
دعاة منهم يغالبونهم على ما بأيديهم او يكونون احزاباً وعصبيات بدعواتهم  
فتبددت الوحدة وفترت المهم وامتلات القلوب بالخوف ومضت على هذه  
الحال قرون وهم يقاسون اشد العذاب تحت سلطنة الفراعنة وبيناهم في غفلة  
الضعف ونومة الخوف طلعت عليهم الانوار الموسوية مشرقة من صلب عمران  
ابن بصير بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة  
والسلام فلما شب وبلغ مبلغ الرجال اخذ يؤلف العصبية بتذكير مجد الاباء  
وعز الاجداد وشرف الانساب والتنفير من الذلة والاستضعاف لمن هم تحتهم

قدراً وشرفاً والتبكيك بالخضوع والاستكانة مع الكثرة والقوة وهم ينظرون الى ما يقول بعين التبصر والاعتبار ويعترضونه بقسوة الحاكم وعداوة الامة وفراغهم من المعدادات والحجز عليهم والتصديق بما يمنع اجتماعهم وتأليف العصبية وهو يحرك دماءهم بتسفيه احلامهم وتقيح جنبهم ويذكرهم ان القوة الحاكمة كانت افراداً مثلهم وما مكنتها من القوة والسلطة الا جمع الكلمة وتأسيس العصبية على وحدة قامت عليها دعائم الملك واستمر على تعريضهم وتشجيعهم وهم خائفون من سوء العاقبة حتى كان التظاهر الاول حيث استصرخه احد بني اسرائيل على مصري يضاربه فوكزه سيدنا موسى ففضى عليه ثم شاع الخبر ووصل فرعون وجنوده فمقدوا عليه وعزموا على الانتقام منه خصوصاً وانه تربى في بيت الملك وبين عائلته وقد ظهرت مبادئه وعلمت مساعيه وخيف على الملك من حياة العصبية الاسرائيلية فلما جاء احد اتباعه وقال له ان الملاء ياتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج كما قال الله تعالى خائفاً يترقب وهاجر الى وادي الشيخ من ارض سيناء فنزل في بني مدين بن ابراهيم على شعيب بن ميكائيل فاكرم نزله وزوجه باحدى ابنتيه واخذ يقص عليه خبر آبائه واسلافه ويؤيد رأيه في جمع العصبية الاسرائيلية للتخلص من قيد الاستعباد بالتظاهر الادبي او بالقوة وعنه تلقى سيدنا موسى علوماً كثيرة موروثة للشيخ الكبير عن اخوانه الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما زال عنده يأخذ عنه علوم الانبياء واخبار الدعاة واحوال الامم حتى قضى عشرين سنين حسب اتفاقه معه عند العقد على زوجته فلما انتهى الاجل سار باهله الى مصر وفي طريقه اخذ زوجته الخاض وكانت ليلة باردة فمضى

بين الجبال يتحسس خبر قوم حالين هناك لعله يجد عندهم ناراً يديء بها زوجته فنادته العناية الالهية بان هذه الليلة هي ليلة مجدك ورفعة قدرتك وكلمه ربه انك بالوادي المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري . اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك . قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من اهلي هارون اخي اشدد به ازرى واشركه في امري كي نسجك كثيراً ونذكرك كثيراً انك كنت بنا بصيراً . قال قد اوتيت سؤلك يا موسى . اذها الى فرعون انه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر او يخشى . فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك باية من ربك والسلام على من اتبع الهدى . فرجع موسى الى اهله وقد نبأه الله تعالى وارسله وشرّفه بالتكليم فسار بهم الى مصر وقد قوى عزمه على جمع العصبية ومقاومة عدوه ان لم يؤمن به ويتبعه فيما جاء به من الدين القويم فلما دخل مصر اجتمع بأخيه هارون وقص عليه خبره وما كان من ارسال الله تعالى لها وعزمه على التظاهر بالدعوة الى الله تعالى اعتماداً على تأييد الله ونصره فذهب الى فرعون وحيداً وهو بين قومه محاط بجنده نافذ الكلمة قوي السلطان فدعاه الى الله تعالى والايان به فاخذته عزة الملك وابت عليه نفسه الانقياد الى من يراه دونه صورة بل الى من تربى في بيته على نفقته وقال له ألم نربك فينا وليداً امتنّ عليه بنعمة نقوم بها ارملة وهو ملك يزعم انه آله المصريين وهذا لا يليق بمقام الملوكية فضلاً عن الربوبية ولكنه اراد ان يموه على قومه ويوهمهم استضعاف سيدنا موسى

واختياره بالنسبة الى مقام الملوكية ومن كانت هذه صفته لا يكون متبوعاً .  
ثم كر عليه بقضية أخرى فقال وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين  
بتعمتي يريد قتله المصري الذي قتله عندما استصرخه الاسرائيلي مثظلماً من قسوته  
التي حملته على الفتك به لولا تدارك سيدنا موسى وعله كان من شريعة يعقوب  
ان المصّر على القتل الذي لا يدفع الا بالوت يقتل فلما رآه سيدنا موسى  
مصرّاً على قتل الاسرائيلي ولا يدفع عنه الا بقتله قتله فهو منفذ حكماً من  
احكام الشريعة الاسرائيلية اوان الوكر كان للتأديب لالقتل وهو الحق ولكن  
فرعون عده كافرّاً نظراً لظاهر الحال وليوقع في قلوب المصريين انه ظالم فاتك  
لا يصلح لرعاية امة عظيمة . وهي سياسة عرفها فرعون في المصريين يستميلهم اليه  
باوهام وخيالات يصورها اليهم في صور الحقائق اعلمه انهم يأخذون كماله اخرج  
من بين شفثيه على انه حق في ذاته لا يقبل التأويل والنظر اذ قد تجرب نفسه  
معهم في وقائع كثيرة من مثل هذه الاوهام ووجد نفسه ناجماً قولاً وعملاً حتى  
في دعواه الربوبية فيحشى ان يستميلهم سيدنا موسى بدعوة ثقلها العقول هي  
اولى بالتسليم من دعواه الباطلة فموه عليهم القول واطهر عظمته امامهم فقال له  
سيدنا موسى فعلتها اذ اوانا من الضالين الغافلين عن احكامك العاملين بشريعة  
آبائي او عن ان الوكر يقتل وعند ما بلغك خبر هذه الواقعة رأيتكم تجشون عني  
لتقتلوني ففرت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين .  
فتعالى عليه سيدنا موسى بمقام الرسالة الذي انطوى فيه الاقرار بان هناك  
إله آخر هو الاله الحق المعبود وانك عبيد يرسل اليك مثلي ليدعوك الى  
ربك ويردك عن غوايتك وضلالك وانى وان كنت مستضعفاً كما تزعم

فقد اكرمني ربي وفضلني عليك وعلى غيرك بالرسالة وعلمني من علم اليقين ما لا تعلمه وقوي عزيمتي قوة جنك بها وحيداً وانت في اعلى مقامات سلطانك اسفه رايتك واحلام قومك في ادعائك الربوبية وتصديقهم اياك مع علمهم بانك مصنوع مثلهم تأكل وتشرب وتحديث وتنام وتقرض وينتابك ما ينتاب العبيد ومع علمهم بهذا كله صدقوا دعوتك الباطلة وآمنوا بمقاتلك الكاذبة وانقادوا لك انقياد الاعمى لمن أخذ بيده افتري برهاناً على صدق دعواي اكبر من اختراق صفوف جنك لا احمل الاعصاي وقولي اني رسول الله اليكم وقد غل الله تعالى يدك فلم تصل الي بسوء وعقل لسانك فلا ينطق بحجة . ثم انك مع عظمتك التي تدعيها تنازلت الى مقام انسان حقير وضع بين معروفه لفقد مرواته وانحطاط همته وقلت ألم نربك فينا وليداً وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل واتخذتهم خدماً وصناعاً ونزعت ما بأيديهم من الملك والملك وانزلتهم من صياصي عزهم ومجدهم الى حضيض استعبادك لهم واستخدمهم في الهن الحقيرة وانت تعلم من شرف انسابهم ومجد آباءهم ما لا يعلمه غيرك من هؤلاء الذين استخففت عقولهم فقدتهم اليك بجمال الاوهام وقد نسوا كما نسيت نعم بني اسرائيل واحياء يوسف الصديق لبلادهم وانفسهم بتديرة وحسن تصرفه واجتهاده في اصلاح البلاد وتوفيره موارد الثروة عليهم ولم تقصر الاحبار والعظماء منا من بعده حيث جزوا على نسقه وخدموك خدمة جد واخلاص فكان عاقبة سعيهم الجميل ان اتخذت ابناءهم عبيداً وجئت الآن نقول ألم نربك فينا وليداً ولم تذكر اننا ربيناكم وليداً وفتي وشيخاً وهرماً فلنا في كل ذي روح منكم نعمة لا تنكر فهل تقوم نعمتك الصغرى القاصرة

على انسان واحد بنم بني اسرائيل العديدة التي عمت كل مصري او لعل مراد سيدنا موسى انك عبدت بني اسرائيل اي اتخذتهم عبيداً وهم ملء بيتك وساحتك فهم الذين ربوني فلا منة لك عليّ او انا من بني اسرائيل الذين تعبدتهم ولا يليق بمن يدعي السيادة ان يمانّ بلقمة خبز علي من يزعم انه من عبيده وفي هذا من التبيكيت ما لا يخفى . الا ان قول سيدنا موسى وتلك نعمة تمنها عليّ علمنا لزوم شكر المنعم وان كان كافراً كفرعون فان كفره لم يبطل نعمته ولا منته بدليل الآية واذ لم تبطل النعمة لزوم الشكر . ويحتمل ان يكون الكلام من طريق الاستفهام اي أو تلك نعمة تمنها عليّ فيكون انكاراً لما يدعيه من نعمة البرية لان سبب وقوع سيدنا موسى في يده انه كان يجمع ابناء بني اسرائيل ليزجهم لا ليريهم وهذا الذي الجأ ام سيدنا موسى للاقائه في اليم فوقع في يد فرعون صدفة لا انه استخضره من امه ورباه شفقة منه على ان التي ربه هي امه لا فرعون فانه لم يرضع غيرها فلا وجه لامتنانه عايه وبالجملة فان سيدنا موسى تصلب مع فرعون ووقف وقفة من يدعو سلطاناً للتنازل عن ملكه مع انه فرد لا عون له وليس معه قوة جنديّة تؤيد حجته وتدفع عنه عدوه وما معه الا عناية من ارسله وهو الله القادر القوي . ومع كل ما ابداه فرعون من الالبراق والارعاد والتهديد والتهويل لم يرجع سيدنا موسى عن قوله اني ادعوك الى الله تعالى لتعبده على انك فرد من افراد عبيده وقد تقدم لفرعون انه قال لقومه انا ربكم الاعلى وقال مرة اخرى ما علمت لكم من اله غيري فكيف ينزل عن دعواه بعد استمراره عليها سنين ولذا اخذ يمؤه على المصريين بروغانه في



في المجادلة مع سيدنا موسى فانه لما رآه ثابت القلب غير مبال بسطوته وقوة سلطانه انتقل من مقام الامتنان الى مقام انكار الاله ظاهرا ليدفع عن قومه دواعي العلم بوجود اله غيره فقال لسيدنا موسى . وما رب العالمين . عند ما قال له اني رسول رب العالمين اليكم ومن هذا الاستفهام يرى ان فرعون كان من الحلولية القائلين بان الاله يتدرع بجسد انسان معين فيكون له بمنزلة الروح بالنسبة الى كل جسد . او من الفلاسفة فيقول بالعلة الموجبة لا بالفاعل المختار وقد اعتقد انه بالنسبة لاستعباده قومه صار بمنزلة اله لهم . او انه كان دهرياً يقول ان الافلاك واجبة الوجود في ذاتها ومتحركة لذواتها وان حوادث العالم مسببة عن حركاتها ولهذا كان يسمي نفسه الهآ . والا فان العاقل اذا علم انه وجد بعد ان لم يكن موجوداً ثم علم ان كل ما كان كذلك فلا بد له من موجد مؤثر تولد من هذين العالمين علم بافئقاره في تركيب بنيتة وحفظ حياته وكونه عاقلاً درآكاً الى مؤثر موجود واذا وصل الى هذا الحد تحقق انه عبد مخلوق وفقير مرزوق . وقد تكلم العلماء في مجادلة فرعون بكلام يحتاجه الانسان فلا بأس من ايراد بعضه خصوصاً ونحن نعلم ان مناظرتنا ستعرض على غيرنا من كبير وصغير سيما وان الكلام في جانب الحق سبحانه وتعالى والنفس ميالة الى كل بحث يخلص به تعالى - قالوا ان السؤال بما انما يكون لطاب تعريف حقيقة الشيء وهذا التعريف اما ان يكون بنفس الحقيقة وذلك محال لاننا اذا عرفنا الشيء بنفسه لزم ان يكون معلوماً قبل ان يكون معلوماً وهو محال واما ان يكون بشيء من اجزاء تلك الحقيقة وهذا في حق الله تعالى محال

لان التعريف بالاجزاء لا يكون الا للمركب والله تعالى يستحيل تركيبه لان كل مركب محتاج الى كل جزء من اجزائه وكل بجزء منه فهو غيره فكل مركب محتاج الى غيره وكل محتاج الى غيره فهو ممكن لذاته وكل مركب فهو ممكن فما ليس بممكن يستحيل ان يكون مركباً فواجب الوجود سبحانه وتعالى ليس بمركب واذا لم يكن مركباً استحال تعريفه باجزائه . واما ان يكون بامر خارج عن الحقيقة كما هنا فانه لا استعمال تعريف حقيقة الله تعالى بنفس الحقيقة وانتفى عنها التركيب تحققنا انه لا يمكن تعريف ماهيته تعالى الا بلوازمه وآثاره واللوازم قد تكون خفية وقد تكون جليلة ولا يصح تعريفها بالخرافية بل لا بد من تعريفها بالجليلة وأجل آثار الله تعالى هذه العوالم المحسوسة فلذا قال له سيدنا موسى . رب السموات والارض وما بينهما . اذ لا جواب له الا هذا الذي افحمه وكذبه في دعواه فانه اعلمه بهذا الجواب انه مركب محدود يمكن تعريفه باجزائه والاله لا يكون كذلك واخبره ان الاله هو النافذ الامر في السموات والارض وما بينهما وانت قد انحصرت سلطنتك في مصر التي هي قطعة صغيرة من الارض وتعلم ان حولك ممالك يحكمها ملوك مثلك وان لا سلطة لك على شيء من السموات وما فيها فالخالق لهذه السموات والارض وما فيها هو رب العالمين . فان كنتم توفقون بان هذه المحسوسات مستندة الى موجود واجب الوجود غير مركب ولا محصور فاعلموا اني ادعوكم لعرفه الله تعالى المستحق للعبادة . فاعلم ان سيدنا موسى حجه وقهره ورجاه من ظريفي لا يمكنه ان يدعيه رجوع الى قومه بالخداع والنفاق فقال . ألا تسمعون . ارجع اليهم الكلام

ليستهم اليه كأنه يقول تعجبوا من موسى فاني اطلب منه بيان الماهية ونفس الحقيقة وهو يجيني بالفاعلية والمؤثرية والاشكال الذي طواه فرعون في تعجبه بقوله الا تسمعون هو ان سيدنا موسى عرف ماهية الإله بلوازمها وتعريف الماهية بلوازمها لا يفيد الوقوف على نفس الماهية لانا اذا قانا في شي انه الذي يلزمه لازم كذا فهذا المذكور اما ان يكون معرفاً لمجرد كونه امراً ما يلزمه ذلك اللازم او لخصوصية تلك الماهية التي عرضت لها هذه الملزومية والاول محال لان كونه امراً يلزمه ذلك اللازم جعلناه كاشفاً فلو كان المكشوف هو هذا القدر لزم كون الشيء معرفاً لنفسه وتقدم انه محال . والثاني محال ايضاً لان العلم بانه امر ما يلزمه لازم كذا لا يفيد العلم بخصوصية تلك الماهية الملزومة لانه لا يمتنع عقلاً اشتراك الماهيات المختلفة في لوازم متساوية فثبت ان التعريف بالوصف الخارج عن الحقيقة لا يفيد معرفة نفس الحقيقة فكونه رب السموات والارض ليس بجواب عن قوله ما رب العالمين المقصود به الاستفهام عن نفس حقيقة الإله . على ان هناك من يعتقد ان السموات والارض واجبة لذواتها فهي غنية عن الخالق والمؤثر عنده فالجواب بان رب العالمين هو رب السموات والارض لا يعتقد الا من يعتقد حدوث العوالم العلوية والسفلية . فلما علم سيدنا موسى توبيخه جاءه من طريق آخر فقال ربكم ورب آباءكم الاولين . فان كلامكم يعلم انه وجد بعد عدم وان آباءه واجداده عدموا بعد وجودهم ومن كانت هذه صفته لا يكون واجب الوجود لذاته بل يكون ممكناً وكل ممكن مفقود الى موجد مؤثر ولا مؤثر الا الله تعالى الذي هو رب العالمين . فكان

هذا الكلام حجباً في فم فرعون ولكنه علم من قومه ضيف الادراك فعماد الى التنبؤ به وقال . ان رسواكم الذي ارسل اليكم لجنون . اخذاه اليهم تهكماً به وبهم واوهمهم انه يساله عن الماهية وهو يجهل بالآثار الخارجة عنها فلما رآه سيدنا موسى قد التزم المكابرة مع انقطاعه عن الدليل قال له . رب المشرق والمغرب وما بينهما . اي ان هذه الحركات الفلكية القاضية بالشروق والغروب وسير الكواكب على نظام بديع نقضي بان هناك محركاً مؤثراً فيها وليس ذلك نفس الافلاك فان الشيء لا يوجد نفسه واذا بطل ذلك علمنا ان ترتيب الشروق والغروب على الحركات الفلكية لا يقدر عليه الا موجد المؤثر فيه وهو الله تعالى ثم لما قال فرعون ان رسواكم الذي ارسل اليكم لجنون وفحش في القول اغلظ له سيدنا موسى الجواب فقال : ان كنتم تعقلون . فان معرفة الاله باثاره انما هي طريقة العقلاء والبحث عن ماهية لا تصل اليها الظنون والافكار هو عين الجنون فكأنه قال له الجنون انت لا انا فاني ماش على طريقة العقلاء . وانت تريد طريق المجانين ولو نظرت الى نفسك لرأيت بدنك مؤلفاً من الطبائع وهي متنافرة متباغضة متباعدة عن بعضها بالطبع فاجتماعها على نظام يحفظها من التنافر والافتراق لا بد وان يكون بقدر قاسر وليس القاسر النفس الانسانية لان تعلق النفس بالبدن انما يكون بعد حصول المزاج واعتدال الاخلاط . والقاسر للطباع المؤلف لها في الاجتماع سابق على الاجتماع والسابق على حصول هذا الاجتماع مغاير للتأخر عنه فثبت ان مؤلف هذه الطبائع مغاير لها وهو الله تعالى الذي ادعوك لعبادته واقول لك عنه انه رب العالمين فلو كنتم تعقلون لمشيتم معي في طريق

الاستبدال بالأثر على المؤثر ورجعتهم عن الدعاوي الباطلة . فلما عجز فرعون عن معارضة سيدنا موسى بالدلائل العقلية ورأى انه غلبه وربما تمكن من استمالة قومه بهذه البراهين القوية قال . لئن اتخذت الهاً غيري لاجعلنك من المسجونين . وهذا كلام العاجز الضعيف الذي ضاقت عليه طرق الحاجة الانسانية فضلاً عن التصرفات الالهية فانه بعد ما رآه من نصلب سيدنا موسى في دعوته وتصديه له بتسفيه رأيه وردة عن دعاويه الكاذبة والحاحه عليه بالرجوع عما هو فيه والاعتراف بالله رب السموات والارض رب العالمين يقول له لئن اتخذت الهاً غيري وما قصد بذلك الا نزع ما ثبت في مخيلة قومه من براهين سيدنا موسى بايهاه انه يخبر عن نفسه بالالهية في حضرة من يقول بارله غيره ليبقوا على ما عندهم من اعتقاد إلهيته فلما سمع منه سيدنا موسى هذا الوعيد لم يلتفت اليه ولا اخذته منه رهبة بل اراد ان يظهر كذبه وجبنه وعجزه عن مقاومة الرسول فضلاً عن الإله فقال . او لو جئتك بشيء مبین . اي ولو جئتك بشيء مبین تسجنني . قال فأت به ان كنت من الصادقين . وهذا من الدلالة على جهل فرعون وضعف قواه العاقلة فانه بعد تهديده سيدنا موسى بالسجين ان لم يعبد ما كان ينبغي له ان يتنازل لطلب اشياء يريد الخصم ان يسفه رأيه بها ويحملها حجة على بطلان دعواه وعجزه عن ضبط امور نفسه ولكن نفس الانسان ميالة الى استطلاع الامر الغريب فتحكمت عليه الانسانية بظهورها على لسانه وفي حركاته فطلب ان يظهر سيدنا موسى ما عنده وقوله ان كنت من الصادقين تعليل يدفع به وهم صدقه من افكار قومه فجعله مقدمة

لتكذيبه عند وضوح برهانه وهذا احتراس غريب من فرعون . فالقبي عصاه  
فاذا هي ثعبان مبن . ودلالة هذه الآية على الإله تعالى ان العصا جسم  
ميت لا حركة فيه وهي مرئية لفرعون بصورتها الشجرية لا عضو ما ولا  
روح فيها فانقلابها حية تسعى بين القوم هاهنا وهاهنا ليس من فعل سيدنا  
موسى لانه ممكن لذاته والممكن لا يوجد غيره لافتقاره الى ممكن بل هو  
من فعل الله تعالى وقد عجز فرعون عن الاتيان بمثل هذه بل عن منع  
حركة الحية عند انسياها بين يديه واذا ثبت عجز سيدنا موسى عن هذا  
الانقلاب وعجز فرعون عن ردها ومنعها ثبت ان المحرك لها بعد قلبه صورتها  
هو الله تعالى الذي يدعو اليه سيدنا موسى فهذا دليل نظري من جهة  
عقلي من جهة أخرى . ثم تناول العصا وهي حية تسعى فعادت عصا كما  
كانت وقد تحير فرعون وذهل من هذه الآية الغريبة ثم اراه سيدنا موسى  
آية أخرى حيث اخرج يده التي يعرفها فرعون فاذا هي بيضاء للناظرين  
لها شعاع كشعاع الشمس ولم يكن بها برص ولا معه طلاء ثم اعادها الى  
جيبه واخرجها فاذا هي على حالتها الاولى فرأى فرعون قومه قد يهرم  
الامر واخذ بعقولهم وظهرت عليهم مخايل التصديق والاعتراف بما جاء به  
فقال لنزع ذلك من افكارهم بثلاثة امور الاول قوله **ان هذا السحار**  
**علم** . اي علم بالساليب السحر متفنن فيه يأتي بكل عجيبة فلا تصدقوه  
فانه ساحر وهذا الذي اظهره لكم انما هو من ضروب السحر لا من ضروب المعجزة التي  
يدعيها ليجعلها دليلاً على وجوده له غيري . الثاني قوله يريد ان يخرجكم من  
ارضكم بسحره . او همهم انه يريد ان يتغلب على عقولهم حتى يستميلهم اليه

فاذا صاروا في قبضته طوع امره ابعدهم عن الوظائف والمراتب وفوض امر  
 البلاد الى بني اسرائيل وجعلهم سادتهم فاذا تمكن من ذلك التى النفرة  
 بينكم واستعمل القسوة فيكم حتي تخرجوا من بلادكم الى غيرها وهذا اصعب  
 ما يكون على اهل الوطن فاراد ان يحرك حميتهم بهذا التهمويه . الثالث  
 قوله . فماذا تأمرون . استالم اليه برد القول اليهم من طريق الشورى  
 فاستعظهم بتنازله الى حد ان يشاؤهم في اهم الامور واوقات الكرب  
 والنوازل . ومن تأمل في هذه العبارة علم حقارة فرعون حيث نزل من  
 مقام دعوى الالهية الى مقام رجل مغلوب مقهور ليس له نصير دفعته  
 الضرورة الى الاستعانة بمن يزعم انهم عبيده المحتاجون اليه المخلوقون بصنعه  
 وليس بعد هذا ذل . وهل يلبق بن يقول لقومه ما علمت لكم من إله  
 غيري ان يرجع اليهم بقوله فماذا تأمرون فانه نزل الى حد التبعية حيث  
 صير نفسه مأموراً وصيرهم أمرين وهذا دليل على انه ذهل وذهبت عنه  
 فطنته ودهاؤه عندما حجه سيدنا موسى ورأى انه قد استمال النفوس بصدق  
 عبارته وحقية ما جاء به حتى ما يمنعهم من تصديقه الا الخوف من بطش  
 فرعون بدليل قوله . أَرَجِهْ وَاخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَا تَوَكُّبْ كُلَّ  
 سَحَابٍ عَلِيمٍ . ولم يقولوا قتله واخاه واسترح منها فانهم لما رأوا غرابته ما جاء به  
 سيدنا موسى وبعده عن ضروب السحر التي يعرفونها ورأوا فرعون يريد  
 صرفهم عن تصديقه بقوله ان هذا لساحر عليم فقاتلوا عندك كل ساحر عليم  
 فاحشروهم اليك ودعهم يناظرونه بسحروهم ليتبين ان كان ساحراً مثلهم او انه جاء  
 بحق كما يقول فبجح فرعون لمشورتهم وبعث البعوث في جميع البلاد المصرية

يدعون اليه السحرة وكان السحر متسلطاً في ذلك الوقت والسحرة منتشرون في البلاد وقد خرج سيدنا موسى من حضرة فرعون وذهب الى بيته منتظراً يوم الزينة الذي جعل ميقاتاً لاجتماع السحرة واعيان الاهالي ولم يقدر فرعون على حجزه وسجنه كما كان يتهدده بذلك وفي هذا من الدلائل على صدق رسالة سيدنا موسى وتأيدته بقوة ربانية وصيافته بحفظ إلهي ما لا يخفى فانه رجل دخل على ملك يزعم انه إله وكذبه في دعواه الإلهية ونسبه الى الجنون واذهل عقله بما ابداه من المعجزات بين يديه في حضرة قومه ثم خرج كأن لم يكن يصنع شيئاً وما تعرض له احد وقد تقوت العصبية الاسرائيلية بهذه المحاجة واجتمع اشرفهم على سيدنا موسى وحشوا الاصاغر على اتباعه والأخذ بما جاء به . ثم اجتمع السحرة والناس في اليوم المعلوم وجرى بينهم وبين سيدنا موسى ما جرى من ابطال سحرهم وظهور معجزته الحقة وفوزه بالعلبة والظفر وانتهى الامر بإيمان السحرة بما جاء به سيدنا موسى عند ما تبين لهم انه الحق اذ هم احق الناس بالترفضة بين السحر والمعجزة لعلمهم بضروب السحر واشتغالهم به الازمان الطويلة وقد رأوا ان الذي جاء به ليس من قبيل السحر الذي يعرفونه ولذلك وقعوا في الحال ساجدين وقالوا آمنا برب العالمين وقد كانوا القوة الكبرى التي اراد فرعون ان يدفع بها سيدنا موسى ويؤيد بها قوله ان هذا لساحر عليم فلما رأى سعيه خاب وازداد سيدنا موسى قوةً وتأيداً بإيمان السحرة المعتبرين عند الناس قال .

آمنت له قبل ان آذن لكم . يوم انه عبد من عبده اذا آذن باتباعه اتبعه الناس وانه لا يجوز لاحد ان يتبعه بغير اذنه وفي هذا من المذيان ما لا يخفى



ولما رأى ان إيمان السحرة يحول أفكار قومه الى تصديق سيدنا موسى اخذ يوم الناس انه ساحر وان ما حصل من إيمان السحرة كان باتفاق معه فقال يخاطب السحرة انه لكبيركم الذي علمكم السحر . اي انكم قادرون على الاتيان بمثل ما جاء به موسى ولكنكم تواطأتم معه لتستميلوا الناس اليكم باعمالكم مع علم فرعون ان سيدنا موسى تربى في بيته بين حاشيته وبطانته ولم يجتمع بالسحرة ثم هاجر وحده وعاد كما هاجر ولم يجتمع باحد منهم دلي ان طرو سيدنا موسى على السحرة مما يقضي عليهم بمنافرتهم وبذل الجهد في الظهور عليه حرصاً على مركزهم بين قومهم فدعواوه انه كبيرهم دعوى باطلة ولكنه تعود من قومه سماع كل ما قاله من غير بحث فيه ولا نظر . ثم عطف على السحرة مظهرًا عظمتهم وقوة سلطانه ليسترجع من أفكار قومه ما ذهب به هذه الآيات فقال . لا قطنن ايديكم وارجلكم من خلاف ولا نصلبناكم اجمعين .

توعدهم بأشد العذاب حيث يريد ان يقطع يد الواحد منهم اليميني ثم رجله اليسرى ثم يده اليسرى ثم رجله اليميني ثم يصلبه مبالغة في التنكيل والعقاب ولكن السحرة لم يرهبهم توعدده ولا اخافهم تهديده بل قالوا . لا ضير انا الى ربنا منقلبون . اي انا آمننا بالله لا رغبة في ذات موسى ولا رهبة منك وانما كان ايماننا لله تعالى الذي اظهر هذه الآيات اليبينات والمعجزات الباهرات على يد هذا الرسول وانك ان قتلتنا كما نقول فلا ضرر علينا فاننا ننقل من هذه الدار الفانية الى الدار الباقية وفيها تلقى الله تعالى الذي آمننا به وعرفنا انه الاله الحق المستحق للعبادة دون غيره وانك . انما نقضي هذه الحياة الدنيا . التي تعبدت فيها الناس وادعيت الالهية فيها بامهال الله

تعالى لك وارجاك الى اليوم الآخر . انا آمنة بربنا لانه فر لنا خطايانا وما  
اكرهتنا عليه من السحر . اظهروا ما كان بينهم وبين فرعون من اكرههم  
على تعلم السحر ليشعبذ بهم بين قومه ويوهمهم انه هو الذي يظهر هذه  
الآيات على ايديهم فكانوا آلة يجذب بها الافكار اليه فلما ظهر لهم الحق  
قالوا . ابن نوثرك على ما جاءنا من الينيات . ثم لم يعبأوا بوعيده وتهديده  
لعلمهم انه عبد ضعيف لا يقدر على شيء وضاية ما عنده ان يتصف بصفة  
صائل يسطو على حياة غيره بقوته . ثم انفض الجمع وقد قويت شوكة  
سيدنا موسى وعرف الناس عجز فرعون عن مقاومته ورده فاستخف به السحرة  
وسجدوا لله تعالى بين يديه وقالوا له انك عبد فان . والله خير وابقى . ولم  
يبالوا به وهو في اقوى ما يكون من سلطانه وكان الناس كانوا يعلمون  
كذبه وانه ليس بلإله وانما يعبدونه مرغبين وهو كذلك كان يعلم ذلك منهم  
ولذلك لم يستع من استشارتهم والاستعانة بالسحرة في جموع قومه فانه لا  
يعقل ان فرعون ملك المصريين وهو مجنون وانما ملكهم وهو في اعلى مراتب  
التعقل فهو يعلم انه ليس بمخالق للسماوات والارض ولا لشيء من الكائنات  
فان اقرب الاشياء اليه ذاته وهو لا يمكنه تغيير ذرة منها ولا استبدال  
شعرة بغيرها ولعله كان دهرياً كما قدمنا يعتقد ان الكواكب هي المدبرة  
لهذا العالم وانه ربي المصريين باحكامه فجاز عنده ان يقول لهم انار بكم الاعلى  
اي مريكم وما علمت لكم من إله غيري اي معبود يستحق ان تعبدوه فان  
نعي عليكم نقضي ذلك لانه إله خالق لهذه الكائنات مدبر لهذه  
العوالم العظيمة كما يتبادر للذهن عند سماع دعواه الإلهية . ولم يرجع سيدنا

موسى عن دعوته الى الله تعالى خوفاً من فرعون وملائته بل عاد اليه مع اخيه هارون وقال له . انا رسولا ربك . فرأى فرعون انه لو بدأه بالابدياء لنسبه الناس الى السفة والجهل ولذلك استنكف من البطش والعنف ورجع الى المناظرة فقال . فمن ربكما يا موسى . اي انا الذي رببتك وليدأاً أفتعرف رباً اي مربيا غيري وقصد هنا الاستفهام عن كيفية الاله بعدما استفهم عن ماهيته بقوله ما رب العالمين وعجز عن الوصول اليها وعلم انه لا يعرف حقيقة الله الا الله فقال سيدنا موسى . ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى . اي الاله الذي نعبده وندعو اليه وهو الرب الحقيقي هو الذي خلق صور الكائنات ودبر موادها واحسن تركيبها وبعد ابداعه الشي هداها بابداع القوى المدركة والحركة كما ترى من نفسك فان الله تعالى سوى صورتك وركب بدئك من اخلاط العناصر ثم نفخ فيك من روحه اي من الاجسام النورانية اللطيفة الجوهر التي لا تقبل التحال والتبدل ولا التفزق ولا التمزق فانقذها في بدئك . فقاذا بالنار في الفحم والدهن في البزر فتحركت بهدايته لك وما دامت هذه الاجسام الشريفة نافذة في بدئك سارية في اعضائك فانت حي فاذا فرغ اجلك تولدت في البدن اخلاط غليظة تمنع سريان تلك الاجسام النورانية فيه فانفصلت عن البدن فيعرض لك الموت وكذلك اذا طراً على البدن طارىء فجائي يمنع سريانها مات البدن عند انتهاء اجله الحدود وانظر الى هذه السموات كيف رفعها وصيرها في هذا الجو العظيم بفعله وتديبره لا أنها صارت كذلك لاعيانها وذواتها كما تزعم فان الاجسام متساوية في تمام الماهية ولو وجب حصول جسم في حيز معين لوجب

حصول كل جسم في ذلك الحيز . وكذلك الاحياز المعترضة في الخلاء  
 الصرف غير متناهية ولكنها متساوية فلو وجب حصول جسم في حيز  
 معين لوجب حصوله في جميع الاحياز ضرورة ان الاحياز باسرها متشابهة  
 وبهذا تعلم ان حصول الاجرام الفلكية في احيازها وجهاتها ليس امراً واجباً  
 لذاته بل لا بد له من مخصص ومرجح ولا مخصص الا الله تعالى الذي خلقها  
 وابدعها . وحكمك حكم هذه الاجرام لانك جسم حاصل في حيز فيمتنع  
 ان يكون حصولك في هذا الحيز لذاتك او لعينك بل ذلك حاصل بتخصيص  
 الله تعالى الذي خالقك وهداك لتناول ضروريات حياتك وكل ما كان  
 جنماً يمتنع ان يكون إلهاً . ثم انك ترى ان خلق المعادن والنبات والحيوان  
 انما يكون بواسطة تركيب طبائع هذا العالم البديع وعند تركيبها لا بد وان  
 يحصل من الارض والماء والهواء قدر مخصوص ومن تأثير الشمس والكواكب  
 في الحر والبرد مقدار مخصوص فلو قدرنا حصول زيادة على ذلك المقدار  
 او نقص فيه لم يتولد معدن ولا نبات ولا حيوان فمخصص هذه المقادير  
 هو الذي اعطى كل شيء خلقه وانت احد افراد الحيوان المخلوق بهذه  
 الطريقة فانت عبد مفتور لا تملك لنفسك نفعاً ولا ضرراً . ولا تنكر انك  
 خلقت من نطفة وهذه النطفة ان كانت جسماً متشابهة الاجزاء لم يكن المقتضى  
 لتولد البدن منها هو الطبيعة الحاصلة في جوهر النطفة ودم الطمث لان  
 تأثير الطبيعة بالذات واليجاب لا بالتدبير والاختيار . والقوة الطبيعية اذا  
 عملت في مادة متشابهة الاجزاء وجب ان يكون فعلها هو الكرة فلو كان  
 المقتضى لتولد الحيوان من النطفة هو الطبيعة لوجب ان يكون شكلها

الكرة والحاصل خلافه فالفاعل غير الطبيعة وهو الله تعالى . وإن كانت النطفة جسماً مركباً من اجزاء مختلفة في الطبيعة والماهية يجب ان يكون تولد البدن منها بفاعل مختار لان النطفة سريعة الاستمالة فالاجزاء الموجودة فيها لا تحفظ الوضع والنسبة فالجزء الذي هو مادة الدماغ لا يمتنع حصوله في اسفل البدن كما لا يمتنع حصول الجزء الذي هو مادة القلب في الرأس فيلزم ان يكون ترتيب الاعضاء على هذا الشكل المعين امراً دائماً او اكثرثياً والحاصل خلافه فالفاعل غير الطبيعة ومع ذلك فان النطفة لو كانت مركبة من اجزاء مختلفة الطبائع فان تحليل تركيبها ينتهي الى اجزاء كل واحد منها في نفسه جزء بسيط فلو كان المدبر لها قوة طبيعية لكان شكل كل جزء منها هو الكرة فيكون الحيوان كرات مضموم بعضها الى بعض وعلى فرض ثبوت ذلك فكل كرة معاجزة الى مخصص يخصصها بقدرها وحيزها وثبت ان الطبيعة لا تقدر على التخصيص والتميين فالمخصص لا بد ان يكون مختاراً وهو الله تعالى لان الطبائع ولا تأثير الكواكب والافلاك واذا امتنع ذلك على الطبائع والكواكب مع مشاهدة تأثيرها في الاشياء فلان يمتنع بالنسبة اليك من باب أولى فالذي اعطى كل شيء خلقه وهده لما خلق لاجله هو الله تعالى الفاعل المختار . وايضاً فانك جسم وكل جسم متصف بالتركيب والقوة والهداية وليس هذا الاتصاف واجباً فانا نشاهد الاجسام منفكة عن تراكيبها بعد الموت وهذا دليل على انه جائز والجائز لا بد له من مرجح والترجيح يستدعي قدرة عليه وعلماً بما فيه من المصالح والمفاسد وهذان مستحيلان على الانسان لانه لا يقدر على شيء من

تفسير جسمه بعد تركيبه فجزه عن انشائه من باب اولى وكما استحال ذلك على الانسان يستحيل ان يكون المرجح جسماً له مؤثرية لان الاجسام متساوية في الجسمية فاختصاص بعضها بالمؤثرية يكون جائزاً فيفتقر الى سبب آخر والدور والتسلسل محالان فلا بد من انتهاء سلسلة الاحتياج الى موجود مؤثر ليس بجسم ولا جسماني . وتأثيره لا يكون بالذات لان الموجب لا يميز مثلاً عن مثل والاجسام مع كونها متساوية في الجسمية فقد اخص بعضها بصورة الفلكية والبعض بالعنصرية والبعض بالنباتية والبعض بالحيوانية فاختلفاها يثبت ان المؤثر فاعل بالاختيار مدبر قادر على كل مقدور عالم بكل معلوم يستند العالم باسره الى خلقه وتدييره وذلك هو الله تعالى - ثم اراد ان يتم سيدنا موسى برهانه على مخالفة الاله للعالم وخلق كل شيء فخشى فرعون من ظهور حجته وقوة برهانه الذين يصرفان قومه عن عبادته واتباعه الى الايمان بالله تعالى واتباع رسوله فاعترض الكلام بالسؤال عن القصص والحكايات وقال . فما بال القرون الأولى . اي ما حالها وكيف كانت فلم يثبت سيدنا موسى الى مغالطته حتى لا ينقطع طريق الاستدلال على الصانع الحكيم جل شأنه وقال له . علمها عند ربي في كتاب . اي ان احوالها ثابتة في علم الله تعالى ثبوت النقش في الكتاب . لا يضل ربي . اي لا يبطل شيئاً من الاشياء بل هو عالم بكل المعلومات ولا ينسى شيئاً مما علمه فان علمه ابدى لا يتغير ثم كر على الاستدلال بالاثر على المؤثر لزيادة تعجيز فرعون واثامه وتكذيبه في دعواه بين قومه فقال . الذي جعل لكم الارض مهدياً وسلك لكم فيها سبلاً وانزل من السماء ماء . وفرعون يعلم انه عاجز عن هذا كله وهذا الذي اذله

وخبره حتى استشار قومه فادركهم الوهن والحوار العقليان وقالوا له . اتذر  
 موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآهلك . اي التركة يتأدى في  
 دعواه التي اخذت بالالباب وقد عظمت شيمته ونفوت عصيته بحيث  
 يمكنهم ان يثوروا عليك ويفسدوا دينك وملكك ويتركك موسى ولاضام  
 التي نصبتها لتقرب الناس اليك فلا تجد من يعبدك فقال لم ان موسى لا يمكنه  
 ان يخرج من اسرنا واستعبادنا هو وقومه الا بعصية يتحرك بها ويعتمد  
 عليها وانا سنقتل ابناءهم ونستعي نساءهم . فاننا ان فعلنا ذلك منعنا  
 العصية من النمو وكلما مات رجل منهم لا يقوم غيره مقامه لاستئصالنا  
 الأبناء وبهذا تنقطع عصبيتهم شيئاً فشيئاً . وانا فوقهم قهرون . الآن  
 فهم في قبضتنا وتحت تصرفنا فنضيق عليهم في كل شي . قبل ان يخرجوا  
 علينا . فلما سمع بنو اسرائيل ذلك هالم الامر وكدرهم فقال لم سيدنا  
 موسى . استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده  
 والمائة للمتقين . امرهم بامرين وبشرهم ببشارتين في عبارة واحدة فالامر ان  
 في قوله استعينوا بالله واصبروا . والبشارتان في قوله ان الارض لله يورثها  
 من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . ومراده ان فرعون عبد ضعيف  
 لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن غيره فاستعينوا بالله عليه ومن  
 استعان بالله هان عليه وقع البلاء لرضاه بالقضاء والقدر واصبروا على هذا  
 الوعيد والتهديد حتى يمكننا الله من الخروج من ذل العبودية فعاقبة  
 المصبر محمودة ثم اعلموا ان الارض لله الذي خلقها وخلق من عليها لا  
 لفرعون وانما كانت لله فهو يورثها من يشاء من عباده اطعمهم سيدنا

موسى في ميراث الارض لنقوى عزائمهم وتجتمع كلمتهم فن الانسان المستعبد  
الذليل اذا قيل له ان فعلت كذا نجوت خاطر بنفسه في فعل ذلك  
الشيء فما بالك اذا قيل له انك ستث ملك مستعبدك لا شك انه  
يستسهل كل صعب من الوسائل حتى يصل الى هذا المقصود العالى .  
والعجب ان بني اسرائيل عندما سمعوا ذلك من سيدنا موسى قالوا .  
أوذينا من قبل ان اتينا ومن بعدما جئتنا . فان المنجمين عندما اخبروا  
فرعون ان مولودا من بني اسرائيل يقتله وينتهي ملكه على يديه اخذ  
ليقتل ابنا مدة ثم تحقق ان هذا المولود هو انت وقد جئته الآن تدعوه  
لعبادة الله تعالى وقومه حذروه منا وخافوا ان نفسد عليهم دينهم فاعروه  
بنا وها انت تسمع وعيده بذيج ابنائنا فقال سيدنا موسى . عسى ربكم  
ان يهلك عدوك ويستخلفكم في الارض . فاطمأنت قلوبهم وسكنت حركة  
خواطهم وايد الله تعالى نبيه موسى بالآيات فتوالت على فرعون وقومه  
ونصر الله رسوله نصرا مييئا ومع ذلك يقول فرعون وقومه . مها تاتنا  
به من آية لتسخرنا بها فانحن لك بوء منين . وذلك لعزة الملك وحب  
الاستبداد فان النفس ميالة لما يرفعها على الغير وان كان باطلا في  
الواقع ولا تحب ما ينزل بها من اوج الرفعة ولو كان حقا في نفس الامر  
الا من رحم ربك وقليل ما هم . ومع ما صار اليه فرعون من الغيظ والميل  
الى الظلم والعدوان لم يرجع سيدنا موسى عن دعوته الى الله تعالى لانه  
مامور بذلك فجاءه وقال له . يا فرعون اني رسول رب العالمين حقيقى على ان لا  
اقول على الله الا الحق . زاداه بلقبه تحقيرا له واستخفافا به لظهوره عليه في وقائعه معه



فلا رأى فرعون قوة جاش سيدنا موسى وعدم رجوعه عن دعوته ورأى ان تهديده ووعيده لم يؤثر فيه شيئاً وان قومه تعلقوا به واجتمعوا عليه حتى صار له عصبية اسرائيلية عظيمة يمكنه ان يقاوم بها عصبية المصرية التفت الى قومه وقال . « يا ايها الملاء ما علمت لكم من إله غيري » . وليس في عبارة الرجل ما يدل على انه يدعي خلق السموات والارض فانه لم يقل ليس هناك إله غيري وانما قال ما علمت اي لا ارى من يستحق منكم الطاعة والانقياد اليه غيري . وتقدم له انه قال فمن ربكما يا موسى فهو يعلم ان هناك رباً غيره وانه عبد ولكنه يحتال على الاغرار بدعاوي باطلة حرصاً على ملكه وتأييداً لدعوته التي ادعاها قبل ظهور سيدنا موسى فقد كان عصره مع قومه كعصر الحشونة والجهالة وعصر سيدنا موسى معه عصر التنوير والارشاد وهذا الذي دعا فرعون للاحتيال على قومه بقضية اخرى تهكمية اذ قال . « فاقدر لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلني اطلع الى إله موسى » . وهو يعلم ان الانسان لو وثق على اعلى جبل ونظر الى السماء لكان كمنظره لها وهو في اخفض بقعة من الارض فلو بنى له ارفع بناء ما رأى شيئاً غير ما يراه وهو في فراشه وانما ساقى هذه العبارة تهكماً فان سيدنا موسى لم يقل ان إلهي في السماء حتى يكون قول فرعون حقيقة وانما قال له رب السموات على ان قوله لعلني اطلع يفيد انه لم يكن قاطعاً بان إله موسى في السماء فقد استنقهم منه عن ماهيته فاقام له الدليل على وجوده بآثاره ولم يذكر له عن حقيقته شيئاً حتى يتوهم انه في السماء

غ

من عبارتك بهم ان هامن ما بنى الصرح مع ان بعض المؤلفين  
منكم يقول ان هامن جمع من البنائين خمسين الفاً ومن الفعلة ما لا  
يحصون وطبخ الأجر والحب وصنع المسامير وقطع الاخشاب وبنى بناء ضخماً  
لم يبنه احد من العالمين ويجعله في اعلى ما يكون من الارتفاع ثم جاء فرعون  
فارفق فوقه رمى السماء بنشابة فعادت ملطحة بالدم فقال قتلت إله موسى  
وان ذلك كان ابتلاء من الله تعالى لفرعون وقومه فجاء جبريل وضرب  
هذا البناء فقطعه ثلاث قطع وقعت على عسكر فرعون فقتلت  
منهم الف الف وقطعة وقعت في الغرب وقطعة وقعت في البحر وقد  
تناقل مؤلفوكم هذه العبارة ودونوها حتى في بعض كتب التفسير واثت اشير  
لعدم وقوعها فما هي الحقيقة التي يعول عليها علماءكم في هذه القصة

ش

يا خواجه انك لست من الطمئنين حول كتب القصص  
ولامن المتهاوتين على كتب الحكايات وقد درست كتبنا وعرفت طريقتنا  
التي نأخذ بها في مثل هذه الحكاية فاننا لا نأخذ بخبر من الاخبار الا اذا  
استند لاحد الاصلين العظيمين الكتاب والسنة او لاحدهما . اما الكتاب  
فانه لم ينص على انه بنى او فعل شيئاً من ذلك وانما حكى عبارة فرعون  
المهكمية الايهامية . والسنة ليس فيها شي . من هذه القصة التي ذكرتها فلم  
ينق الا انها حكاية قصاص او خبر مؤرخ وكل منها غير معول عليه عندنا  
في مثل هذا الموضوع وكونها في كتبنا لا يفيد صحتها فان المؤلف قد ينقل

الشيء بطريق السماع من القضاة او اعتماداً على نقل غيره ولم يخرج في  
الطريقين عن حد الحكاية اذ لا يمكنه القطع بشيء لم ينص عليه كتابه  
ولا اخبر عنه نبيه ولا اجمع عليه اهل ملته . والانسان ببديهته العقل يحكم  
بعدم صحة هذه القصة فان البنائين الذين بنوا الصرح وقفوا في الموقف الذي  
ارتقى اليه فرعون ولم يروا ان الأبعاد التي كانت بينهم وبين السماء وهم تحت  
البناء قد انتهت وانقطعت ولا راوا جرم السماء محسوساً لهم حتى يلزم اعتقادهم  
وصول فرعون الى إله موسى او الى رؤيته . وفرعون لم يكن من المجانين حتى  
يعتقد وصوله السماء بمنزل هذا البناء . والا لما صح ارسال سيدنا موسى اليه فهو  
عاقل يعلم من بعد السماء وعدم الوصول اليها ما يهمله كل عاقل ودعوى ربي  
النشابة وعودتها ملطخة بالدم غير مسامة عقلاً فانه لو حصل ذلك لآخبر  
القرآن عنه لكونه أهم ما في القصة ولرجع كثير من بني اسرائيل عن متابعة  
سيدنا موسى ولقويت حجة فرعون ودعواه ولبكت سيدنا موسى بقتله إلهه  
ولكان لذلك اثرماً في القصة ومع تعرض القرآن لها في كثير من السور لم  
نر في سورة منها ما يشير لذلك فلذا رددنا كل هذه المفتريات وقلنا ان  
فرعون كان دهرياً فقال ما علمت لكم من إله غيري يدرك بالحس فان حركات  
الافلاك والكواكب وتأثيرها كافي في تغيير العوالم واظهار الحوادث . والا إله  
الذي لا يحس لا يدل عليه بدليل والحس للإله العلوي لا يكون الا بصعود  
السماء وان كان هذا ممكناً فاجعل لي يا هامان صرحاً . وايضاً ان بناء  
كهذا الذي يذكرونه وبالقون فيه لا يتم الا في سنين طويلة ولا يعقل ان  
سيدنا موسى ترك الدعوة انتظاراً الفراغهم من البناء او ان فرعون سكت عن

سيدنا موسى مع تظاهرة بتكذيبه ودعوة الناس الى متابعتها ولو حصل شيء من هذا لذكر وعلم على ان المدة التي بين حضور سيدنا موسى من ارض سيناء وبين خروجه ببني اسرائيل من مصر لا تسع بناء هذا الصرح فيها وبالجملة فان جلالة القرآن وعزة الدين لا يقبلان هذه المفاتريات ولعلمنا من وضع غير المسلمين وسرت اليهم بالدمس او بالخالطة الا ترى قول فرعون بعد ذلك لقومه « ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد » اوهم قومه انه قادر على قتل موسى ولكن هناك من يمنعهم فقال ذروني اي دعوني واخلوا ببني وبينه مع انه توعد به بقتل ابناه بني اسرائيل ولم يفعل وتمده بالسجن ولم يفعل وما ذلك الا بصرف الله له عن رسوله وقوله وليدع ربه تهكم آخراي انا اقتله ودعوه يدعوه ربه ليخلصه مني وهذا ايضا من تلاعبه بافكار قومه فانه لو كان قادرا ما استهاج قومه على سيدنا موسى بقوله اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض اي ارض مصر الفساد فرجل يخاف من رجل وهو تحت قهره وسلطته وقومه في استعباده رجل ضعيف عالم بما هو عليه من ادعاء ما ليس له باهل فلو كان بنى الصرح ورمى النشابة ولطخت بالدم ما اقر بالخوف وطلب تمكنه من قتل موسى لئلا يفسد على قومه دينهم وديناهم وقد سرت دعوة سيدنا موسى فعمت بني اسرائيل قاطبة واخذ بها بعض من قوم فرعون بل من اقاربه وآله فقام رجل منهم وقال « انقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » وهذا الذي اذهل فرعون واخافته حيث يسمع اقرار آله بحقية ما جاء به خصمه في جموع قومه وانكار لهيته

بالمرة والإعتراف بوجود إله آخر . ولما رأى هذا المؤمن ان ذلك ربما اغرى فرعون به اخذ يواربهم في الكلام فقال . « فان يك كاذباً فعليه كذبه وان يكن صادقاً يصيبنكم بعض الذي يعدكم » . اي يكفيكم ان تعرضوا عنه او تردوه عن دعوته وتكفوا الناس عنه وهناك ان يك كاذباً فيكون كذبه عليه لا يضر احداً بعد صرف الناس عنه وان يك صادقاً في دعوته واخباره بان إلهه يهلك من خالفه ويعذب من كفر به يصيبنكم بعض هذا الوعيد ومراده الكل ولكنه تطف في العبارة لصرف شرم عنه ثم قال « ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب » . اوهم انه يدعو على سيدنا موسى وهو في الحقيقة يدعو على فرعون وقومه فان من تأمل قوله يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم يتحقق انه كفر بفرعون وآمن بالله موسى واخبر قومه بان لهم رباً غير الذي يزعمون انه ربهم وهو لا يستحي من قوله انا ربكم الأعلى ومن كانت هذه صفته فهو المسرف على نفسه باتباع الباطل بعد وضوح برهان الحق الكاذب فيما يدعيه من دعوى الإلهية او بطلان دعوة موسى بعد ان جاء بالبينات واظهر الله تعالى على يديه المعجزات الباهرة التي نطق بها القرآن والتوراة مفصلة آية آية . ثم لشدة تمكن الإيمان من هذا الرجل حذرهم من بطش الله تعالى فقال . « يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرونا من بأس الله ان جاءنا » . اي اتم اليوم ملوك مصر وهذا الرجل وقومه في قبضتكم وتحتم تصرفكم فان اراد الله تعالى عكس القضية وجعلهم ملوكاً وجعلنا عبيداً فمن ينصرونا من بأس الله ان اراد هلاكنا او اذلالنا لهؤلاء

ويظهر أن هذا المؤمن كان من اوجه آل فرعون فإنه بعد تظاهرة بهذا الكلام ودعوته الناس لاتباع موسى في حضرة فرعون لم يستطع فرعون رده ولا بالكلام ولا عارضه بحجة يبطل بها اعتقاده بل نزل الى درجة احقر الناس المتفاوضين في امر فقال : « ما أرىكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد » . اي ما اشير عليكم برأي احسن من قتل موسى سدا للباب الفتنة وحفظاً للملك من الضياع وما اريد بذلك الا هدايتكم الى سبيل الرشاد في العمل وهذه عبارة رجل مغلوب لا سلطان قاهر . وعند ما قتل ذلك خاف المؤمن من آله ان يستحسن الناس قتل موسى فأخذ يدفعهم عن هذا الرأي بقوله . « يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الأحزاب » . اي انكم تقرؤن في كتبكم اخبار قوم نوح وعاد وهود وما حل بهم عند تكذيبهم رسلكم وهذا رسول مثل رسلكم فاخاف انكم ان اصررتم على تكذيبه او صمتم على قتله ان يستأصلكم الله تعالى كما فعل باؤلئك المالكين . ثم جاءهم من طريق آخر فقال . « يا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم » . اي ان الذي جاء به موسى هو الحق وقد اخبرنا ان هناك الهاماً فاعلاً مختاراً يثيب الطائع ويعذب العاصي يوم يند الناس فراراً من بينهم وينادي الظالم بالويل والثبور وهو يوم القيامة وقد صدق موسى في خبره فاخشى عليكم من هول هذا اليوم يوم تولون مدبرين تظنون الفرار من الله وانتم انما تفرون من نعمته الى عذابه حيث لا عاصم لكم في ذلك اليوم من امر الله ومن لم يعتبر بذلك فهو في حيرة الضلال . « ومن يضل الله فما له من هاد » . وهذا اعلى مقام في التظاهر

بالحق فإنه صار الخصم الألد لقوة إيمانه وقد سرت إليه حمية سيدنا موسى  
فأخذ يرد على قومه ويسفه عقولهم ويصرّح بضلالهم ويشتمهم غير مبال بجموعهم  
وقوة سلطانهم . ثم لما رآهم مصرّين على تكذيب سيدنا موسى جاءهم من  
طريق آخر بيكبتهم به ويخبرهم أن طريقه هو طريق الأنبياء قبله فأنال  
اتسكرون عليه . « واند جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما  
جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن نبعث الله من بعده رسولا » . أي انكم  
تعلمون وجرد إله حق خالق لهذه الكائنات وقد أخبركم عنه يوسف الصديق  
قبل ذلك ودعاكم لعبادته وأظهر لكم من الآيات الدالة على صدقه ما لا تنكرونه  
ومع ذلك كنتم في شك مما جاءكم به وبقيتم على نفاقكم معه مدة حياته حتى  
إذا انتضى دوره ومات قلتم ما بقي رسول بعثه الله بعد ذلك وان يبعث  
احداً تهكمًا منكم بمقام الرسالة وهذا الذي دعاكم لتكذيب موسى أيضاً وهذا  
هو ضلال المسرف المرتاب الذي اخذته الحيرة فلم يدر أي الطريقين يسلك  
طريق ما هو عليه وقد ظهر بطلانه أم طريق الهدى وهو قاضٍ بالانقياد الى  
الداعي الذي يراه دونه . وكأنه كان طريقاً مسلوكة القدماء المصرّين من جاءهم  
الحق كذبوه فإن قهرهم زانقوه ومن جاءهم بالباطل صدقوه واتبعوه  
بدليل قول هذا المؤمن من ولا شيء ادل على ان صاحب الحق يرى في  
نفسه من القوة والشجاعة ما يتصور به قدرته على رد الامم العظيمة  
من وقوف هذا المؤمن امام ملكه المتعظم على ربه كبراً وامام عظماء  
ملكته وهو يعلم قوتهم وسطوتهم وغلظتهم التي الجاءتهم اللهم بقتل رسول  
عظيم يكذبهم ويردهم عن بهتلتهم وضلالهم ويبكبتهم بسابق قبائحهم وسيء

اعمالهم وينادي عليهم بالويل والشبور وما ينطق واحد منهم بكلمة يدفع بها هذا الذي وقف موقف الرسول يأمرهم وينهاهم . وفي تذكيرهم بشأنهم مع سيدنا يوسف تعريض بان الامر سيصير الى موسى وقومه كما صار الى يوسف بعد ان جاء في صورة عبد ضيف ونبي بين ايديهم وانتهى امره بان صار حاكمهم الاكبر ومدبرهم الاعظم فهو يقول ارجعوا عما انتم فيه وادخلوا في دعوة موسى وابقوا في ملككم وسلطانكم فانه ليس مقصودا له قبل ان يجعل بكم غضب ربكم فيسلبكم الملك ويجعله في بني اسرائيل وفي هذا من المبالغة في النصيحة ما لا يخفى . والعجب من فرعون كيف تناهى في الدعوة الباطلة ورفع انفه على كل مصري واسرائيلي واخذ يهدد سيدنا موسى بما هو من لوازم الملك وعزة الساطان ثم انحط الى اقل الدرجات وصار بحيث يبكته من هو من قومه وينبئه على خطائه ويخوفه من سوء عاقبة نهتانه وافترائه وهو لا يحرك شفته بكلمة يرد بها على هذا المؤمن او يدفع بها حجه وهذه عاقبة البغي ونتيجة الدعاوى الباطلة حيث يرجع صاحبها الى الذلة والخيرة لضعف برهانه . والله هذا المؤمن فقد علم الناس طريق التكلم بالحق بين يدي الملوك في قالب المواربة والشفقة على الملك والاشفاق عليه من تعاضم قوة خصمه وتقويته على نزع الملك منه وهو طريق كله ادب وحكمة فلو تهور في حضرة الملك وواجهه بتسفيه رأيه او تكذيبه في دعواه لفتك به وعاقبه العقاب الشديد ولكنه تلطف واخذ يخاطب القوم الذين منهم الملك ويجذرهم ضياع ملكهم الذي هو سلطان الملك وعرش عزه وسطوته فلو تمعنا هذه العبارة وما تحتها من اساليب السياسة وفنون الآداب العالية لرأينا هذا



المؤمن كالواضع لقانون اداري او وزاري. يرشد به ارباب المناصب العالية الى التلطف في مخاطبة الملوك والتحايل على القادة حجة الحق بأحسن صورة. وقد زادت قوة سيدنا موسى بتعضيد هذا المؤمن الذي هو من وجهاء آل فرعون فاشتد تعلق بني اسرائيل به واتسعت آمالهم في نجاح سيدنا موسى وفوزه بتخلصهم من أسر فرعون وجنوده وتجمعوا حوله بعد ان كانوا يفرون منه خوفاً من اعوان فرعون كما قال تعالى «فيا آمن لموسى الاذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم ان يفتنهم» ان يصرفهم عن دينهم بالتعذيب والتنكيل. ثم انه لما اشتدت عصبية سيدنا موسى امره الله تعالى بالنظائر الادبي اظهار الدينه وعملاً بشعائره فاوحى اليه واخيه «ان تبوأ لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين» والمراد بالبيوت المساجد او المساكن وجعلها متقابلة لتكون العصبية مجموعة في مكان واحد يدفع بعضهم عن بعض ويسمعون ما تدعو اليه وهم حولك كاهل بيت فاشتد غيظ فرعون من هذا التظاهر والنداء بالالهية لغيره او الغير ما يعبد من الاوثان وعزم على استئصال بني اسرائيل دفعاً لشركهم الذي يذهب بملكه فاوحى الله الى موسى «ان اسر بعبادي انكم متبعون» فجمع سيدنا موسى من آمن به وامرهم باخذ اهبية الارتجالا عن مصر فجهز القوم وخرج بهم ليلاً وهم جموع كثيرة فلما احس بهم قوم فرعون واخبروه امتلاً غيظاً وارسل رسله في المدائن يجمعون له جنداً يقاتل به بني اسرائيل ويردهم الى مصر او يستأصلهم قتلاً وقال لقومه «ان هؤلاء اشرذمة قليلون» اي طائفة قليلة ونحن امة عظيمة وقد كانوا عبيداً لنا فخرجوا عن طاعتنا ونادوا بغير ديننا وهم

الآن خارجون من بلادنا « وانهم لنا لغائظون » بهذه الاعمال التي تكسبهم العزة وتوقعنا في الذلة وكيف يفعلون ذلك برأى منا « وانا جميعاً حاذرون » ما كان عهدنا ان نخذر من شيء الا في هذا العصر الذي ظهر فيه موسى وصيرنا نخذره ونخذر غيره او انا حذرون شأننا الخذر والتميقظ للامور والاخذ بالحزم في كل شيء فكيف يفوتنا موسى وقومه ويتخلصون منا وراماده ان يبعث الحمية في قومه بهذه المحركات فقد سهل عليهم الامر بقوله ان هؤلاء لشردمة قليلون اي لا تخافوا منهم او كيف لتأخرون عن قتالهم وردم عامهم فيه وهم فئة قليلة بالنسبة اليكم ولا ينبغي ان تجيبوا الى حدان يخرج عبيدكم او مستعبدوكم من بلادكم وانتم تنظرون : ثم زادهم زجراً وحشاً على ائمتهم بقوله وانهم لنا لغائظون بهذا الخروج الذي جمعوا فيه ابناءهم وبناتهم ونساءهم واوانيتهم وماشيتهم ومشوا بهذا كله كانوا في ساحة لا ساكن فيها او في امة لا راعي لها ومن يرضي بهذه الالهانة الكبرى . وبهذه العبارات انبعثت روح الحمية في قومه فجمعوا ألوفاً وحملوا السلاح واستعدوا للقتال ورتبوا انفسهم جيوشاً وفصائل وسرايا وخرجوا متأثري بني اسرائيل وقد تركوا بيوتهم وزروعهم كما قال تعالى « فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم » اي اخرجهم الله تعالى من بسايتهم الجميلة وعيون مياههم التي بها قوام زروعهم من سواقي وآبار تستعمل ايام انخفاض النيل او هي نفس النيل باعتبار منابعه الاصلية وكنوزاي اموال مجموعة عندهم مكنوزة في بيوتهم او اراضيهم التي هي كنوز الاموال بخصبها وحسن تربتها وفيضان نيلها وهو وصف بديع لارض مصر التي ترحل اليها الناس من جميع الاجناس وتجاري

عليها الملوك قديماً وحديثاً طمعا في هذه الكنوز الدائمة التي لا تنفني مادامت يد الفلاح تعمل فيها ومقام كريم وهو وصف لمصر وليبوتهم فيها وقد كانت على احسن ما تدعو اليه المدنية اذ ذاك فقد كانت مصر في اعلى طبقات العمران وصنائعها في تقدم لا يجاريها فيه غيرها وكانت مرجعاً للراجلين في طلب الصناعة والتجارة . وهذه الجنود التي سار بها فرعون جمعت صنائد قومها واشرف البلاد ووجهاتها اذ من المعلوم انه لا يتخلف عظيم في البلاد بعد ركوب الملك بنفسه وما اخرجهم الله تعالى بهذه الصورة الا لئلا يستأصلهم ويجعل مصر غنيمته لبني اسرائيل بدليل قوله «واورثناها بني اسرائيل» وهو تدبير الهي وصنع حكيم لا تشوش عليه المطالب ولا يعجزه شيء في الارض ولا في السماء . فلما تلاحقوا ببني اسرائيل وتراى الجمعان بحيث صار ينظر بعضهم بعضاً على بعد مد البصر « قال اصحاب موسى انا لمدركون» اي ان فرعون لمدركونا بمنوده ولئن ادركنا يستاصلنا لكثرة جنوده وقتلنا فضلاً عما معنا من النساء والاولاد والماشية التي تدعو بعضنا للمحافظة عليها والدفاع عنها فيكون العدد المقاتل في وجه العدو قليلاً فيحصل الخذلان ونقع في اسوء مما كنا فيه من الاستعباد والاهانة فلما سمع سيدنا موسى عبارتهم « قال كلاً» اي انهم لا يدركوننا ولا يتمكنون منا « ان معي ربي » بعلمه وقدرته فهو يدفعهم عنا ويهديننا الطريق الموصل للنجاة فانه هو الذي امرني ان اسرى بكم ووعدي النصر على اعدائنا ووعده حق لا يتخلف فلا تخافوا ولا ترهبوا فاطمأنت قلوبهم وجدوا في السير حتى وصلوا البحر الاحمر فكان كما قال الله تعالى « وجاوزنا بني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون

وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين « فدلّت هذه الآية على أن الله تعالى جعل لبني إسرائيل طريقاً في البحر يبساً حتى جاوزوه ثم جاء فرعون وقومه فطمى عليهم الماء فاغرقهم وقد تكلم في هذه المعجزة الكبرى أناس من الطبيعيين وغيرهم ممن لا يؤمنون بالكتب السماوية وأنكروا فلق البحر بقدرته الله تعالى وجعلوه من باب المد والجزر الطبيعي المعتاد وهو لئلا لا يؤخذ بقولهم فيما يخص بالآيات الدينية والمعجزات النبوية فقد بنوا كل أصولهم على المشاهدات الكونية وعللوها بعلم وأسباب محسوسة وأنكروا ما وراء الحس . والمؤمنون الآخذون بكتب الأنبياء يعتقدون أن الله تعالى فاعل مختار وأنه أنشأ هذه الأكوان بقدرته وبرزها على هذه الصور والجناس والاشكال البديعة على ما علمه وأراده وإذا كان قادراً على أحداث وإبداع هذا الصنع الغريب فهو قادر على فلق البحر وإنجاء قوم واغراق آخرين . على أنه حيث انتهت نسبة خلق السماوات والأرض إليه فالمد والجزر من خلقه وإبداعه وتأثير بعض الحوادث فيه خلق له أيضاً فكل ما في الأكوان العلوية والسفلية صنعه المنفعل بفعله ولا غرابة في أحداث الله تعالى هذه الآية العظيمة عند ضرب سيدنا موسى البحر بعصاه التي لا تؤثر شيئاً في البحر ليظهر الله تعالى لبني إسرائيل كمال قدرته وصدق رسوله فيزداد إيمانهم قوة ويعظم يقينهم بنجاتهم على يد هذا الداعي إلى الله تعالى فالفلق حاصل بضرب العصا في مرأى العين وهو حاصل بفعل الله تعالى في الحقيقة

١٥ غ

هذه الآية تدل على ان فرعون مات مؤمناً فانه قال آمنت انه  
لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين افتقولون بذلك وان منعتم  
فما نقولون فيها وقد آمن الرجل ثلاث مرزات الاولى قوله آمنت والثانية قوله  
لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل والثالثة قوله وانا من المسلمين وكل  
واحدة منها كافية في القول بايمانه

ش

العلماء منفقون على عدم ايمانه وهو انما قال ما قال عند ما ادركه الفرق  
فهو في وقت العذاب وعند نزول العذاب يصير الحال وقت الالقاء فلا يكون  
الايان مقبولاً في هذه الحالة لانه جعله وسيلة لدفع البلية عنه . والايان اذا  
لم يكن مقترناً بشهادة ان لا اله الا الله وان النبي الداعي رسول الله لا يكون  
مقبولاً لان الايمان بالله مع عدم الاقرار بصحة رسوله تكذيب للرسول في  
دعواه وتكذيب الرسول كفر فهو محلي كفره لانه ما شهد ان موسى رسول  
صديق ولا آمن برسالته . ثم انه قال لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل  
وهو دليل على انه لا يعرف الله تعالى وانما سمع من بني اسرائيل ان لهذه  
الكائنات الهاً خالقاً لها مستحقاً للعبادة فآمن به على جهل وعدم اعتقاد جازم  
فهو تقليد لا حجة فيه على صحة ايمانه . وقد كان بنو اسرائيل قبل مجي سيدنا  
موسى يعتقدون ان الله تعالى جسم او يعمل في جسم فآمن بوجود اله مجسم  
او يعمل وينزل في بعض الاجسام وهذا صريح الكفر لا الايمان . ولا ينفعه  
قوله وانا من المسلمين فانه ما قالها الا في هذه الحالة والله تعالى يقول « وليست

التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت  
الآن ولا الذين يموتون وهم كفار» فانفاق جمهور العلماء السابقين واللاحقين  
على انه مات على كفره وان ايمانه بالاله المجهول عنده او بالالهاء او مع عدم  
تصديق الرسول او مع اعتقاد جسمية الله تعالى او حلوله لا ينفعه ولا يحكم  
بصحته وان وجد لبعض الناس قول بصحة ايمانه فانه غير معول عليه عند  
الجمهور وربما كان مدسوساً . وصريح اعتقادنا معاصر المسلمين في قصة  
سيدنا موسى انها على ما اخبرنا بها القرآن العزيز فلا نقبل خبر غيره ان خالفه  
في شيء مما نص عليه فيها وهو عندنا تنزيل من حكيم حميد لا يقبل التغيير  
ولا التبديل ولا المعارضة بالشبه والوضعيات الانسانية ولهذا سقت لك ملخص  
هذه القصة على ما جاء في اصدق كتاب اخباراً من العالم بحقائق الاشياء على  
ما هي عليه وهو الله تعالى . واذا طبقت ما في القرآن من هذه القصة على ما  
في التوراة وجدته واحداً الا في بعض الفاظ نطقت بها التوراة هي من معتقد  
بني اسرائيل خاصة وها هو نص الاصحاحين الرابع عشر والخامس عشر من  
سفر الخروج من التوراة المتداولة الآن موجود في مذكري فاسمعه بحروفه قال  
في الاصحاح الرابع عشر

وكلم الرب لموسى قائلاً كلم بني اسرائيل ان يرجعوا وينزلوا امام فم  
الخيروث بين مجدل والبحر امام بعل صفون . مقابله تنزلون عند البحر . فيقول  
فرعون عن بني اسرائيل هم يرتكبون في الارض قد استغلق عليهم القفر .  
واشدد قلب فرعون حتى يسعى وراءهم فاتمجد بفرعون وجميع جيشه ويعرف  
المصريون اني انا الرب ففعلوا هكذا . فلما اُخبر ملك مصر ان الشعب قد

هرب تغير قلب فرعون وعبيده على الشعب فقالوا ماذا فعلنا حتى اطلقنا اسرائيل من خدمتنا فشدت مركبته واخذ قومه معه واخذ ستائة مركبة متخبة وسائر مركبات مصر وجنود مركبية على جميعها . وشدت الرب قلب فرعون ملك مصر حتى سعى وراء بني اسرائيل وبنو اسرائيل خارجون بيد رفيعة فسعى المصريون وراءهم وادركوهم . جميع خيل مركبات فرعون وفرسانه وجيشه وهم نازلون عند البحر عند فم الحيروث امام بعل صفون . فلما قرب فرعون رفع بنو اسرائيل عيونهم واذا المصريون راحلون وراءهم ففزعوا جداً وصرخ بنو اسرائيل الى الرب وقالوا لموسى لانه ليست قبور في مصر اخذتنا لنموت في البرية ماذا صنعت بنا حتى اخرجتنا من مصر . اليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين كف عنا فنجدم المصريين لانه خير لنا ان نجدم المصريين من ان نموت في البرية . فقال موسى للشعب لا تخافوا وقفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم فانه كما رايتم المصريين اليوم لا تعودون ترونهم ايضاً الى الابد . الرب يقاتل عنكم وانتم تصيحون - فقال الرب لموسى مالك تصرخ الي . قل لبني اسرائيل ان يرحلوا وارفع انت عصاك ومد يدك على البحر وشقه فيدخل بنو اسرائيل في وسط البحر على اليابسة وها انا اشدد قلوب المصريين حتى يدخلوا وراءهم فتمجد بفرعون وكل جيشه بمركباته وفرسانه فيغرق المصريون اني انا الرب حين اتعبد بفرعون ومركباته وفرسانه . فانتقل ملاك الله السائر امام عسكر اسرائيل وسار وراءهم وانتقل عمود السحاب من امامهم ووقف وراءهم فدخل بين عسكر المصريين وعسكر اسرائيل وضار السحاب والظلام واضاء الليل فلم

يقترب هذا الى ذاك كل الليل - ومدّ موسى يده على البحر فاجرعه  
 الرب البحر بريح شرقية كل الليل وجعل البحر يابسة وانشقّ الماء فدخل  
 بنو اسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم  
 وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم جميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه الى  
 وسط البحر . وكان في هزيع الصبح ان الرب اشرف على عسكر المصريين  
 في عمود النار والسحاب وازعج عسكر المصريين وخلع بكر مركباتهم حتى  
 ساقوها بثقله فقال المصريون نهرب من اسرائيل لان الرب يقاتل المصريين  
 عنهم - فقال الرب لموسى مد يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين  
 على مركباتهم وفرسانهم فمد موسى يده على البحر فرجع البحر عند اقبال  
 الصبح الى حاله الدائمة والمصريون هاربون الى لقاءه فدفع الرب المصريين  
 في وسط البحر فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون  
 الذي دخل وراءهم البحر لم يبق منهم ولا واحد . واما بنو اسرائيل فمشوا  
 على اليابسة في وسط البحر والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم فخلص الرب  
 في ذلك اليوم اسرائيل من يد المصريين ونظر اسرائيل المصريين امواتا على  
 شاطئ البحر ورأى اسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرب بالمصريين  
 فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبدته موسى

ونص الاصحاح الخامس عشر

حينئذ رنم موسى وبنو اسرائيل هذه التسمية للرب وقالوا . ارنم  
 للرب فانه قد تعظم . الفرس وراكبه طرحها في البحر . الرب قوتي ونشيدي  
 وقد صار خلاصي . هذا الهى فاعبده اله فارفعه . الرب رجل الحرب الرب



اسمه . مركبات فرعون وجيشه القاها في البحر ففرق افضل جنوده المركبة في بحر سوف تنظيهم اللجج قد هبطوا في الاعماق كحجر يمينك يا رب معتزة بالقدرة . يمينك يا رب تحطم العدو وبكثرة عظمتك تهدم مقاوميك . ترسل سخطك فياكلهم كالقش . وبريح انفك تراكت المياه ( هكذا في الاصل ولعل المراد ريح قدرتك وانما نسبت الريح الى الانف لانه آله الشموخ فشبهوا قدرة الله تعالى بانف الرجل العظيم الذي يرفعه تعاضا والا فان الله تعالى منزه عن الجسمية والحواس ) انتصبت الجاري كراية . تجمدت اللجج في قلب البحر . قال العدو اتبع ادرك اقم غنيمة . تمتلي منهم نفسي اجد سيفي تفنيهم يدي . نفخت بريحك فغطاهم البحر . غاصوا كالرصاص في مياه غامرة . من مثلك بين الالهة يا رب ( المراد بالالهة هنا ماسماه الناس آلهة وليسوا آلهة كالاصنام وفرعون فان الله تعالى ليس كمثل شي لان هناك آلهة حقة وليس فيها مثله ما من إله الا الله ) من مثلك معتزا في القداسة مخفوفاً بالتسايع صانعا عجائب . تمد يمينك فتبتلعهم الارض . ترشد برافتك الشعب الذي فديته . تهديه بقوتك الى مسكن قدسك . يسمع الشعوب فيرتعدون . تاخذ الرعدة سكان فلسطين حينئذ يندهش امراء ادوم . اقوياء موآب تاخذهم الرحفة . يذوب جميع سكان كنعان تقع عليهم الهيبة والرعب . بعظمة ذراعك يصمتون كالبحر ( المراد بالذراع القوة والا فان الله تعالى لا اعضاء له اذ الاعضاء من لوازم الاجسام وكل جسم مركب وكل مركب حادث والله تعالى قديم فليس له اعضاء ) حتى يعبر شعبك يا رب حتى يعبر الشعب الذي اقتنيته . تجي بهم وتغرسهم في جبل ميرانك ( اي الذي تورثه من تشاء من

عبادك لانه موروث لله تعالى عن غيره) المكان الذي صنعته يارب لسكنك  
 (لعل المراد لسكن عبادك او انبيائك والا فان الله تعالى يستحيل عليه الاستقرار  
 والسكنى لانه ليس بجسم يتحيز في الامكنة) المقدس الذي هيأته يداك  
 يارب (لعل المراد باليدين القدرة والارادة اي اردت ان يكون البيت المقدس  
 في مكان كذا ثم كوته بقدرتك والا فان الجارحة مستحيلة على الله تعالى لانها  
 من لوازم الاجسام وهي حوادث والله تعالى قديم) الرب يملك الى الدهر  
 والابد فان خيل فرعون دخلت بمركباته وفرسانه الى البحر ورد الرب عليهم  
 ماء البحر واما بنو اسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر  
 فمن نص هذين الاصحاحين ترى توافق التوراة والقرآن في فلق البحر  
 بضربه بعضا سيدنا موسى فاعتراض الاوروبيين على القرآن بانه اخبر عن  
 امور لا يقبلها العقل يستدلون بذلك على بطلانه وجعله من تأليف نبينا  
 سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عين اعتراضهم على التوراة وسيدنا عيسى  
 اخبر انه جاء ليتم التوراة فهو يعتبرها ويعتمد ما فيها فيكون اعتراضهم على  
 الاديان الثلاثة لا على الدين الاسلامي وحده فصاروا مارقين من الدين  
 المسيحي بتكذيبهم ما صدقه رسولهم او معبودهم ولكنهم يقولون ذلك تأييداً  
 لدينهم وتزييفاً للاسلام فيكون كلامهم من العبث الذي لا يصدر عن العقلاء .  
 وما ينكرونه على القرآن من اخباره عن آيات سيدنا موسى من ارسال  
 الجراد والدم والقمل والضفادع وغيرها منصوص في التوراة فيكون هذا  
 الانكار انكاراً لما جاء فيها فتكون التوراة كاذبة عندهم ورسولهم او معبودهم  
 شهد بصدقها فيكون انكارهم تكديباً لسيدنا عيسى واي دين يعتمدون عليه

بعد مروقهم من الاديان الثلاثة المتنافس فيها في الارض اللهم الا ان يكونوا طبيعيين يعللون الحوادث بعلم كونية ولا ينسبون شيئاً منها لله تعالى فيكون كلامهم في دين الاسلام توسلاً للطعن في البقية ولكنهم يستترون بين قومهم بالطعن في دين الغير حفظاً لمركزهم بين الامة التي هم منها والا فهذه نصوص التوراة نوردها في بحثنا هذا للمقابلة بينها وبين ما جاء به القرآن ليقف عليها من لا اطلاع لهم على التوراة ويرونها من يعلم التوراة ويسكت عما فيها . قال في الاصحاح السابع من سفر الخروج

فقال الرب لموسى انظر اني جعلتك الها لفرعون وهارون اخوك يكون نبيك ( لعل المراد اني جعلتك رسولا لفرعون لانه جاء ينكر على فرعون كونه الها ويخبره بان الاله هو الذي خلق السموات والارض واعطى كل شيء خلقه فكيف يكون هو الها وهو عبد مصنوع مثله وساقدم لك فصلاً في نفي الالهية عن الجواهر والاعراض بعد الفراغ من عبارة التوراة ) انت تكلم بكلم ما آمرك وهارون اخوك يكلم فرعون ليطلق بني اسرائيل من ارضه ( هذا معنى قوله تعالى في القرآن حكاية عن موسى « واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي رداً يصدقني » والمراد بفصاحة هارون انه كان يعرف لسان المصريين الكثرة مخالطته لهم واما سيدنا موسى فكان يعرف العبراني وقليلاً من المصري لبعده عنهم ونفورهم منهم من صغره ولا يلزم من تربيته في بيت فرعون اتقانه لسانه فان تربيته كانت على يد امه وهي عبرانية اللسان ) ولكنني اقسي قلب فرعون واكثر آياتي وعجائبي في ارض مصر ولا يسمع لكما فرعون حتى اجعل يدي على مصر ( تكلمنا على

معنى اليد فيا تقدم) فاخرج اجنادي شمعي بني اسرائيل من ارض مصر باحكام عظيمة فيعرف المصريون اني انا الرب حينما امدي علي مصر واخرج بني اسرائيل من بينهم . ففعل موسى وهارون كما امرها الرب . هكذا فعلاً . وكان موسى ابن ثمانين سنة وهارون ابن ثلاث وثمانين سنة حين كلم فرعون . وكلم الرب موسى وهارون قائلاً ( اما كلامه لهارون فبطريق الاخبار عن موسى عن الله ) اذا كلمكما فرعون قائلاً هاتيا عجيبة نقول لهارون خذ عصاك واطرحها امام فرعون فتصير ثعباناً ( هذا مخالف لنص القرآن فان العصا لموسى والملقى لها هو لا هارون ) فدخل موسى وهارون الى فرعون وفعلاً هكذا كما امر الرب . طرح هارون عصاه امام فرعون وامام عبيده فصارت ثعباناً ( نص التوراة وان خالف نص القرآن في الملقي لم يختلف في اتحاد الآية وهي انقلاب العصا ثعباناً والاعتراض واقع على هذا الانقلاب لا على الاختلاف في الملقي ) فدعا فرعون ايضاً الحكماء والسحرة ففعل عرافو مصر ايضاً بسحرهم كذلك . طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصي ثعابين ولكن عصا هارون ابتلعت عصيتهم فاشتد قلب فرعون فلم يسمع لها كما تكلم الرب . ثم قال الرب لموسى قلب فرعون غليظ قد ابي ان يطلق الشعب اذهب الى فرعون في الصباح انه يخرج الى الماء وقف لقاؤه على خافة النهر والعصا التي تحولت حية تأخذها في يدك ونقول له الرب له العبرانيين ارسلني اليك قائلاً اطلق شمعي ليعبدوني في البرية وهو ذا حتى الآن لم تسمع هكذا يقول الرب بهذا تعرف اني انا الرب . ها انا اضرب بالعصا التي في يدي على الماء الذي في النهر فيتحول دماً ويموت السمك

الذي في النهر وينتن النهر فيه اف المصريون ان يشربوا ماء من النهر . ثم قال  
الرب لموسى قل لهارون خذ عصاك ومد يدك على مياه المصريين على انهارهم  
وعلى سواقيهم وعلى آجامهم وعلى كل مجتمعات مياههم لتصير دماً فيكون دم  
في كل ارض مصر في الاخشاب وفي الاحجار ففعل هكذا موسى وهارون كما  
امر الرب . رفع العصا وضرب الماء الذي في النهر امام عيني فرعون وامام  
عيون عبيده فتحول كل الماء الذي في النهر دماً ومات السمك الذي في النهر  
واتن النهر فلم يقدر المصريون ان يشربوا ماء من النهر وكان الدم في كل  
ارض مصر . وفعل عرافوا مصر كذلك بسحرهم . ( لم يخبر القرآن ان السحرة  
اتوا بقلب الماء دماً بل اخبر ان الله ارسل عليهم الدم وما يرسله الله يستحيل  
ان يأتي به العبد ولكن نص التوراة هكذا ) . فاشتد قلب فرعون فلم يسمع  
لها كما تكلم الرب . ثم انصرف فرعون ودخل بيته ولم يوجه قلبه الى هذا ايضاً  
وحضر جميع المصريين حوالي النهر لاجل ماء يشربوا لانهم لم يقدروا ان  
يشربوا من ماء النهر

وقال في الاصحاح الثامن بعده ما نصه - ولما كملت سبعة ايام بعدما  
ضرب الرب النهر . قال الرب لموسى ادخل الى فرعون وقل له هكذا يقول  
الرب اطلق شعبي ليعبدوني وان كنت تأبى ان تطلقهم فما انا اضرب  
جميع تخومك بالضفادع فيفيض النهر ضفادع فتصعد وتدخل الى بيتك  
والى مخدع فراشك وعلى سريرك والى بيوت عبيدك وعلى شعبك والى  
تنانيرك والى معاجنك . عليك وعلى شعبك وعبيدك تصعد الضفادع .  
فقال الرب لموسى قل لهارون مد يدك بعصاك على الانهار والسواقي والاجام

واصعد الضفادع على ارض مصر وفعل كذلك العرافون بسحرم واصعدوا  
 الضفادع على ارض مصر (لم ينص القرآن على ان السحرة فعلوا. كفعل الله  
 تعالى او كفعل موسى كمنص عبارة التوراة اذ لو فعلوا لبطلت حجة موسى  
 في دعواه فان السحر ساوى المعجزة فاية حجة له بعد ذلك وانما المذكور في  
 القرآن انهم صنعوا حبالاً صوروها بصور الحيات وجعلوها تتحرك بالمواد  
 المطلوبة بها فتلقتها عصا موسى ثم لم يكن منهم معارضة بعد ذلك في آية من  
 الآيات) فدعا فرعون موسى وهارون وقال صلوا الى الرب ليرفع الضفادع  
 عني وعن شعبي فاطلق الشعب ليزبحوا للرب. فقال موسى لفرعون عين  
 لي متى اصلي لاجلك ولاجل عبيدك وشعبك لقطع الضفادع عنك وعن  
 بيوتك ولكنها تبقى في النهر فقال غداً فقال كقولك لكي تعرف ان ليس  
 مثل الرب هنا (هذا النص يعين ان ارسال الضفادع عليهم فعل الرب  
 وان فرعون كان متأماً منها ولذا طلب رفعها وقطعها عنه وعن الناس  
 فكيف يقال ان السحرة فعلت ذلك ايضاً ولعلمهم صوروا اشياء كالضفادع  
 لا حقائق لها) فترفع الضفادع عنك وعن بيوتك وعبيدك وشعبك ولكنها  
 تبقى في النهر. ثم خرج موسى وهارون من لدن فرعون وصرخ موسى الى  
 من اجل الضفادع التي جعلها على الرب فرعون ففعل الرب كقول موسى فماتت  
 الضفادع من البيوت والدور والحقول وجمعوها كوماً كثيرة حتى انتنت  
 الارض. فلما رأى فرعون انه قد حصل الفرج اغلظ قلبه ولم يسمع لها كما  
 تكلم الرب. ثم قال الرب لموسى قل لهارون مد عصاك واضرب تراب  
 الارض ليصير بعوضاً في جميع ارض مصر ففعلوا كذلك. مد هارون يده

بعضاه وضرب تراب الارض فصار البعوض على الناس وعلى البهائم . كل  
تراب الارض صار بعوضا في جميع ارض مصر وفعل كذلك العرّافون  
بسحرم ليخرجوا البعوض فلم يستطيعوا . وكان البعوض على الناس وعلى  
البهائم . فقال العرّافون لفرعون هذا اصبع الله ( مرادهم فعل الله واستعاروا  
الاصبع لان الانسان يحرك الشيء الضعيف باصبعه ) ولكن اشتد قلب فرعون  
فلم يسمع لهما كما قال الرب . ثم قال الرب لموسى بكر في الصباح وقف امام  
فرعون انه يخرج الى الماء وقل له هكذا يقول الرب اطلق شعبي ليعبدوني فانه  
ان كنت لا تطلق شعبي ها انا ارسل عليك وعلى عبيدك وعلى شعبك  
وعلى بيوتك الذبان فتمتلي ، بيوت المصريين ذبانا وايضا الارض التي هم  
عليها . ولكن اميز في ذلك اليوم ارض جاسان حيث شعبي مقيم حتى لا  
يكون هناك ذبان لكي تعلم اني انا الرب في الارض ( لعل المراد اني انا الرب  
الفعال في الارض كما اني فعال في السماء لانك انت رب الارض وانا رب  
السماء ) واجعل فرقا بين شعبي وشعبك . غدا تكون هذه الآية ففعل الرب  
هكذا فدخلت ذبان كثيرة الى بيت فرعون وبيوت عبيده وفي كل  
ارض مصر خربت الارض من الذبان . فدعا فرعون موسى وهارون وقال  
اذهبوا اذبحوا لالهكم في هذه الارض . فقال موسى لا يصلح ان نفعل هكذا  
لاننا انما نذبح رجس المصريين امام عيونهم افلا يرحمونا . نذهب سفر ثلاثة  
ايام في البرية ونذبح للرب الهنا كما يقول لنا . فقال فرعون انا اطعمكم لتذبحوا  
للرب الهكم في البرية ولكن لا تذهبوا بعيدا . صايا الاجلى . ها انا اخرج من  
لذلك واصلي الى الرب فترفع الذبان عن فرعون وعبيده وشعبه غدا . ولكن

لا يعد فرعون يقاتل حتى لا يطلق الشعب ليذبح للرب . فخرج موسى من  
 لدن فرعون وصلى الى الرب ففعل الرب كقول موسى فانزع الذبان عن  
 فرعون وعبيده وشعبه . لم تبق واحدة ولكن اغاظ فرعون قلبه هذه المرة  
 ايضاً فلم يطلق الشعب (ومقابل هذا الاصحاح وما بعده مما ذكر فيه معاهدة  
 فرعون ونكثه قول الله تعالى في القرآن العزيز « وما وقع عليهم الرجز قالوا  
 يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك  
 ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم  
 ينكثون » ولكن لم يذكر القرآن معجزة الذبان وانما ذكر لسيدنا موسى ست عشرة  
 معجزة وهي قلب العصا حية . وتلقفها ما صنعها السحرة . وخروج يده بيضاء  
 والظوفان . والجراد . والقمل . والصفادع . والدم . وفاق البحر . ونبع الماء  
 من الحجر . واظلال الجبل . واخذ آل فرعون بالسنين . ونقص الثمرات . وحل  
 عقدة لسانه . والطمس على اموال قوم فرعون . وانزال المني والسلوى . ولم  
 يذكر الذبان فالتوراة منفردة بزيادته »

### الاصحاح التاسع

ثم قال الرب لموسى ادخل الى فرعون وقل له هكذا يقول الرب  
 اله العبرانيين اطلق شعبي ليعبدوني فانه ان كنت تأبى ان تطلقهم وكنت  
 تمسكهم بعد فما يد الرب تكون على مواشيك التي في الحقل على الخيل  
 والحمير والجمال والبقر والغنم واثقيلاً جداً . ويميز الرب بين مواشي  
 اسرائيل ومواشي المصريين فلا يموت من كل ما لبني اسرائيل شي .  
 ويعين الرب وقتنا قائلاً غدا يفعل الرب هذا الامر في الارض . ففعل



الرب هذا الامر في الغد فانت جميع مواشي المصريين واما مواشي بني اسرائيل فلم يمت منها واحد . وارسل فرعون واذا مواشي اسرائيل لم يمت منها ولا واحد ولكن غلظ قلب فرعون فلم يطلق الشعب . ثم قال الرب لموسى وهارون خذوا ملء ايديكما من رماد الاتون وليذره موسى نحو السماء امام عين فرعون ليصير غبارا على كل ارض مصر فيصير على الناس وعلى البهائم دمامل طالعة ببثور في كل ارض مصر فاخذوا رماد الاتون ووقفوا امام فرعون وذراه موسى نحو السماء فصارت دمامل بثورا طالعة في الناس وفي البهائم . ولم يستطع العرافون ان يقفوا امام موسى من اجل الدمامل لان الدمامل كانت في العرافين وفي كل المصريين . ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يسمع لها كما كلم الرب موسى (لم يذكر القرآن موت المشاشية ولا الدمامل ولعل الأولى مندرجة تحت قوله تعالى «واقصد اخذنا آل فرعون بالسنين» والا فان التوراة تعد معجزات لم يتعرض لها القرآن كما يعلم من مقابلة ماسردناه من معجزات القرآن على معجزات التوراة) ثم قال الرب لموسى بكر في الصباح وقف امام فرعون وقل له هكذا يقول الرب اله العبرانيين اطلق شعبي ليعبدوني لاني هذه المرة ارسل جميع ضرباتي الى قلبك وعلى عبيدك وشعبك لكي تعرف ان ليس مثلي في كل الارض (لعل المراد انه ليس لله تعالى جنس فيكون له مثل وقوله في الارض اي في كل ارض ادعى فيها احد عبيدي الالهية او دعاه الغير بها وخص الارض بالذكر لانها اقرب لنظر فرعون وتعقله من غيرها . والا فان الله تعالى لا مثل له ولا يتميز في ارض او سماء) فانه الآن لو كنت امس يدي واضربك وشعبك

بالوباء لكنك تباد من الارض (اي لوشئت ابادتك فان الجارحة محالة على  
الله تعالى) ولكن لاجل هذا اتمنتك لكي اريك قوتي ولكي يخبر باسمي في  
كل الارض . انت معاند بعد لشعبي حتى لا تطلقه . ها انا غدا مثل الآن  
امطر برداً عظيماً جداً لم يكن مثله في مصر منذ يوم تأسيسها الى الآن . فلآن  
ارسل احم مواشيك وكل مالك في الحقل . جميع الناس والبهائم الذين يوجدون  
في الحقل ولا يجمعون الى البيوت ينزل عليهم البرد فيموتون . فالذي خاف  
كلمة الرب من عبيد فرعون هرب بعبيده ومواشيه الى البيوت واما الذي لم  
يوجه قلبه الى كلمة الرب فترك عبيده ومواشيه في الحقل . ثم قال الرب  
لموسى مد يدك نحو السماء ليكون برداً في كل ارض مصر على الناس وعلى  
البهائم وعلى كل عشب الحقل في ارض مصر فمد موسى عصاه نحو السماء فاعطى  
الرب رعوداً وبرداً وجرت نار على الارض وامطر الرب برداً على ارض مصر  
فكان برد ونار متواصلة في وسط البرد . شيء عظيم جداً لم يكن مثله في كل  
ارض مصر منذ صارت امة فضرب البرد في كل ارض مصر جميع ما في الحقل  
من الناس والبهائم وضرب البرد جميع عشب الحقل وكسر جميع شجر الحقل الا  
ارض جاسان حيث كان بنو اسرائيل فلم يكن فيها برد . فأرسل فرعون ودعا  
موسى وهارون وقال لهما اخطات هذه المرة . الرب هو البار وانا وشعبي  
الاشزار صلياً الى الرب وكفى حدوث رعود الله والبرد فاطللكم ولا تعودوا  
تلبثون . فقال له موسى عند خروجي من المدينة ابسط يدي الى الرب  
فتنقطع الرعود ولا يكون البرد ايضا لكي تعرف ان للرب الارض واما انت  
وعبيدك فانا اعلم انكم لم تغشوا بعد من الرب الاله . فالكثان والشعير ضربا

لان الشمير كان مسبلا والكتان مبزرا . واما الحنطة والقطاني فلم تضرب لانها كانت متأخرة (القطاني هي الحبوب التي تطبخ مثل العدس والحمص والفول) فخرج موسى من المدينة من لدن فرعون وبسط يديه الى الرب فانقطعت الرعود والبرد ولم ينصب المطر على الارض . ولكن فرعون لما رأى ان المطر والبرد والرعود انقطعت عاد يخطي . واغلظ قلبه هو وعبيده فاشتد قلب فرعون فلم يطلق بني اسرائيل كما تكلم الرب عن يد موسى  
( الاصحاح العاشر )

ثم قال الرب لموسى ادخل الى فرعون فاني اغلظت قلبه وقلوب عبيده لكي اصنع آياتي هذه بينهم ولكي تحبوني مسماع ابنك وابن ابنتك بما فعلت في مصر وبآياتي التي صنعتها بينهم فتعلمون اني انا الرب ( ان كان لموسى ابن ابن فهو صريح التوراة والا فيكون المراد ابن ابن الجيل الحاضر معه على التأويل ) فدخل موسى وهارون الى فرعون وقالوا له هكذا يقول الرب اله العبرانيين الى متى تأبى ان تخضع لي اطلق شعبي ليعبدوني فانه ان كنت تأبى ان تطلق شعبي ها انا اجي غدا بجراد على تخومك ( اي ابعث جرادا ) فيغطي وجه الارض حتى لا يستطيع نظر الارض وياكل الفضلة السائلة الباقية لكم من البرد وياكل جميع الشجر الثابت لكم من الحقل ويملا بيوتك وبيوت جميع عبيدك وبيوت جميع المصريين . الامر الذي لم يره ابوك ولا آباء آبائك منذ يوم وجدوا على الارض الى هذا اليوم . ثم تجول وخرج من لدن فرعون . فقال عبيد فرعون الى متى يكون هذا لنا فلما . اطلق الرجال ليعبدوا الرب المهم لم تعلم بعد ان مصر قد خربت فرد موسى وهارون الى فرعون فقال لهما اذهبوا

اعبدوا الرب الهكم ولكن من ومن هم الذين يذهبون فقال موسى نذهب  
بفتياننا وشيوخنا نذهب بيننا وبناتنا بغنمنا وبقرنا لان لنا عيدا للرب ( لهذا  
التاريخ لم تكن فرضت ولا سنت اعياد بني اسرائيل فلعل ذلك كان عيدا من  
عهد يعقوب ) فقال لها يكون الرب معكم هكذا كما اطلقكم واولادكم انظروا  
ان قدام وجوهكم شرا . ليس هكذا . اذهبوا انتم الرجال واعبدوا الرب لانكم  
لهذا طالبون فظردوا من لدن فرعون . ثم قال الرب لموسى مد يدك على ارض  
مصر لاجل الجراد ابعده على ارض مصر ويا كل كل عشب الارض كل  
ما ترکه البرد فمد موسى عصاه على ارض مصر فجلب الرب على الارض ريحا  
شرقية كل ذلك النهار وكل الليل ولما كان الصباح حملت الريح الشرقية  
الجراد فصعد الجراد على كل ارض مصر وحل في جميع تخوم مصر . شي  
ثقيل جدا لم يكن قبله جراد هكذا مثله ولا يكون بعده كذلك وغطى وجه  
كل الارض حتى اظلمت الارض واكل جميع عشب الارض وجميع ثمر  
الشجر الذي ترکه البرد حتى لم يبق شي في اخضر في الشجر ولا في عشب الحقل  
في كل ارض مصر . فدعا فرعون موسى وهارون مسرعا وقال اخطات الى  
الرب الهكما واليكما والآن اصفح اعن خطيئتي هذه المرة فقط وصليا الى الرب  
الهكما ليرفع عني هذا الموت فقط فخرج موسى من لدن فرعون وصلي الى الرب  
فرد الرب ريحا غربية شديدة جدا فحملت الجراد وطرحته الى بحر سوف لم  
تبق جرادة واحدة في كل تخوم مصر ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يطلق  
بني اسرائيل . ثم قال الرب لموسى مد يدك نحو السماء ليكون ظلام على ارض  
مصر حتى يلمس الظلام (الظلام عرض فكيف يلمس فلعل المراد انه لشدة

ظلمته يكاد ان يكون جرما يمس او يخيل للناظر انه جرم يمس ) فحمد موسى  
 يده نحو السماء فكان ظلام دامس في كل ارض مصر ثلاثة ايام لم يبصر احد  
 اخاه ولا قام احد من مكانه ثلاثة ايام ولكن جميع بني اسرائيل كان لهم  
 نور في مساكنهم . فدعا فرعون موسى وقال اذهبوا اعبدوا الرب غير ان  
 غنمكم وبقركم تبقئ . اولادكم ايضا تذهب معكم . فقال موسى انت تعطي ايضا  
 في ايدينا ذبائح ومحرقات لنصنعها للرب الهنا فتذهب مواشينا ايضا معنا لايتقي  
 ظلف لاننا منها نأخذ لعبادة الرب الهنا ونحن لانعرف بماذا نعبد الرب حتى  
 نأتي الى هناك ( لعل المراد بماذا نعبد الرب على الشريعة الجديدة التي  
 سيشعرها موسى والا فانهم طلبوا ماشيتهم لتقديم ذبائح العبادة منها فتكون لهم  
 شريعة والا فان الكلام يتناقض ) ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يشأ ان  
 يطلقهم وقال له فرعون اذهب عني احترز لآتر وجهي ايضا انك يوم ترى  
 وجهي تموت فقال موسى نعماً قلت انا لا اعود ارى وجهك ايضا

( الاصحاح الحادي عشر )

ثم قال الرب لموسى ضربة واحدة ايضا اجلب على فرعون وعلى مصر بعد ذلك  
 يطلقكم من هنا وعند ما يطلقكم يطردكم طردا من هنا بالتمام . تكلم في مسامع  
 الشعب ان يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبها امتعة  
 فضة وامتعة ذهب واعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين . وايضا  
 الرجل موسى كان عظيما جدا في ارض مصر في عبيد فرعون وعيون الشعب  
 وقال موسى هكذا يقول الرب اني نحو نصف الليل اخرج في وسط مصر  
 فيموت كل بكر في ارض مصر من بكر فرعون الجالس على بكره الى بكر

الجارية التي خلف الرحي وكل بكر بهيمة (شبه محبي امر الله تعالى ونزول  
قضائه على ابيكار المصريين بمجيء الملك لتنفيذ امره في عبيده فقال اخرج في  
وسط مصر او لعل المراد التجلي على مصر بمظهر اسم المنتقم فيموت كل بكر والا  
فان الله تعالى منزه عن الهجيء والذهب لان الحركة من لوازم الاجسام والله  
تعالى ليس بجسم ولا جسماني ولا يتميز في مكان ولا يحل في ذات فان التميز  
والحلول من شؤون الحوادث والله تعالى قديم وبعض فرق اليهود يعتقدون ان  
هذا الهجيء كان حقيقيا ولا يؤوِّلون شيئا مما جاء في التوراة من هذ القبيل مثل  
ما جاء في الاصحاح الثامن عشر من سفر التكوين اخبارا عن سيدنا ابراهيم  
وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في الخيمة وقت حر النهار فقوله  
ظهر له عند بلوطات ممرا يعين بظاهره انه رأى ذاتا منحصرة في مكان وقع عليها  
بصره وهذا مستحيل على الله تعالى لان البصر لا يقع الاعلى جسم محدود والله  
تعالى ليس بجسم ولا يحد فلا بد من تأويل ذلك بظهور الملائكة لا الرب  
بدليل قوله بعد ذلك فرفع عينيه ونظروا اذا ثلاثة رجال واقفون لديه فلما  
نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة فهذا يعين انه انما رأى الملائكة لا الله الذي  
يستحيل عليه الحلول في الامكنة وفي الانسان جل شأنه ومثل قوله في الاصحاح  
التاسع عشر فاستيقظ يعقوب من نومه وقال حقان الرب في هذا المكان وانا  
لم اعلم فهذا ينبغي ان يؤوَّل ببيت الرب او حرم الرب اي المنسوب اليه المختار  
عنده لعبادته والا فسيدنا يعقوب رسول يعلم علم اليقين ان الله تعالى ليس من  
الجواهر التي تتميز وتحل في الامكنة فلا يجوز ان يقول الرب في هذا المكان  
وانا لم اعلم - ومثل قوله في الاصحاح الثاني والثلاثين «فبقي يعقوب وحده

وصارعه انسان حتى طلوع الفجر ولما رأى انه لا يقدر عليه ضرب حُق فخذَه  
فانخلع حُق فخذ يعقوب في مصارعة معه وقال اطلقني لانه قد طلع الفجر فقال  
لا اطلقك ان لم تباركني فقال له ما اسمك فقال يعقوب فقال لا يدعى اسمك  
فيما بعد يعقوب بل اسرائيل لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت وسأل  
يعقوب وقال اخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركك هناك « فهذا  
كله ينبغي ان يحمل على ملك صارع يعقوب لاعلى ان الله تعالى صارع  
يعقوب كما سمعته من احد يهود بيت المقدس فان في ذلك من الالهانة والعجز  
والسخرية ما لا يخفى فان الذي صارع يعقوب انسان والله يستحيل عليه ان يحمل في  
انسان لانه لو حل في ذات انسان لجاز ان يحمل في كل الذوات ضرورة ان  
الاجسام متساوية في الماهية ولو حل في ذات علي الخصوص لاحتاج الى  
مخصص غيره يخصصه بها لانه قد انحصر في ذات شأنها العجز والضعف واذا  
احتاج الى مخصص كان عبدا مخلوقا لا الها فاعلا وبهذا نعلم انه يجب التأويل  
بالملك فرارا من هذا الفساد . ومثل هذا كثير في التوراة وبعض كلام الانبياء  
فيجب التنبيه لما فيه تنزيه الحق سبحانه وتعالى عن مماثله خلقه من اي طريق  
كان وبأي صورة كانت ) ويكون صراخ عظيم في كل ارض مصر لم يكن مثله  
ولا يكون مثله ايضا ولكن جميع بني اسرائيل لا يستن كلب لسانه اليهم الا الى  
الناس ولا الى البهائم لكي تعلموا ان الرب يميز بين المصريين واسرائيل . فيتنزل  
الي جميع عبيدك هؤلاء ويسجدون لي قائلين اخرج انت وجميع الشعب الذين  
في اترك وبعد ذلك اخرج ثم خرج من لدن فرعون في حمو الغضب . وقال  
الرب لموسى لا يسمع لكما فرعون لكي تكثر عجائبي في ارض مصر وكان موسى

وهارون يفعلان كل هذه العجائب امام فرعون ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يطلق بني اسرائيل من ارضه «  
 فما نقرر في التوراة المتداولة الآن يعلم ان القرآن لم يأت بشيء غريب ولا امر مفترى كما يزعم المتعصبون لدينهم بغير حق وكما يظن المارقون من الدين بجهلهم حقائق الكسب السماوية ورجوعهم الى المحسوسات وانكار كل ما لا يقبله عقولهم من آيات الله تعالى وكان الاولى لمثل هؤلاء ان ينكروا وجودهم فانهم لا يعلمون من اصل نشأتهم الا وسائط ارتبط بعضها ببعض في ظاهر الامر بعد حدوثها وهي في حد ذاتها مستغربة يحار العقل في كيفية حدوثها واذا جهلوا حقيقة امرهم وهم ينظرون انفسهم فأولى ان يجهدوا حقيقة العجائب الالهية والمعجزات النبوية فان العقول في حجاب المحسوسات والتصوّرات وما لهم اذا رأوا امرا خارقا للعادة قالوا انه من فئات الطبيعة ولم يقولوا انه من آيات الله تعالى . وبالجملة فان القرآن العزيز قص هذه القصة بما لم يخالف فيه التوراة الا فيما يختص بتنزيه الحق سبحانه وتعالى وعصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وستتبع القصة القرآنية مردفة بالقصة التوراتية للمقابلة والجمام الخضاء وان كنا معاشر المسلمين لا نحتاج في تصديق قرآننا لشاهد خارجي لاعتمادنا الجازم انه كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اوحاه الى نبيه سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما اوحى التوراة الى سيدنا موسى والانجيل الى سيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام ولكن اذا تطابقت الادلة بطلت دعوى اهل الجدل والاهواء . والظمن في القرآن بعد هذا التوافق ظعن في نفس التوراة واذا وصل الظمن الى التوراة بطلت الكتب الثلاثة لان



الانجيل جاء مؤيداً لحكم التوراة لانقضاً لها واذا بطلت الكتب الثلاثة  
سألنا المتعصبين على القرآن لاي دين يتعصبون وقد كفروا بما انزل الله  
تعالى . واننا نسمع كثيراً من اهل هذا العصر يزعمون انهم على فكر حراي  
لا يدينون بدين ولكننا لا نرى واحداً منهم يتظاهر بنقض اصول دينه الا في  
مجلس امثاله تحت استار الحفاء فاذا خرج الى المجمع العامة كان كأفراد  
طائفته قولاً وعملاً . وهؤلاء لم نزغات يوسوسون بها الى ضعفاء العقول  
الذين لم يتعلموا العلوم الدينية في الصغر فتراهم يستميلون الجهلاء بترهات  
واباطيل منها انكارهم فلق البحر لسيدنا موسى وانقلاب العصا حية والمعجزات  
التي ذكرها القرآن والتوراة ويحتجون بان العقل لا يقبل ذلك او ان ذلك  
كن لحادث كذا الجوي او علة كذا الطبيعية وهي امور تسلطوا بها على كثير  
من المسلمين والنصارى واليهود والمسلم منهم بصحة التوراة لا يمكنه الطعن في  
القرآن لانه جاء مسدقاً لما بين يديه مقررراً الكثير من احكامها التي لا تخالف  
النص الموجود بها . وكذلك القائلون بصحة الانجيل لا يمكنهم الطعن في  
القرآن لانه اخبر عن سيدنا عيسى وكيفية تخليقه والمعجزات التي ظهرت على  
يديه . فتوافق القرآن مع الكتب السماوية فيما اشتملت عليه وما دعت اليه  
وهو البرهان على صحته ومخالفته لبعض احكام تلك الكتب لا يظعن في صحته  
فانه يوجد في التوراة احكام لا توجد في الانجيل ويوجد في الانجيل ما لا يوجد  
في التوراة فاذا علنا الطعن بالاختلاف اطرق اليها ايضاً فتعود المسئلة الاولى  
وهي ابطال الكتب الثلاثة . ولنرجع الى قصة سيدنا موسى بعد غرق فرعون  
وقومه . قل في الاصحاح الخامس عشر من سفر الخروج مانصه . ثم ارتحل

فموسى باسرايل من بحر سوف وخرجوا الى برية شوره فصاروا ثلاثه ايام في البرية ولم يجدوا ماء فجاءوا الى مارة ولم يقدروا ان يشربوا ماء من مارة لانه مر لذلك سمي اسمها مارة فتذمر الشعب على موسى قائلين ما ذا نشرب فصرخ الى الرب فأراه الرب شجرة فطرحها في الماء فصار الماء عذبا هناك وضع له فريضة وحكما وهناك امتحنه فقال ان كنت تسمع لصوت الرب الملك وتصنع الحق في عينيه وتصنعى الى وصاياه وتحفظ جميع فرائضه فمعرضا ما مما وضعته على المصريين لا اضع عليك فاني انا الرب شافيك . ثم جاؤا الى ايليم وهناك اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة فنزلوا هناك عند الماء (الذي في القرآن ان القوم عند ما طلبوا الماء استقى موسى فأوحى الله تعالى اليه ان « اضرب بعصاك الحجر (فصر به) فانجرت منه اثنتى عشرة عينا » فكان ذلك من المعجزات التي اظهرها الله تعالى على يد سيدنا موسى وهو الاليق بالمقام والتوراة تبص على ان الماء كان موجودا وهم وردوه) (الاصحاح السادس عشر) (الاصحاح السادس عشر) .

ثم ارتحلوا من ايليم وأتي كل جماعة بني اسرائيل الي برية سين التي بين ايليم وسيناء في اليوم الخامس عشر من الشهر الثاني بعد خروجهم من ارض مصر . فتذمر كل جماعة بني اسرائيل على موسى وهارون في البرية وقال لهما بنو اسرائيل ليتنا نمنا بيد الرب في ارض مصر اذ كنا جالسين عند قدور اللحم ناكل خبزا للشبع فانكم اخرجتمنا لهذا القفر لكي تميثا كل هذا الجمهور بالجوع . فقال الرب لموسى ها انا امطر لكم خبزا من السماء فيخرج الشعب ويلتقطون حاجة اليوم بيومها لكي امتحنهم ايسلكون في ناموسي ام لا . ويكون

في اليوم السادس انهم يهيئون ما يجيئون به فيكون ضعف ما يلذقونه يوماً  
 فيوماً . فقال موسى وهارون لجميع بني اسرائيل في المساء تعلمون ان الرب  
 اخرجكم من ارض مصر وفي الصباح ترون مجد الرب لاستماعه تدمركم على  
 الرب واما نحن فماذا حتى ندمروا علينا . وقال موسى . ذلك بان الرب يعطيكم  
 في المساء لحماً لتاكلوا وفي الصباح خبزاً تشبعوا الاستماع الرب تدمركم الذي  
 تدمرون عليه واما نحن فماذا . ايس علينا تدمركم بل على الرب (المقصود من  
 قول موسى وهارون تبكيت بني اسرائيل بان الحاصل منهم كأنه اعتراض  
 على الله تعالى في فعله لان ذلك على سبيل التبري منها والا كان ذلك اشد  
 من تدمر بني اسرائيل وهذا لا يصدر من الرسل عليهم الصلاة والسلام فإزم  
 التأويل بما ذكرنا) وقال موسى لهارون قل لكل جماعة بني اسرائيل اقربوا  
 الى امام الرب لانه قد سمع تدمركم فحدث اذ كان هارون يكلم كل جماعة  
 بني اسرائيل انهم التفتوا نحو البرية واذا مجد الرب قد ظهر في السحاب (اي  
 ملكه لان الله تعالى لا يتخيز) فكلم الرب موسى قائلاً سمعت تدمر بني اسرائيل  
 كلهم قائلاً في العشية تاكلون لحماً وفي الصباح تشبعون خبزاً وتعلمون اني  
 انا الرب الهكم فكان في المساء ان السلاوى صعدت وغطت المحلة وفي الصباح  
 كان سقيط الندى حوالي المحلة ولما ارتفع سقيط الندى اذا على وجه البرية  
 شيء دقيق مثل قشور دقيق كالجليد على الارض فلما رأى بنو اسرائيل قال  
 بعضهم لبعض من هو لانهم لم يعرفوا ما هو فقال لهم موسى هو الخبز الذي  
 اعطاكم الرب لنا كلوا هذا هو الشيء الذي امر به الرب النقطوا منه كل  
 واحد على حسب اكله عمراً للرأس على عدد نفوسكم تأخذون كل واحد

للذين في خيمته ففعل بنو اسرائيل هكذا والنقطةوا بين مكثرو وقال واكانوا  
 بالعمرم يفضل المكثرو والمقال لم ينقص كانوا قد النقطةوا كل واحد على حسب  
 اكله وقال لهم موسى لايبق احد منه الى الصباح لكنهم لم يسمعوا لموسى بل  
 ابقى منه اناس الى الصباح فتولد فيه دود واثن فسخط عليهم موسى وكانوا  
 يلبقظونه صباحاً فصباحاً كل واحد على حسب اكله واذا سميت الشمس  
 كان يذوب (وافقت التوراة القران في الاخبار عن نزول المن والساوى  
 على بني اسرائيل وفي النهي عن ادخار شي منها قل تعالى «يا بني اسرائيل  
 قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والساوى  
 كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تظفروا فيه فيعمل عليكم غضبي ومن يحال  
 عليه غضبي فقد هوى) ثم كان في اليوم السادس انهم النقطةوا خبزاً مضاعفاً  
 عمريين للواحد فجاء كل رؤساء الجماعة واخبروا موسى فقال لهم هذا ما قل  
 الرب . غداً عطلة سبت مقدس للرب اخبزوا ما تخبزون واظبخوا ما تظبخون  
 وكل ما فضل ضعه عندكم ليحفظ الى الغد فوضعه الى الغد كما امر موسى  
 فلم يمتن ولا صار فيه دود فقال موسى كلوه اليوم لان للرب اليوم سبتاً اليوم  
 لا تجدونه في الحقل . ستة ايام تلبقظونه واما اليوم السابع ففيه سبت لا يوجد  
 فيه وحدث في اليوم السابع ان بعض الشعب خرجوا الى النقطةوا فلم يجدوا فقل  
 الرب لموسى الى متي تاؤون ان تحفظوا وصاياي وشرائعي انظروا ان الرب  
 اعطاكم السبت لذلك هو يعطيكم في اليوم السادس خبز يومين اجلسوا كل  
 واحد في مكانه لا يخرج احد من مكانه في اليوم السابع فاستراح الشعب في  
 اليوم السابع ودعا بيت اسرائيل اسمه منا وهو كبزر الكزبرة ابيض وطممه

كرفائيل بعسل وقال موسى هذا هو الشيء الذي امر به الرب ملء العمر منه  
 يكون للحفظ في اجيالكم لكي يروا الحيز الذي اظعمتكم في البرية حين اخرجتكم  
 من ارض مصر وقال موسى لهارون خذ قسطاً واحداً واجعل فيه ملء  
 العمر من ماء وضعه امام الرب للحفظ في اجيالكم . كما امر الرب موسى وضمه  
 هارون لهام الشهادة للحفظ واكل بنو اسرائيل المن اربعين سنة حتى جاوروا  
 الى ارض عامرة اكلوا المن حتى جاوروا الى طرف ارض كنعان واما العمر فهو  
 عشر الاينة ( هذا نص التوراة في سبب التيه واما السبب الذي ذكره القرآن  
 فهو عصيانهم امر موسى في حرب اريحا لدخولهم الارض المقدسة ونصه « يا قوم  
 ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا تتردوا على اعقابكم فتنقلبوا  
 خاسرين قالوا يا موسى ان فيها قوماً جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها  
 فان يخرجوا منها فن داخلون » اراد بالارض المقدسة فلسطين ودمشق او اريحا  
 وكان وقوفهم امام اريحا على الشاطي الجنوبي من نهر الاردن (الشريعة)  
 الفاصل بينها وبين ارض الكرنك والبلقاء ومعنى كتب الله لكم امركم بدخولها و  
 التي وعد اباكم ابراهيم ان يسكن ذريته فيها وقد اختار سيدنا موسى اثني عشر  
 رجلاً كل رجل من سبط وبعثهم ليخبروا حال اريحا ويكشفوا امرها وبعد  
 عودتهم امر بني اسرائيل بالقيام اليها لمحاربتهم فقالوا ان فيها قوماً جبارين شداداً  
 اقوياء لا نقوى على حربهم ولا نقدر عليهم وبلدهم حصين جداً فانه مبني على  
 جبل مرتفع يتمذر ارتفاعه فان يخرجوا منها فانا داخلون قالوا ذلك على سبيل  
 الاستبعاد اي انهم لا يخرجون منها ابداً فنحن غير داخلها وما يقال هنا في  
 الجبارين من انهم طول جداً وان الرجل منهم يابخذ العشرة من بني اسرائيل

بيده وان رجلاً اخذ النقباء الذين بعثهم سيدنا موسى لاكتشاف البلد فوضعهم في حزمة حطبه وجاء بهم امرأته الى آخر تلك القصص فمن خرافات القصص وحشوم الاكاذيب في عبارتهم فلما اظهروا الخوف والجبن « قال رجالان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون » وهذان هما اللذان كتبنا امر الجبارين عن بني اسرائيل ولم يخبراهم بقوة حصونهم كما اخبر بقية النقباء وهما يوشع وكالب وهما من الذين يخافون الله تعالى وقد انعم عليهم بالهداية فاشارة على بني اسرائيل بفتحام عقبات المشقة والهجوم على باب المدينة والثقوي عليه بكثرتهم ليفتحوه ويدخلوا فانهم ان دخلوه فقد غلبوا الجبارين واستولوا على مملكتهم وتوصلوا من نحو اريحاء الى القدس الذي هو اشرف الارض المقدسة فما كان منهم الا ان « قالوا يا موسى انا ان ندخلها ابداً ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون » وهذا منتهى الجبن وكفران النعم فانهم يعلمون انهم كانوا مستعبدين للمصريين وكان فرعون يستعملهم في شاق الاعمال والمهن الحقيرة فجاءهم موسى بدعوة حق وألف بين قلوبهم وجمعهم على كلمة واحدة حتى وجدت فيهم عصبية بها تمكنوا من الخروج من مصر ثم ادركهم العدو وبلغ منهم الخوف مبلغاً عظيماً فنجاهم الله تعالى من عدوهم على يد رسولهم ثم فلق لهم البحر وانجاهم منه واغرق عدوهم وقومه وهم ينظرون ثم رأوا من المعجزات بعد ذلك ما يبهرهم وكل ذلك كان بدعاء نبيهم او بطلبهم منه فيظهره الله تعالى اظهاراً لصدقه وتأيداً لدعوته والان يقوون له اذهب انت وربك فقاتلا ان هذا هو الجبن الغريب ولو انصفوا

سيدنا موسى لئفانوا بين يديه خصوصاً وهو يدعوهم لسكنى ارض مقدسة  
كانت مسكناً لآبائهم ويحثهم على فتح مدينة يكون لهم فيها خير كثير .  
ومع مبالغة سيدنا موسى في تعريفهم صفة الحق سبحانه وتعالى فانهم عادوا  
لما يعتقدونه من قبل من جسمية الاله فوصفوه بالذهب والمجي . جهلا  
منهم او عناداً او لعلمهم قالوا ذلك تهكما به اي ان كنت تعتقد ان  
لك الهأ يتصرك على من نقاتلهم فاذهب انت وهو لقتال هؤلاء  
الجبارين فلما رأى سيدنا موسى تصليهم في الارباء وجهينهم عن القتال « قال  
رب اني لا املك الا نفسي واخي » اي ان القوم عصوني وابوا ان يقدموا  
على ما وعدتنا بالوصول اليه فلا املك الا نفسي ولا املك احداً غيري الا  
اخي الذي لشدة طاعته لي كانه مملوك واما بقية القوم فقد عصوني ولا  
وثوق لي ببوشع وكالب مع تظاهرها بالطاعة « فافرق بيننا وبين القوم  
الفاسقين » بحكمك فينا وفيهم وهل مع آباءهم هذا الالباء يدخلون الارض  
المقدسة « قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض » اي انها  
محرمة عليهم تحريم تعبد فلا يجوز لهم الرجوع الى اوطانهم حتى تنتهي هذه المدة  
وهذا عقاب لما حصل منهم من التأخير عن قتال العدو لدخولهم اوطانهم فانهم  
اذا كانوا يرون الارض المقدسة امامهم وما بينهم الا نهر صغير جداً ثم انهم لا  
يدخلونها ويتركون في مفازة لا نبات فيها كان ذلك من اشد انواع العذاب  
وسهل الله تعالى الامر على موسى وهارون فلم يشعرا بما هم فيه كما لم يشعر سيدنا  
ابراهيم بحرارة نار النمرود وهو فيها . ولما رأى سيدنا موسى ان الامر قد نفذ  
وان دعاءه استجيب في قومه حزن عليهم لعله مقدار ما يقاسونه مدة الاربعين

سنة في قطعة ارض صغيرة فسأله الله تعالى بقوله « فلا تأس على القوم الفاسقين » اي لا تخزن عليهم فانهم فسقوا بعصيانهم امرك وهذه الآية تدل على انهم ما كفروا بعد ايمانهم بموسى بل فسقوا بعصيانهم فقولهم اذهب انت وربك ممول على التهمك . واختلف الناس في موت موسى وهارون ان كان في التية او في غيره اما هارون فكاد يقع اتفاقهم على موته في ارض التيه وهو الحق واما موسى فوقع الخلاف فيه فقال قوم مات في الشيه ايضاً وقال آخرون انه عبر نهر الاردن بعد ذلك ومات ودفن بعرر اريحا وقد اشتهر ذلك بين المسلمين وبني علي قبرة قبة عظيمة ومسجد جليل يدنه وبين اريحا نحو ستة اميال ولكن اليهود لا تعترف بهذا بل تقول انه مات قبل ان يعبروا الاردن والسامرة يقولون انه رفع الى السماء وحججه اليهود قول التوراة في آخر الاصحاح الثالث من سفر التثنية حكيمة عن موسى « وتضرعت الى الرب في ذلك الوقت قائلاً يا سيدي الرب انت قد ابتدأت ترى عبدك عظمتك ويدك الشديدة (اي قدرتك) فانه اي اله في السماء وعلى الارض يعمل كاعمالك وكجبروتك دعني اعبر وارى الارض الجيدة التي - في عبر الاردن هذا الجبل الجيد ولبنان لكن الرب غضب علي بسببكم ولم يسمع لي (اي لم يستجب لي) بل قال لي الرب كفك لا تعد تكلمني ايضاً في هذا الامر اصعد الى راس الفسجة وارفع عينيك الى الغرب والشمال والجنوب والشرق وانظر بعينيك لكن لا تعبر هذا الاردن واما يوشع فاوصه وشدهه وشجعه لانه يعبر امام هذا الشعب وهو يقسم لهم الارض التي تراها فمكثنا في الجواء مقابل بيت فغور» فهذا نص على ان سيدنا موسى لا يدخل الارض



المقدسة ولا يمتنع ان يكون منعه من الدخول مدة التيه لابعده فان التوراة تقول ان يوشع يقسم الارض المقدسة لهذا الشعب مع انها في الاصحاح الاول من التثنية نصت على عدم دخولهم فيها اذ قالت « وسمع الرب صوت كلامكم فسخط واقسم قائلاً لن يرى انسان من هؤلاء الناس من هذا الجبل الشريف الارض الجيدة التي اقسمت ان اعطيها لابائكم ماعدا كالب بن يفيه هو يراها وله اعطى الارض التي وطئها ولبنيه لانه قد اتبع الرب تماما » ثم قالت على لسان موسى « وعلى ايضا غضب الرب بسببكم قائلاً وانت ايضا لا تدخل الى هناك » فلعل المراد بالدخول دخول السكنى والاستقرار لا دخول العبور فان بين الاردن وقبر موسى نحو ثمانية اميال وقد وافقت التوراة القرآن فنصت قصة التيه كما نصها بلا خلاف يعتبر اذ قالت « في الاصحاح الاول من سفر التثنية ثم ارتحلنا من حوريب وسلكنا كل ذلك القفر العظيم المخوف الذي رأيتم في طريق جبل الاموريين كما امرنا الرب الهنا وجئنا الى قادش برنيع فقلت لكم قد جئتم الى جبل الاموريين الذي اعطانا الرب الهنا انظر قد جعل الرب الهك الارض امامك اصعد تملك كما كلمك الرب اله آباءك لا تخف ولا ترتعب فنقدمتم الى جميعكم وقتتم دعنا نرسل رجلاً قد اماناً يتجسسوا لنا الارض ويردوا الينا خبراً عن الطريق التي نصعد فيها والمدن التي نأتي اليها فحسبنا الكلام لدي فاخذت منكم اثني عشر رجلاً رجلاً واحداً من كل سبط فانصرفوا وصعدوا الى الجبل واتوا الى وادي اشكول وتجسسوه واخذوا في ايديهم من اثمار الارض ونزلوا به الينا وردوا لنا خبراً وقالوا جيدة هي الارض التي اعطانا الرب الهنا لكنكم لم تشاؤوا ان تصعدوا وعضيتم قول الرب الهكم

وقرمرتم في خيامكم وقتلتم الرب بسبب بغضته لنا قد اخرجنا من ارض مصر  
ليدفعنا الى ايدي الامور بين اكي يهلكنا الى اين نمن صاعدون قد اذاب  
اخوتنا قلوبنا قائلين . شعب اعظم واطول منا . مدن عظيمة محصنة الى السماء  
وايضا قد رأينا بني عناق هناك فقلت لكم لا ترهبوا ولا تخافوا منهم . الرب  
الهكم السائر امامكم هو يحارب عنكم ( اي السائر امامكم ملكه ) حسب كل ما  
فعل معكم في مصر امام اعينكم وفي البرية حيث رايت كيف حملك الرب  
الهك كما يحمل الانسان ابنه في كل الطريق التي سلكتموها حتى جئتم الى  
هذا المكان ( اي انه رحيم به رحمة الاب لابنه فهو كناية عن شدة عنايته بهم  
اذ ذاك ) ولكن في هذا الامر لستم واثقين بالرب الهكم السائر امامكم في الطريق  
ليتمس لكم مكانا لنزولكم في نار ليلا ليريكم الطريق التي تسرون فيها وفي  
سحاب نهار ان لم نعمل السائر على الملك كان الامر مشكلا اذ يصير الرب  
جاهلا بارضه فلا يعرف الجهات التي تناسب عبده الا اذا مشي في الارض  
وتخير لهم مكانا وفي هذا من السخف وتجهيل الاله العليم ما لا يخفى فلذا حملنا  
كما جاء من هذا القبيل على الملك لاستمالة ذلك على الاله ( المخالف للحوادث  
المنزه عن الحركة والسكون والبعد والقرب والذهاب والجيء والتعيز والحلول  
جل شأنه وتعالى قدرته )

فمن هذا التقرير نعلم انفاق القرآن والتوراة على ما جاء في سيرة سيدنا  
موسى وتاريخه وانه بعد تلقيه التوراة مشتملة على قسمي العبادات والمعاملات  
قبض بقسم العبادات على زمام الدين وقسم المعاملات على زمام الملك  
والسياسة واستوزر اخاه هارون واخذ من الاسباط نوابا يحضرون مجلس حكمه

وتعليه فصارت حكومته دستورية وبقي الامر على ما قرره حتى توفاه الله تعالى وقد اوصى الى يوشع بالامر بعده بامر التوراة فقام بالامر احسن قيام وفتح بلد الجبارين اريحاء وسهل طريق الوصول الى الارض المقدسة الى ان انقضى دوره وانقسمت العصبية الى قسمين ملكي وديني فصارت السياسة والملك في سبط يهوذا بن يعقوب والنبوة والدين في سبط لاوى بن يعقوب واستمر على ذلك قرونا وهم ينقلبون بين خنض ورفع وقوة وضعف حسب الطواريء الزمنية الى ان خرج الملك من سبط يهوذا ودخل في يد طالوت من سبط بنيامين بالثغاب اشمويل بن بال احد انبياءهم عند قيامهم لمحاربة العمالقة واسترجاعهم ما غلبوهم عليه من البلاد وما اخذوه من امتعتهم ومن اسروه من ابنائهم واءبائهم ثم عاد الملك بعده الى داود بن يسي (يشا) بن عوبيد (عوفيد) بن يوعز بن سلون بن نحشون بن عميتاداب (عمينوذب) ابن ارام (رم) بن حصرون بن فارص (بارص) بن يهوذا بن يعقوب فجمع الجنود وحشد الجموع واتم فتح ما جاوره من البلاد الشامية والاطراف العربية الظورية وفي مدته تأيد ملك بني اسرائيل وقويت شوكتهم بمارتبه من الجنود وما بشه في التخوم من البعوث والسرايا ثم جاء بعده ولده سليمان فجمع جموع بني اسرائيل واخذ في مهاجمة التخوم حتى ألحق الشام كله بملكه ثم هاجم نصيبين واطراف العراق وبلاد العرب وزاد ملك بني اسرائيل بسطة بما غنمه من هذه البلاد وما فتحه من بلاد سورية التي اغنت بني اسرائيل بخيراتهما واخذ في تشييد قبور آباءه وبناء بيت المقدس فبنى مسجد الخليل في حبرون فوق المغارة التي دفن الخليل وزوجته واسحق وزوجته ويعقوب

وزوجته وبني مسجدا صغيرا فوق مغارة يوسف الصديق اللاصقة بمغارة الخليل ولم يزل المسجد على بنائه الى اليوم ثم جمع الالوف المولفة لبناء بيت المقدس . وقيل . انه لما أمر ببناء بيت المقدس ظن ان الارض المقدسة من اورشليم الى حبرون ( هي الخليل الآن ) فآخذ يبني مسجدا في ارض حقلول على بعد ستة اميال من حبرون ( وهو مدفن يونس ابن متى الآن ) فنودي ان ليس هنا يبني البيت المقدس فمدل عن تلك الجهة وآخذ يبني في طور زبنا الكائن في شرق بيت المقدس فنودي ان ليس يبني هنا البيت المقدس فسأل الله تعالى ان يجعل له علامة يعرف بها مكان ذلك المسجد فأرى نورا على لسان صخرة في ارض اورشليم ونودي ان تلك الصخرة هي وسط المسجد الحرام وكانت الصخرة في انف الجبل وتحت وادٍ منخفض ومن الصخرة الى منتهى المسجد من الشمال نحو ثلثمائة متر كما ذكره صاحب كتاب الأنس الجليل فاستحضر العمال لقطع الاحجار وبني قناطر على سوارٍ عظيمة من الصخرة الى نحو ثلثمائة متر من جنوبها ورفع تلك العقود حتى قربت من الصخرة ثم بني مسجده في الجنوب في قطعة جهة الغرب منه وتركت بقية الارض حرما امام المسجد ولكنه سورّه بسور عظيم وبني فوق الصخرة قبة . وهذه الصخرة عبارة عن لسان من الجبل يتصل به من جهة الشمال وبينه وبين الجهات الثلاث فراغ وتحت الصخرة مغارة صغير فيه كان يتعبد داود ابوه وما قيل في الصخرة غير هذا فمن وضع القصاص فانهم يريدون ان يثبتوا قدرة الله تعالى بارتفاعها وعدم ارتكازها على شيء وفاتهم ان نسبتها الى الارض نسبة العدم الى الوجود ومع ذلك فان الارض موضوعة في فراغ تحيط به السماء ولا شيء ترتكز عليه سوى قوة

التجاذب التي خلقها الله تعالى بينها وبين الكواكب وكذلك الافلاك يحيط بعضها ببعض وتدور في فراغ على غير قطب يعملها فكيف عمى الناس عن هذه الاجرام العظيمة ووضعها على غير مرتكز ورفعها على غير عمد واخذوا ينظرون في قطعة حجر لا تزيد عن خمسة امتار في مثلها وكأنه سهل عليهم فهم وجود كوكب الشمس الهائل في مركزه ودورته العجيبة ودور الكواكب حوله وصعب عليهم فهم التصاق هذا اللسان بجبهة وبقائه على تلك الهيئة « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون

وفي سليمان وابيه داود وابنه رجبم وابن ابنه آفيا وابنه اسا اجتمعت رئاسة النبوة والملك فكان كل منهم قابضا على السياستين النبوية والملكية كما كانت الحال في عهد سيدنا موسى وقد بنى سليمان تلك المباني العظيمة ونقشها بالتمائيل الجميلة واستعمل في ذلك مئات الوف من الناس خصوصا وهو يبني في جبال حميرية يأتيها بالصخور من جهات بعيدة ومقاطع منعطة عن محل البناء مع ضعف آلات القطع وجبر الاثقال اذ ذاك فبناؤه يدل على انه استعمل سلطة قوية وبطشا عظيما حتى وقعت سطوته وشدته من الناس الى حيث يحشدون الوفا من اقطار بعيدة ويشغلون في اعمال شاقة السنين الطويلة مع كونهم في اراضي جبلية لا خصب فيها ولا ماء الا ما يجمعونه من الامطار مع شدة بردها وكثرة ثلوجها ولا تقوم امة بمثل هذه

الاعمال القاسية الا اذا قيدت بيد السلطة القوية والسطوة النافذة ولذا يعبر  
المسيحيون والاسرائيليون عن سليمان بالملك لاحكامه السياسة واخضاعه هذه  
الامم مع كون مدته كانت مدة سلم بخلاف مدة ابيه فانها كانت مدة حروب  
فحق له ان يقول وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فانه لم يأت بعده  
من بني اسرائيل من ضبط الملك مثله ولا من نزل عنه درجة . وقد اشتغل  
باللهيات والحكميات وتصدى لتعليمها بنفسه فنهض له خالق كثير ونبغ على  
يديه حكما اجلاء وفلاسفة اذ كيا، ولم يحجر على هذه العلوم بل علمها المستحقين  
وظالبيها من يهود وروم وكنعانيين وغيرهم فانتشر علم الحكمة في الاقطار  
وتوسع الناس فيه باختلاف الافهام واعتنى به الروم اعتناء فاق اعتناء من  
سبقهم ومنعوه من السفلة وجعلوه من خصائص البيوت الرفيعة ماعدا فن  
الطب فانه اشرفه جعلوه من خصائص بيت الملك فلا يعلمونه الاسلالة  
الملوك وهذا الشدة حرصهم على اعزاز العلم وتعظيمه . وفي مدة حكم سليمان  
بلغت مملكة فلسطين غايتها علما ومدنية وقوة وبعد انقضاء دوره عادت  
الاسباط الى التعزب ودعوى الاختصاص ووقع بينهم التخاذل والتنافر  
فاختلفت كلمتهم وتوزعت اهاؤهم حول الدعاة والمرشحين للمناصب العالية  
والمتمين بالانساب الشريفة فكان ذلك تمهيدا للكلدانيين الذين كانوا لهم  
بالمرصاد ينتظرون هذا الاختلاف والاختلال ليجعلوا عليهم حملة تبديد  
وتشريد فلما تمكن التخاذل منهم واتحاز كل فريق الى رئيس معين سهل على  
الكلدانيين اتساعهم فهاجموا فلسطين وحملوا عليها حملة قوية ولم يكن هناك قوة  
مجتمعة ولا عضوية ملتزمة فبددوا تلك المملكة العظيمة وقتلوا الرؤساء والعظام

وساقوا الابناء والنساء سبياً واستعمروهم في الاعمال الحقيرة وتركوا الارض المقدسة خربة لاساكن فيها ثم اطلق سراحهم بعد ذلك فعادوا الى الارض المقدسة وقد انقسموا الى ثلاثة اقسام سامرة وهم الذين قالوا لا نعمل الا باسفار موسى الخمسة فان ماعداها من وضع الغيز وما هو الا تاريخ من التواريخ لم ينزل الله تعالى منه شيئاً على موسى فلا ينبغي ان نتعبد بما هو من قسم التاريخ وقرآيين وموسوية وهذان يقولان باسفار موسى وغيرها ولكنها اختلفا في التلمود واحكامه ثم ان السامرة قالوا ان بيت المقدس هو جبل نابلس المسمى غيبال وهو الذي افتدى فيه ابراهيم اسحق واسماعيل وقرب فيه آدم قربانه وهو قبلة كل اسرائيلي واليه حجه وعليه يعمل العيد والقسمان قالوا ان بيت المقدس هو ارض اورشليم ونابلس خارجة عن حدوده ومسجد سليمان هو البناء الكائن في غرب جبل الزيتون (طور زيتا) وبهذا الاختلاف وقع القتال بين السامرة وبقية الاقسام واستمر سنين حتى ان الموسوية لم يتمكنوا من بناء سور اورشليم الا باستعمال السلاح دفاعاً عن الفعلة والصناع مدة البناء ثم اختص السامرة بسكنى نابلس وجبالها الى سبسطية وفيها كان كرسي ملكهم ولهم حروب متواصلة مع اليهود والفنيقيين ليس هذا محل ذكرها . ثم عادت سطوة الاحبار والانبياء بعد ذلك وكثر الاختلاف والمغالبة على الملك والدين وظهر كثير من المرشحين للملك بمصبيات اسسوها وجموع الفوها فانحلت عرى قواهم التأسيسية والتعميرية واخذ الملك في الانحطاط وامتلات القلوب بالاحقاد والاضغان وقضوا على ذلك قرونا وهم بين قائم وقاعد بحرب وسلم حتى صارت البيوت والاخذ في حكم القبائل المستقلة وقد رأى الكلدانيون

وعورة الطريق وجذب تلك الاراضي وصعوبة سكنها فاعرضوا عن محاربتهم  
والحاقهم بمملكتهم البابلية وتركوهم في هرج ومرج يقطع بعضهم بعضا وبيناهم  
في هذا التخاذل والتغالب وتوزيع الكلمة والاهواء اشرفت عليهم الانوار  
العيسوية آتية من بطن مريم ابنة عمران بن ما ثان بن عازار بن ابي يورالي  
آخر نسب سيدنا عيسى المتصل بدادود المنتهي الى يعقوب بن اسحق بن  
ابراهيم فهو اسرائيلي العصبية من جهة امه

غ

١٦

انك ستلخص امر المسيح هنا كما تلخصت امر موسى ونحن وانتم على خلاف  
في شأنه فعلى اي الاعتقادين تمشي ثم لا بد لك من تحقيق شأن مريم على  
اعتقادكم فاني احب الوقوف على ذلك لا تقابل بين ما اسمه منك وبين ما  
نسمه من قسوسنا مما ينسبونه اليكم فان الانسان لا ينبغي له ان يقطع بشي  
الابعد سماعه من اهله فان الناقل قد يعرف الكلم وقد يغير الموضوع لغرض من  
اغراضه فكثيرا ما سمعت امورا قيحة عن المسلمين تنفر منها الطباع وعند ما  
طفت الممالك الاسلامية وخالطت اهلهما السنين الطويلة وعاشت الاعراب  
الرحل في الاودية لم اجد شيئا مما سمعته وانا في بلادي فعلت ان ذلك من  
سياسة الروحانيين ليصرفوا القلوب عن محبتكم ويلقوا العداوة بيننا وبينكم  
ويقبجوا بنا ما انتم عليه من الاعتقاد خوفا من ميل النفوس اليكم او البحث  
في دينكم الذي رجا الباحث الى الاسلام اذا استحسنه فان الفكر اذا اطلق  
وازدحت فيه المعاني وتشعبت امامه الادلة والبراهين ربما عدل عما تربي  
عليه لانه اخذه باحتكاك افكاره في افكار غيره كما هو شأن العامة الآخذين



دينهم بلا بحث ولا استدلال ولكن هذه التحويلات لا تمنع ارباب الافكار الذين رسمت اقدامهم في الدين ان يحشوا في دين الغير للوقوف على حقائق الاشياء . وما دلني على ان الحاصل من القسوس من باب التنفير وجود الملايين الكثيرة من النصارى واليهود في بلاد المسلمين وامتزاجهم بهم في السكنى والاسواق والمعاملات والتسوية بينهم في الاحكام حتى كان الفارق الديني غير موجود بينهم على انهم ربما فضلوا المسلم الشرقي على المسيحي الغربي للارتباط الحاصل بينهم ولما يعلمونه من سعي اوربا خلف الثروة لا تبالي افقرت مسلماً او مسيحياً شرقياً وما تشد داخل في الشرق بعلة حماية المسيحي الشرقي الا من باب الحيلة والتلطف في الوسائل والا فان المسلم والمسيحي عند الاستيلاء عليها سواء . وكثيراً ما تذاكرت مع اقباط مصر فيما بينهم وبين المسلمين من الروابط والعلاقات فما سمعت منهم الامدحاً وثناءً وتفضيلاً للمسلم على المسيحي الاوروبي فاذا سألتهم عن العلة قالوا مضت علينا القرون الكثيرة ونحن على احسن ما يكون معهم من المعاملة والمعاملة وقد شاركناهم في معظم اعمال الحكومة وامتلاك الاطيان والعقار ولم يتعد احد علينا حتى انه ربما وجد في البلد واحد منا وقد بعدت عنه امثاله فلا يتعرض له احد بسوء بل ربما كان محترماً أكثر مما يكون بين اخوانه الاقباط فاذا تكلمت معهم عن اوربا واتحادها معهم في الدين وضرورة الالتجاء اليها نفروا مني وقالوا ان اهالي اوربا جنس يغيرنا لغة وطبعاً وعادة ولهم شعف بحب الاستبداد على الامم الشرقية وتحويل ثروتهم الى بلادهم فهم يحنقون كلبى شرقي ويرونه ملحقاً بالبهيم سواء كان مسلماً او مسيحياً وبهذا نرى ان

وجودنا مع المسلمين وخضوعنا للسلطة الاسلامية احفظ لحقوقنا واموالنا  
 وادعى لراحتنا فاننا قد جربناهم وجربهم آباءنا واجدادنا فلم نجد الا لينا  
 وحسن معايشة وان قيل اننا في بعض الازمان الناشئ من الظلم فان ذلك  
 كان عاما فينا وفي المسلمين من الولاة الظلمة . ولم اجد ميالا لاوروبا الا  
 افرادا قليلين جدا وكذلك عند ما سألت الارمن لم ارجعهم المسلمين  
 ولم اسمع منهم الا الثناء عليهم والخط على بعض رجال منهم استخدمتهم روسيا  
 وانكثرة لبث الفتن وايغار الصدور لمصلحة الملكة لا للجامعة الدينية وكذلك  
 نصارى الشام الذين لم يدخلوا مدارس الاجانب فانهم على وفاق تام بينهم  
 وبين المسلمين وما يحدث بينهم الشعب والفتن الا اضلاع الدول المتخذون  
 منهم ولو تركوا وشأنهم ما تألم واحد من شيء لما يراه من التساوي والامن  
 على النفس والعرض والمال وكذلك كل ارض شرقية فيها مسيحيون فانهم  
 لا يحركهم للفننة الا دسائسنا معاشر الاوروبيين فلماذا تيقنت ان عبارة القسوس  
 غير صحيحة ولكني احب الوقوف على الاعتقاد الصحيح عندكم فهاته بالايجاز  
 فانه غير اجنبي مما نحن فيه

ش

نحن في هذا الباب لانعمد على مؤرخ ولا حكاية قاص بل نرجع الى  
 القرآن العزيز فان كل ما تعرض له القرآن من الاخبار والقصص ناخذه بالتسليم  
 والقبول لاعتقادنا الجازم ان القرآن كلام الله تعالى فلا نزيد عليه شيئا  
 ولا ننقص منه شيئا وكل قول خالف القرآن لانقبله ولا نعول عليه وبهذا  
 تراني مقيدا لا يمكنني ان اجاريك فيما تعتقده نفاقا او تزلفا ولا يمكنني ان

اتقول على الله تعالى ما لم يقله فاسمع القصة على ما جاءنا بها القرآن ولا تكلفني البحث فيما تخالفني فيه من العقائد والاعتقادات فان كلامنا سيعرض على أناس مختلفي الدين فانا اقول ما عندي وانت تقول ما عندك ولولا الزامك ما فتحت هذا الباب . حاصل قصة مريم وابنها عليه السلام ان الله تعالى يقول انبياه محمد صلي الله تعالى عليه وسلم اذكر « اذ قالت امرأة عمران » هي حنة بنت فاقوذ زوجة عمران بن ماثان وكان معاصرا لذكريا بن اذن وزوجه ابنته ايشاع اخت مريم وذلك انها اشتاقت الى الولد فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس وكان نذر مثل ذلك جائزا في شرع بني اسرائيل ولا يجوز في شرعنا وسالت الولد لان النساء لا تصلح لخدمة البيت لما يصيبها من الحيض والاذى وما في وجودهن في اماكن العبادة من الفتنة فلما حملت قالت « رب اني نذرت لك ما في بطني محررا » اي اني حررت اليك ما في بطني ذكرا كان او انثى فانها لا تعلم ما هو فهو خالص لخدمتك ليكون من سدنة بيتك « فتقبل مني » فاني لا اريد الا رضاك « انك انت السميع » لتضرعي ودعائي وندائي « السليم » بما في ضميري وقلبي ونيتي اذ لا يعلم ما في السرائر الا انت وخذك « فلما وضعتها » رأتها انثى وكان نذرهم انما يقع على الذكر « قالت رب اني وضعتها انثى » فاخاف ان لا تقبل في الخدمة وترد علي بعد ان نذرتها وهي في بطني ولم نقل ذلك تحميلا لله تعالى بل على سبيل الاعتذار بدليل قوله تعالى « والله اعلم بما وضعت » فانه هو الذي كونها وخلقها وجعلها انثى فهو اعلم بها قبل ان تخلق « وليس الذكر كالانثى » فان الذكر يستمر على الخدمة لقوته وشدته وصبره على الاعمال

الشاقة ولا يلحقه عيب في الخدمة والاختلاط بالناس ولا يتهم بمخالطته الرجال  
والانثى بخلاف ذلك ولكن الذكر كان مطلوباً وهذه الانثى هي موهوبتك  
وليس ما اطلبه كالذي تهبه وقيل ولادتها توفى والدها عمران ولذلك سميتها  
امها وقالت « واني سميتها مريم » لتكون عابدة خادمة لله تعالى « واني اعيدتها  
بك وذريتها من الشيطان الرجيم » وذلك انهما لم ترزق ولداً وجاءتها هذه البنت  
تضرعت الى الله تعالى في حفظها من الشيطان الرجيم وجعلها من الصالحات  
القائيات « فتقبلها ربها بقبول حسن » بان عصمها وعصم ولدها من مس الشيطان  
وزغته ولما وضعتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها بين ايدي  
الرهبان ابناء هارون وقالت لهم خذوا هذه النذيرة فتنافسوا فيها لكونها بنت  
امامهم عمران وكان بنوماذان رؤس بني اسرائيل واحبارهم فقال لهم زكريا  
انا احق بها منكم فان عندي خالتيها فقالوا لا نسلم فيها حتى نفترح فجاؤا الى  
نهر فآلقوا فيه اقلامهم التي يكتبون بها الوحي وانفقوا على ان من يرتفع قلمه  
هو كفيلها فرسبت اقلامهم وارثنع قلم زكريا ثم اعدوا الاقتراع مرة ثانية  
وثالثة وفي كل مرة ترسب اقلامهم ويطفو قلم زكريا فرجعوا عنها « وكفلها  
زكريا » اي تكفل بها بعد فطامها وجعلها في مكان خاص لتربيتها فيه وعبادتها  
( كلما دخل عليها زكريا المحراب ) وهو المكان المرتفع وكان زكريا قد بنى لها  
غرفة في المسجد وجعل بابها في وسطه لا يصمد اليه انسان الا بسلم صيانة لها  
وكان اذا خرج اغلق عليها الابواب ( وجد عندها رزقاً ) وكان دعا لها قبل  
ذلك بان يبعث الله لها رزقاً يقوم بها فكان كلما رأى شيئاً عندها سألها و قال  
يا مريم اني لك هذا ) اي من اين لك هذا خشية ان يكون جاءها به احد

(قالت هو من عند الله) فعند ذلك يطمئن ويعلم ان ذلك اجابة دعائه الذي دعاه لها وعند ما تمت صفاتها الكمالية (قالت الملائكة) والمراد بالملائكة هنا جبريل وانما جمع تعظيماً لشأنه واعظاما للامر القادم به «يا مريم ان الله اصطفاك» فظاهر عليك أموراً حسنة خارقة للعادة وقد كفناك امر معيشتك فكانت تأتيك بلا كلفة ولا تعب «وطهرتك» فعصمتك من المعصية والكفر وحفظك من مسيس الرجال وانت بينهم وحسن اخلاقك فلم تصدر عنك الافعال الذميمة والعادات القبيحة (واصطفاك على نساء العالمين) المعاصرين لك فلم توجد في عصرك انثى تساويك في ذلك . ولم يلزم من تكليم الملك لها نبوتها عندنا فان النبي لا يكون الا رجلاً بدليل قوله تعالى (وما ارسلنا قبلك الا رجالاً نوحى اليهم) وانما نعد ما حصل لها كرامة اكرمها الله تعالى بها كما يكرم احد اوليائه بما يشاء اما كيفية خلق ولدها فقد عرفناه من آيتين قرآنيتين وكل منهما تخبرنا ان الله تعالى قال له كن فكان غاية الامر انه جاء من طريق غير معتاد في التولد ولكن ذلك لا يقدر فيه ولا يقف في فهمه الا غيباً او معانداً . فان الشرعيين لا يكلفون انفسهم بالدليل على مانص عليه الاله الحكيم لاعناقدهم انه قادر على كل الممكنات فيعتقدون ان الله تعالى كما خلق آدم من غير اب ولا ام خلق سيدنا عيسى من اب بلا اب لكونه ممكناً . والفلاسفة قالوا ان بدن الانسان انما استعد لقبول النفس الناطقة التي تدبر بواسطة حصول المزاج المخصوص في ذلك البدن . وذلك المزاج انما جعل لامتزاج العناصر على قدر معين في مدة معينة فحصول اجزاء العناصر على ذلك القدر الذي يناسب البدن غير متمتع وامتزاجها غير متمتع فامتزاجها

يكون عند حدوث الـديفية المزاجية واجباً وعند حدوث الكيفية المزاجية  
يكون تعلق النفس بذلك البدن واجباً فثبت ان حدوث الانسان على  
سبيل التولد مقول ممكن واذا كان الامر كذلك فحدوث الانسان لا عن  
الأب اولى بالجواز والامكان . ثم اننا نشاهد حدوث كثير من الحيوانات  
على سبيل التولد بواسطة التعفين وانفاق النسب ومرور الزمن الكافي لتخلق  
الحيوانات كما يرى في تخليق الفار والذباب والعقارب وغيرها واذا كان كذلك  
فتولد الولد لا عن الأب اولى ان لا يكون ممتنعاً . ولهذين الطريقتين الشرعي  
والفلسفي قطعنا بان سيدنا عيسى ولد من امه بلا واسطة اب ونزهننا امه بالتولد  
عن كل ما يرميها به الاعداء فان اعتقاد الفحش فيها كفر صريح عندنا لان  
الله تعالى برأها من كل عيب فقال في الآية الأولى « يا مريم ان الله يبشرك  
بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين »  
فاثبت ان البشارة اتت لمريم من الله تعالى على لسان الملائكة بغلام يكون  
بكلمة الله تعالى وخصه بالكلمة هنا مع ان كل شيء لا يكون الا بكلمة الله  
كن لان الله خلق غريب في مجيئه من غير طريق التولد المعتاد فهو كائن بكلمة  
مبتدأة من الله تعالى وبهذا نعلم ان من هنا ابتداءية لا تبعيضية ونسبه اليها  
لتعلم انه عبد كائن بغير اب ولكن له ام تناسبه وتساويه في الماهية واخبر  
انه يكون وجيها في الدنيا مقبولا عند من يؤمن به في وقته معدوداً من  
المرسلين الذين هم اوجه وجاه الخلق ووجيهاً كذلك في الآخرة اذ يأتي مع  
المرسلين بين يدي الله تعالى مسئولاً مثلهم فيكون آمناً كبقية اخوانه الانبياء  
عليهم الصلاة والسلام وانه من المقربين عند الله تعالى لكونه من اصطفاهم

على العالمين . ولا شك ان البشارة بمثل هذا الكلام سارة مفرحة ثم زادها  
نفر يبعث بقوله (ويكلم الناس في المهدي وكهلا ومن الصالحين) اخبرها انها ستعمل  
به ويتهمها بنوا اسرائيل بما هي منه بريئة فينطق الله تعالى ولدها اظهاراً لبراءتها  
وهو في مهدي رضاعه ثم اذا كبر وصار شاباً كالم الناس كهلا بما يوحيه اليه رب  
العالمين وانه من الصالحين الذين لا يقتربون السيئات ولا يميلون الى الشهوات فلما  
سمعت هذه البشارة من الملك ونظرت الى العادة فوجدت التوالد حاصل بالزواج  
الذكر والانثى (قالت رب اني يكون لي ولد ولم يمسنني بشر) اي انك تعلم اني  
بكر ما تزوجت ولست بغيا حتى يحصل التنقيح من الرجال فيحصل الحمل فكيف  
يكون ولده بعد تبلي وبعدي عن الرجال (قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرأ  
فانما يقول له كن فيكون « اي انت ترين الامر بعيد الحصول ولكن الله تعالى  
لا يتقيد بعادة ولا تحكم عليه طبيعة ولا تعاوقه الموانع الصناعية والقوانين  
الكونية بل هو فاعل مختار يخلق ما يشاء على اي كيفية شاء من غير ان يعانى  
تعباً او يرى معارضا او مانعاً فانه شأنه اذا قضى امرأ من الامور الاعتيادية  
او الخارقة للعادة فانما يقول له كن فيكون فاخبرها ان كل كائن انما يكون  
بكلمة الله تعالى ولذا بشرها بكلمة تكون منه يتكون بسببها ولدها كما تتكون  
اوائل الكائنات فاننا اذا رجعنا بكل جنس القهقري رأينا لكل كائن مبدا  
كان مادة له وهذا المبدأ لم يكن قبله شيء يتكون منه وانما كونه الله تعالى  
وابرز من العدم الى الوجود بتقديره وقوله كن فاستوى عنده الامر العادي  
والخارق للعادة لان قدرته مستوية بالنسبة الى جميع الكائنات . ثم زادها  
تشويقاً للولد بوصف يبعث فيها التشوق له فقال « ويعلمه الكتاب » اي

الكتابة فلا يكون امياً « والحكمة » اي العلوم التمهيدية ليخرج على خلق حسن محلي بالكلمات « والتوراة والانجيل » ونعلمه . توراة موسى فلا يفخر عليه بنو اسرائيل بشي . وليكون مجيئه متمماً لها ونعلمه الانجيل اي الذي سيوحى اليه على لسان جبريل كما اوحى التوراة الى موسى ثم زاد البشارة بما يجعلها تهيم في طلب ما وعدها الله تعالى به فقال « ورسولاً الى بني اسرائيل » وسابعه رسولاً الى بني اسرائيل كما بعثت موسى وهارون فيخبرهم (اني قد جئتكم بآية من ربكم ) اي بآية بعد آية من احيله الموقى ومداواة الائمة والابرض والاخبار عما يأكلون ويشربون ويفعلون في بيوتهم وبهذه البشارة العظيمة حصل عندها الشوق وانتست ووطنت نفسها على ما سيحصل لها ولذلك قال الفلاسفة ان التخيلات الذهنية كثيراً ما تكون اسباباً لحدوث الحوادث الكنازية . أليس ان تصور المتاني يوجب حصول كيفية الغضب ويوجب حصول السخونة الشديدة في البدن . أليس اللوح الطويل اذا كان موضوعاً على الارض قدر الانسان على المشي عليه ولو جعل كالقنطرة على وهدة لم يقدر على المشي عليه بل كلها . مشى عليه يسقط وما ذاك الا ان تصور السقوط يوجب حصول السقوط وقد ذكروا في كتب الفلاسفة امثلة كثيرة لهذا الباب وجماعها كالاصل في بيان جواز المعجزات والكرامات فما المانع من ان يقال انه لما تخيلت صورته عليه السلام كفى ذلك في علوق الولد في ربهما . وهذا يقولونه على سبيل التصور والجواز والا فانتا لا نعتقد الا بقول الله تعالى وقد اخبرنا انه اذا اراد شيئاً قال له كن فيكون وجذبت الوسائط او عدت ولا نظير للقول بتخيلاتها الذهنية بعد اعتقادنا ان الله فاعل



واذا اعتقدنا انه تعالى فاعل مختار وان هذه الاكوان منشأته وخلقه علمنا انه قادر على خلق عيسى بلا واسطة اب كما قال تعالى « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » اي ان صفة عيسى عند الله في تكوينه بغير اب كصفة آدم اذ خلقه وسواء من الطين والطين ليس فيه قوة قيامه بشراً سويًا كما ان ماء الام ليس كافيًا في تكوين الجنين من غير الانفعال بماء الرجل فكما ان آدم لم تنبعث فيه الروح الا بكلمة الله تعالى التي هي كن فكذلك عيسى تم تكوينه وانبعث الروح فيه بقوله تعالى كن وقال في آية أخرى « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » فاخبر انه رسول من الرسل ليمنع الناس من الغلو فيه بما يخرجهم عن الحقيقة الانسانية ثم اخبر انه كون بكلمة منه وانه انما قام جسداً متحركاً بروح منبعث فيه من جانب الحق سبحانه وتعالى . وهناك آية أخرى ساق فيها قصة السيدة مريم وابنها ووقية اليهود فيها وتبرئة الله تعالى لها وتنزيهاها عما رموها به وبايرادها تتم قصتها ويعلم اعتقادنا الجازم فيها وفي ابنها ثم تأتي على قصته مع بني اسرائيل بعد ذلك قال تعالى « واذ كر ياعمد لاهل الكتاب وغيرهم » في الكتاب مريم « اي قصتها ليقف الناس على حقيقة امرها » اذ انتبذت من اهلها مكاناً شرقياً « اي تباعدت وانفردت عن اهلها المقيمين معها واقامت في مكان شرقي البيت » فاتخذت من دونهم حجراً « اي فضربت بينها وبينهم ستراً وذلك لان الخائض في شريعة اليهود تعزل الناس وتطول امرها بنفسها ولا يقرب منها احد والسيدة مريم كانت تعبد الله تعالى في محرابها وهي صغيرة فلما بلغت وجاءها الحيض اعزلت مكان

العبادة واتخذت لها جهة نقيم فيها حتى تنتهي مدة الحيض فتظهر وتعود لمعراجها  
« فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً » بعد ان طهرت من حيضها  
ارسلنا اليها رسولنا الروحي الذي هو جبريل فتمثل لها في صورة بشرية  
لتأنس به ولا تنزع منه لانها لا تطيق رؤية الملك على صورته النورانية  
التي خلق بها لعدم تعودها على رؤية غير البشر . انما قلنا ان الروح هنا هو  
جبريل لان القرآن عندنا يفسر بعضه بعضاً وقد قال الله تعالى خطاباً لنبينا  
صلى الله تعالى عليه وسلم « نزل به الروح الامين على قلبك » فلولم نقل انه  
جبريل لكان الروح الذي قام به جسد عيسى هو عين الروح الذي قام به  
جسد محمد او مثله وهو منقوض بمجيء سيدنا محمد من ابوين كبقية من  
اكتنفتهم النواصيت فلماذا قلنا انه جبريل ولا ينافي ذلك قوله وروح منه في  
آية أخرى فقد جاء مثلها في جانب سيدنا آدم اذ قال تعالى خطاباً للملائكة  
« فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » فالروح المنفوخ من  
الله تعالى في آدم وعيسى هو النفس الناطقة لان الانسان مركب من جسد  
ونفس والجسد مولد من الماء المتولد من الاخلاط التي لا بد في حصول  
التسوية بينها وبين الاركان من رعاية مقدار مخصوص لكل واحد  
منها ومن رعاية كيفية امتزاجها وتركيبها ومن رعاية المدة التي في  
مثلها حصل المزاج الذي لاجله يحصل الاستعداد لقبول النفس  
الناطقمة . وهناك فرقة حلوية نقول ان من للتبعيض وهذا يوم  
ان الروح جزء من اجزاء الاله وهذا لا نقول به ولا نجوزه لان  
كل ماله جزء وكل فهو مركب ممكن الوجود لذاته وكل ممكن الوجود

لذاته حادث فتكون اجزاء الاله حادثه فيكون مركبه حادثا فيحتاج الى محدث  
وكل محتاج الى محدث فهو مخلوق . والروح الذي تمثل للسيدة مريم في  
صورة بشرية هو الروح الذي نزل بالقرآن على قلب سيدنا محمد صلى الله  
تعالى عليه وسلم وهو جبريل . وهناك فريق من الناس يقول لو جازان يظهر الملك  
في صورة انسان معين فحينئذ لا يمكننا القطع بان هذا الشخص الذي اراه الآن  
هو زيد الذي رأيت بالأمس لاحتمال ان الملك تمثل في صورته . ونحن نقول  
له من اعترف بافتقار العالم الى الصانع المختار فقد قطع بكونه تعالى قادراً على  
ان يخلق شخصاً آخر مثل فلان في خلقه وتخطيطه واذا جوزنا ذلك فقد  
لزم الشك في ان فلاناً المشاهد الآن هو الذي شاهدناه بالأمس ام لا .  
وكذلك من ينكر الصانع المختار ويسند الحوادث الى اتصالات الكواكب  
وتشكلات الفلك او الطبيعيات يلزمه تجويز حصول اتصال غريب في  
الافلاك يقتضي حدوث شخص مثل زيد في كل الامور فيكون التجويز  
لازماً على كل من الاقوال وهذه سفسطة وتعميز للفاعل المختار جل شأنه .  
ثم قالوا انه جاء في الاخبار ان جبريل شخص عظيم جداً فكيف صار بدنه  
في مقدار جثة الانسان هل كان ذلك بان تساقطت اجزأؤه وتفرقت بنيته  
فحينئذ لا يبقى جبريل او بان تداخلت اجزأؤه وذلك يوجب تداخل  
الاجزاء وهو محال . فقلنا بعد اعتبار جبريل روحانياً فلا استبعاد في ان  
يتدرع تارة بالميكال العظيم ومرة بالميكال الصغير . واذا اعتبرناه جسمانياً  
قطعنا بان خالقه على تلك الصورة العظيمة قادر على تصغيره وتكبيره فاصل  
التجويز قائم في العقل فلا يمتعه وانما عرف فساده من طريق السمع وما جوزه

العقل لا تدفعه هذه التخيلات الفاسدة التي تلزم كل انسان ان يشك في نفسه اهو الذي كان بالامس او في المحظة الماضية ام غيره وقد اخذ فريق من ضعفاء العقول بهذه الاوهام وجمالوا مذهباً لم مع وضوح فساده لضعف الناس تصوراً وتعقلاً . فلما رأّت السيدة مريم جبريل في الصورة البشرية « قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت نقياً » اي ان كان يرجى منك ان تُتقي الله تعالى ويحصل ذلك بالاستعاذة به فاني عائدة به منك لانها علمت انه لا تؤثر الاستعاذة الا في التقي فلما قالت له ذلك « قال انما انا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً » فلما قال لها انا رسول ربك علمت انه غير فاجر ولا يريد بها سوءاً وتيقنت انه ملك من الملائكة الذين كان يجبرها عنهم زكرياء فانست وزال ما بها من الخوف وعلمت ان دخول مثله عليها في خلوتها لا يؤدي الى سوء ولا يمنع منه مانع . وقوله لاهب لك غلاماً نسب الهبة لنفسه لكون الامر جرى على يده او لكونه هو الذي نفخ في جيبها . وهنا سأنا سائل فقال لم لم تقولوا ان جبريل هو الذي كون عيسى بنفخه في جيب مريم وما الدليل على انه لا يقدر على تركيب الاجزاء وخلق الحياة والعقل والنطق فيها . فقلنا ان جبريل جسم والجسم لا يقدر على هذه الاشياء اما انه جسم فلاّنه محدث وكل محدث اما متحيز او قائم بالتحيز . واما ان الجسم لا يقدر على هذه الاشياء فلاّنه لو قدر جسم على ذلك لعذر عليه كل جسم لان الاجسام متماثلة . فقال لانسلم ان كل محدث اما متحيز او قائم به بل هناك موجودات قائمة بانفسها لا متحيزة ولا قائمة بالتحيز ولا يلزم من ذلك كونها امثالاّ لذات الله تعالى لان الاشتراك في الصفات الثبوتية لا يقتضي

التماثل فكيف في الصفات السلبية سلمنا كونه جسماً فلم قلتم الجسم لا يقدر عليه قوله الاجسام متماثلة قلنا نعني به انها متماثلة في كونها حاصلة في الاحياز ذاهبة في الجهات او نعني بها انها متماثلة في تمام ماهيتها والاول مسلم لكن حصولها في الاحياز صفات لتلك الذوات والاشترك في الصفات لا يوجب الاشتراك في ماهيات الموصوفات سلمنا ان الاجسام متماثلة فلم لا يجوز ان يقال ان الله تعالى خص بعضها بهذه القدرة دون البعض على ان قولنا ان الاجسام متماثلة في كونها حاصلة في الاحياز او في تمام الماهية انما ذلك في المجهول المصنوع وذات الحق سبحانه وتعالى خارجة عن سلسلة الممكنات ويكفي في الرد كون الموجودات القائمة بنفسها بمجوعة ممكنة لا قديمة واجبة لذاتها وبهذا نتحقق عجز جبريل عن خلق ذرة او شعرة في جسد فضلاً عن تكوين انسان كامل الشكل والصفات على انه لا يمكنه ان يحرك شيئاً من جسمه الا بقدرة الله تعالى وخلقه تلك الحركة فيه فانه عبد مصنوع ولذا قال لأهب لك غلاماً زكياً اي طاهراً من الذنوب منزهاً عن العيوب بنمو كما ينمو الزرع لظهارته وعناية الله تعالى به فلما سميت منه اسم الغلام وهي تعلم انها بكر لم يقربها بشر وقع الكلام عندها موقع الغرابة والبعد «وقالت اني يكون لي غلام ولم يمسنني بشر ولم اك بغياً» اي ان طريق الولادة في العادة حصول الولد من مباضعة الرجل للمرأة وانا لم يمسنني بشر بطريق التزوج حتى احمل منه واجبي بهذا الغلام الذي بشرتني به ولست بغيا اي فاجرة امكن الغير مني فاتي منه بهذا الغلام ولا طريق للحمل عادة الا بافتراش الزوج للمرأة او تمكينها الغير سفاحاً فكيف مع عدم اتصافي باحد الوصفين احمل وآتى بغلام زكياً وهو تخيل عقلاً .

فان العادة اذا تمكنت واستمرت صارت في حكم الطبع وجوزت للعقل انكار ما خالفها وهي تعلم انها ما جاءت الا من هذا الطريق وكل من تراه من الانسان والحيوان لا يجي الا من هذا الطريق فلذا انكرت عليه خبره انكار غافلة تحب ان تستوثق من خبرها ببيان طريق التكوين لا انها انكرت قدرة الله تعالى بهذا الاستفهام فلما سمع منها ذلك «قال كذلك قال ربك هو علي هين» اي ان ربك يقول هذا الامر وان كان غير متصور لك ولا معقولا عندك لمخالفة العادة فانه هين على الله تعالى لا يعالج فيه شيئاً تولا يعييه احداث شقي وبلا واسطة رأساً كما احدث اول الكائنات من غير مادة ولا توسط علة وانما الامر عنده كما قالت لك «الله يخلق ما يشاء اذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون» ثم قال تعالى «ولنجعله آية للناس ورحمة منا» اي ان الذين ينكرون ما تنكروا منه من وجود انسان بغير اب فلاخبارهم باي فاعل مختار فاعل ما اشاء واخلاق ما اشاء وانوع صور التكوين والتخليق على ما اشاء مخصراً جعل ابنك آية لبيان الناس يعجبون منها فلا يؤمن بوجوده من غير اب بل يترقبون وتكوينه له الا من ملأت قلبه ايماناً ولا جعله رحمة اذ يدعو الناس لعبادتي وبلغهم ما ارسل به وما اوحى به اليه من الشريعة الخاصة به فسماه رحمة كما سمي نبينا سيدنا محمد حيث قال «وما ارسلناك الا رحمة للعالمين» غير انه جعل سيدنا عيسى رحمة للناس فخصص وجعل سيدنا محمد رحمة للعالمين فعمم وهذا من جملة اعتقادنا فلا نظنه من التعامل والاستخفاف فاننا نعتقد ان الاستخفاف بسيدنا عيسى او باي نبي من الانبياء كفر صريح فلما اخبرها جبريل بذلك حزنت واغتمت لعلمها ان الناس اذا رأوا اجملها انعموها وزمواها بالسوء فان اخبرتهم الخبر كذبوها

وانكروا عليها اوقوهم عند العادة فقال لها جبريل قد تم هذا « وكان امرأ مقضياً » اي ان هذا امر معلوم لعلم الله تعالى فيمتنع وقوع خلافه لانه لو لم يقع لا تغلب علم الله تعالى جهلاً وهو محال والمفضى الى المحال محال فخلافه محال فوقوعه واجب . وايضاً فلأن جميع الممكنات منتهية في سلسلة القضاء والقدر الى واجب الوجود والنتهى الى الواجب انتهاءً واجباً يكون واجب الوجود واذا كان واجب الوجود فلا فائدة في الحزن والاسف (ولذلك قال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب) وهذا الذي هوّون على السيدة مريم وجعلها تصبر لثناء الله تعالى وقدره ثم نفخ جبريل في طوق قميصها لتأتنس بسبب من الاسباب لا تعلم ان تلك النفخة هي المكونة للولد فان المكون له هو الله تعالى « فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً » انما قلنا هنا انه نفخ في جيب قميصها لقوله تعالى في الآية الأخرى فنفخنا فيه من روحنا اي في عيسى كما قال في جانب آدم ونفخت فيه من روحي وتقدم الكلام على ذلك فلما احست بالحمل خافت من بني اسرائيل فخرجت من بيت المقدس مع ابن عمها يوسف بن يعقوب التجار منطلقين الى مكان في اقصى صهيون وكان لا يوجد في عصرها من هو اشد منها عبادة واجتهاداً في طاعة الله تعالى فلما عرف يوسف انها حامل تحير وكما اراد ان يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها واذا اراد ان يبرئها رأى الذي ظهر في بطنها من الحمل فقال لها انه وقع في نفسي من امرك شيء وقد حررت على كتمانها فغلبني ذلك فرأيت ان الكلام فيه اشفى لصدري وادعى لترك الفكر فيه وتوارد الظنون عليه فقالت له قل قولاً جميلاً قال اخبريني يا مريم هل ينبت

زرع بغير بذر وهل تنبت شجرة من غير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم ان الله تعالى انبت الزرع يوم خلقه اولاً من غير بذر وهذا البذر الذي تجعله مادة للنبات الآن انما حصل من الزرع الذي انبته الله تعالى من غير بذر والا لزم تسلسل البذور الى مالا نهاية له وهذا محال فلا بد من اول لحدوثها وظهورها . ألم تعلم ان الله تعالى انبت الشجرة من غير غيث وبقدرته جعل الغيث حياة للشجرة لا منبتا له بعدما خلق كل واحد منها على حديثه او نقول ان الله تعالى لا يقدر على ان ينبت الشجر حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباته . فقال يوسف لا اقول هذا ولكن اقول ان الله تعالى قادر على ما يشاء فيقول له كن فيكون فقالت له اولم تعلم ان الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا انثى فعند ذلك زالت التهمة عن قلبه وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل وضيق القلب فلما دنا نفاسها وجاء شهر وضعها اوحى الله تعالى اليها بواسطة زكريا ان اخرجي من ارض قومك لثلاثا يقتلوا ولدك فاحتملها يوسف على حماره الى ان جاءت بيت لحم « فأجاءها المخاض الى جذع النخلة » اي الجأها الطلق وحضور وقت الولادة الى العذول عن السير فنزلت بجانب جذع نخلة بيت لحم بين اورشليم وحمول وعانت ما تعانيه النساء حتى وضعته عليه السلام فلما رآته تذكرت شدة بني اسرائيل وما سيتهمونها ويرمونها به من قول السوء « فقالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً » مع علمها بان الذي جاءها وبشرها به هو ملك من عند الله تعالى ولكن غلبت عليها الطبيعة البشرية فطاشت افكارها عند ما وقع الامر وقد جرت عادة



العقلاء انهم اذا فجاهاهم امر خارق او طارىء فزعوا به مع علمهم بإمكان حدوثه فاذا سكنت طباعهم المتوترة بذلك الطارىء تراجعوا الى ما هم فيه من الثبات وكذلك عادة الصالحين اذ طرأ عليهم امر عادي تمنى احدهم الزوال والموت قبل حدوثه فكيف بامر خارق للعادة مذهب لعقول العقلاء فما صدر من السيدة مريم لا يقدح في كمال عقلها ووفور قواها الفكرية ووثوقها بالله تعالى بل هو من ادل الدلائل على شدة ذكائها وتبصرها وقرأتها العواقب كيف وقد فجمت بامر حار فيه فريق عظيم من الناس وما خلا زمن من الأزمان من عهد ولادته الى الآن الا وجاه الوجود الالوف المؤلفة من الناس وهم في حيرة من شأنه وتضارب افكار بين مؤمن وكافر ومصديق ومكذب وممزه وقادح ففرعها بامر اذهل هذه الجموع الكثيرة لا يقدح في قواها الفكرية ولا يزيدا الا كمالاً واعتباراً بين العقلاء ومعلوم ان النساء العفيفات لا يتأمن من شيء مثل ما يتأمن من نسبتن الى البغاء وهن بريئات منه واذا كن يتأمن من النسبة اليه فكيف اذا حصل حمل لامرأة وليس هناك زوج فهذه لاشك وان يشتد حزنها ويكثر همها لما تخشاه من الفضيحة والمعرة اللاحقة بها وبقومها . والسيدة مريم اشتهرت بين قومها انها عذراء ما مسها رجل ولزمت المسجد متعبدة منقطعة الى الخدمة وليست من البيوت الوضيعة حتى لا تبالي بمحملها ووضعها مع عدم الزوج بل هي من البيوت الامراتيالية الشريفة التي يخذش شرفها ويدنس مجدها اي عارض سي . وكان قد تكفلها زكريا وهو نبي محترم في قومه معظم بين معاصريه فهي محاطة باسوار المجد والشرف من جميع جهاتها

ومن كانت هذه حالتها اذا رأت انها وضعت غلاماً من غير ان يمسه بشرة وعلمت ان قومها سيرمونها بالريبة لكونها جاءت بولد من غير الطريق المهود لا شك انها تحزن وتمتلئ هماً وغماً « فناداها » جبريل او عيسى « من تحتها » من جهة اسفل من الربوة التي هي عليها ان كان المنادي جبريل او من بين فخذها ان كان المنادي عيسى وهو الظاهر لتتفق البشارة من جبريل لها انها سترزق غلاماً زكياً يكون آية للناس فانطقه الله الذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره ليطمئن قلبها ويزول ما بها من هم وغم وتعلم انه آية دالة على قدرة الله تعالى سيكون له شأن عظيم وكان نداؤه « ان لا تحزني » اي لا يبجرك الخوف من قومك الى الحزن ومن مخاطبته لما تعلم انه سيدافع عنها بنطقه وهو في سن الطفولية والرضاع وهذا الذي سرّها وازال ما بها من الخوف فان الخائف ربما قتله الخوف فقد اجاع قوم نعمة ثم جاؤا لها بالعلف واحضروا لها ذئباً فممنها الخوف من الاكل فابعدوا الذئب عنها وكسروا رجلها وجاؤوا بالعلف فاكلت ولم يمنعها الألم فالخوف اشد من آلام الامراض والجروح وهذا الذي رحم الله السيدة مريم منه فانطق ولدها عيسى لينزل عنها الخوف . ولما كانت في مكان قفر لا ماء فيه وعطشت عطشاً شديداً تذكرت المكان وجدبه بعد ما زال عنها الخوف فناداها ايضاً بقوله ( قد جعل ربك تحمك سرياً ) اي قد انبع الله لك عين ماء يجري منها جدول صغير تحت الربوة التي انت عليها اشربي منه كلما عطشت . واذا جعت فميلي الى مكانك ( وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ) وهذا الجذع اليابس اذا اخضر واثر وطاب ثمره في وقت قريب حتى صار رطباً يجني

وبؤكل كان ذلك من الآيات المظمنة لك الدالة على قدرة الله تعالى الذي  
 خلقك وززقك بهذا الغلام المبارك ( فكلّي ) من هذا الرطب الجنّي  
 ( واشربي ) من ماء السريّ اي الجدول ( وقريّ عيناً ) اي لا تخافي من  
 شيء مما تنوهمينه فان الله تعالى سيصرفهم عنك ( فاما ترين من  
 البشر احدًا ) بمن يحومون حول هذا المكان او من المارين من قومك  
 وجاء ليكلمك او يسألك عن شأنك ( فقولي ) له ( اني نذرت للرحمن  
 صوماً » اي امساكاً عن الكلام « فان أكل اليوم انسيا » وقد امرت  
 بالصمت عن مجادلة السفهاء لان صون النفس عن السفهاء واجب واذل  
 الناس واحقرهم سفيه لم يجد من يسافه فانه لا يقطع لسان السفيه الا الصمت  
 عنه ولأن الله تعالى سينطق ولدها في مهده ليجادل عنها بني اسرائيل عند  
 طعنهم في عصمتها فامرت بالصمت لهاتين علتين ليكون ذلك ادل على شرفها  
 وادفع لخصومها . وهذا وان كان خاصاً بالسيدة مريم الا انه عام في تعليم  
 الادب ومحاسن الاخلاق ليلزم العقلاء الصمت اذا ابتلوا بمجادلة السفهاء  
 واتهامهم بما ليس فيهم من العيوب فالآية من الخاص المراد به العموم . ثم  
 تحولت من بيت لحم مكان ولادتها « فانت به » اي بابنها عيسى « قوموا تحمله »  
 على كتفها فاجتمع بها القوم وجعلوا ينظرونها متعجبين من مجيئها بولد تحمله على  
 كتفها وهم يعلمون انها ما تزوجت فلما ذهب بهم العجب كل مذهب « قالوا  
 يا مريم لقد جئت شيئاً فريباً » اي عظيماً منكرًا لم يعهد في بيتك ولا كان  
 يظن فيك « يا أخت هارون » نسبوا الى جدها الاعلى لاشتهارها بالصلاح  
 الذي اشتهر به هارون كما يقال لمن يكون من قريش يا اخا قريش اي يا واحدا

منهم الوانهم نسبوها الى هارون اخيها وكان صالحاً كما كان ابواها بدليل قولهم «ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا» واذا كان ابوك صالحاً لم يقارف السيئات وامك عفيفة لم تبغ برجل غير زوجها واخوك صالحاً متعبدا فكيف صرت الى حالة تخالفينهم فيها . والذم بهذه الصورة اقبح واشنع فان القادخ لو قال لمن يذمه يا ابن الادياء السفهاء الضالين كيف ضللت وفسقت لم يكن ذلك مساوياً لقول الآخر يا ابن الانقياء الصالحين وسلالة الانبياء والمرسلين واخا البررة الظاهرين كيف تركت سبيل قومك وخالفت سير آباءك وركبت من الفسوق والضلال ما دنست به مجد آباءك وهذا هو الطريق الذي التزمه بنو اسرائيل لزيادة تبكيت السيدة مريم البريئة من كل ريبة فلما رأت تعصبهم عليها وان كلامها لا يدفع عنها الريبة ولا يكون حجة على طهارتها مع رؤيتهم الولد على كتفها وعلمت ان ولدها كلها قبل ذلك حين ناداها من تحتها ابقت ان لا يرهان اعظم من نطق طفل يدافع عن أمه (فاشارت اليه) اي اشارت اليهم ان كلموا ولدي هذا فانه يخبركم عن حقيقته فظنوا انها تسخر وتهزأ بهم وامتلاؤا غيظاً و(قالوا كيف تكلم من كان في المهد صبياً) اي ان هذا طفل صغير لم يبلغ الكلام فكيف تحيلينا عليه وهو ليس اهلاً للكلام ولا يعقل الخطاب فلما سمع منهم سيدنا عيسى افتراءهم على والدته (قال اني عبد الله) اني عبد مخلوق لله تعالى مثلكم مكون من جسد مركب وروح معرك لاعضائي فلا ينكر تكويني الا من يشكر تكوين نفسه فان القادر على خلق الانسان من ماء ين بطريق التلقين قادر على خلق انسان من ماء واحد هو ماء أمي التي لم تزن ولم تأب بفاحشة واذا جاز الله

تعالى ان يخلق الانسان من مادة ابوين ومن مادة واحد لكونه فاعلاً مختاراً غير مقيد بالقوانين العادية والوسائط الانفعالية وقد خافني من غير احتياج للتفجيع بماه الاب فاذا عبد مخلوق مثلكم لا غرابة في تكويني ولا يرتاب في شأني الا جاهل بقدره الله تعالى واقف عند الظواهر والمحسوسات فان اختراع المادة الاولى اصعب من اختراعي على صورة شاركت فيها نوعي الكثير العدد

غ

ان كثيراً من الطوائف يقولون بالحلل او بالاتحاد او بالتبني كفر يق من البوذية والقائلين بالهية علي بن ابي طالب والحاكم الفاطمي وغيرهم والي وان كنت لا اجهل اعتقادي ولا انكر عليك اعتقادك الذي خالفني فيه ولكنني اطلب منك ان تقدم لي شيئاً من براهينكم التي تتخذونها حجة على عدم جواز الاتحاد او الحلل فاني كثيراً ما اطالع في كتبكم وارى علماءكم يكفرون طوائف القول بالحلل والاتحاد من قدماء الهند والعرب والمحدثين بعد الاسلام فهات ما عندك من العقليات التي اشاركك في فهمها وبشاركنا فيها كل عاقل تجرد عن التعصب والتقليد بلا دليل

ش

تعلم ان لنا كلاماً طويلاً في هذا الباب لا يختص بطائفة معينة ولا يقوم مخصوصين وانما عند ما نتكلم على صفات الله تعالى نقرر تزييه عن النقائص ومخالفته لجميع خلقه فيدخل الكلام على استحالة الحلل والاتحاد ضمناً ونعلم ان جميع طوائف العالم ينزهون الاله عن الجسمية والتعيز ولهذا

يقول علماءنا ان الاتحاد لا يعقل لان الشيثيين اذا اتحدوا فيها حال الاتحاد اما ان يكونا موجودين او معدومين او يكون احدهما موجوداً والآخر معدوماً فان كانا موجودين فهما اثنان لا واحد فالاتحاد باطل وان عدما وحصل ثالث فهو لا يكون اتحاداً بل يكون قولاً بعدم ذينك الشيثيين وحصول شيء ثالث وان بقي احدهما وعدم الآخر فالمعدوم يستحيل ان يتحد بالوجود لانه يستحيل ان يقال المعدوم بعينه هو الموجود فظهر من هذا البرهان ان الاتحاد محال . وكذلك يقولون ان الحلول غير معقول ولا متصور بصورة من صور الادراك العقلي فان التصديق مسبوق بالتصور فلا بد من البحث عن ماهية الحلول حتى يمكننا ان نعلم انه هل يصح على الله تعالى او لا يصح وذكرنا للحلول تفسيرات ثلاثة احدها كون الشيء في غيره ككون ماء الورد في الورد والدهن في السمسم والثار في الفغم وهذا باطل لان هذا انما يصح لو كان الله تعالى جسماً وجميع الطوائف يقولون انه تعالى ليس بجسم . وثانيها حصوله في الشيء على مثال حصول اللون في الجسم فنقول المعقول من هذه التبعية حصول اللون في ذلك الحيز تبعاً لحصول محله فيه وهذا ايضاً انما يعقل في حق الاجسام لا في حق الله تعالى . وثالثها حصوله في الشيء على مثال حصول الصفات الاضافية للذوات فنقول هذا ايضاً باطل لان المعقول من هذه التبعية الاحتياج فلو كان الله تعالى في شيء بهذا المعنى لكان محتاجاً فيكون ممكناً فكان مفترقاً الى المؤثر وذلك محال . واذا ثبت انه لا يمكن تفسير هذا الحلول بمعنى ملخص يمكن اثباته في حق الله تعالى امتنع اثباته . وقد اخرج علماء التوحيد على نفي الحلول مطلقاً بان قالوا لو حل الاله في جسم حل اما مع

وجوب ان يحل او مع جواز ان يحل والقسمان باطلاق فالقول بالحلول باطل  
وانما قلنا انه لا يجوز ان يحل مع وجوب ان يحل لان ذلك يقتضي اما حدوث  
الله تعالى او قدم المحل وكلاهما باطلاق لأننا دللنا على ان الله تعالى قديم وعلى  
ان الجسم محدث ولانه لو حل مع وجوب ان يحل لكان محتاجاً الى المحل  
والمحتاج الى الغير يمكن لذاته والممكن لذاته لا يكون واجباً لذاته وانما قلنا انه  
لا يجوز ان يحل مع جواز ان يحل لانه لما كانت ذاته واجبة الوجود لذاتها  
وحلوله في المحل امر جائز والموصوف بالوجوب غير ما هو موصوف بالجواز  
فيلزم ان يكون حلوله في المحل امراً زائداً على ذاته وذلك محال لوجهين .  
احدهما ان حلوله في المحل لو كان زائداً على ذاته لكان حلول ذلك الزائد  
في محله زائداً على ذاته ولزم التسلسل وهو محال . وثانيها ان حلوله في ذلك  
المحل لما كان زائداً على ذاته فاذا حل في محل وجب ان يحل فيه صفة  
محدثة وذلك محال لانه لو كان قابلاً للحوادث لكانت تلك القابلية من  
لوازم ذاته وكانت حاصلة ازلاً وذلك محال لان وجود الحوادث في الازل  
محال فمحصول قابليتها وجب ان يكون ممنوع الحصول . فان قيل لم لا يجوز  
ان يحل مع وجوب ان يحل لانه يلزم اما حدوث الحال او قدم المحل قلنا  
لا نسلم وجوب احد الامرين ولم لا يجوز ان يقال ان ذاته تقتضي الحلول بشرط  
وجود المحل ففني الازل ما وجد المحل فلم يوجد شرط هذا الوجوب فلا جرم  
لم يجب الحلول وفيما لا يزال حصل هذا الشرط فلا جرم وجب سلمنا انه يلزم  
اما حدوث الحال او قدم المحل فلم لا يجوز قوله انا دللنا على حدوث الاجسام  
قلنا لم لا يجوز ان يكون محله ليس بجسم ولكنه يكون عقلاً او نفساً او

هيولي على ما يثبتهم بعضهم ودليلكم على حدوث الاجسام لا يقبل حدوث هذه الاشيا قوله ثانياً لو حل مع وجوب ان يحل لكان محتاجاً الى الحل قلنا لا نسلم وجوب احد الامرين بل ههنا احتمالان آخران احدهما ان العلة وان امتنع انفكاكها عن المعلول لكنها لا تكون محتاجة الى المعلول فلم لا يجوز ان يقال ان ذاته غنية عن ذلك الحل ولكن ذاته توجب حلول نفسها في ذلك المعلول فيكون وجوب حلولها في ذلك الحل من معلومات ذاته وقد ثبت ان العلة وان استحال انفكاكها عن المعلول لكن ذلك لا يقتضي احتياجها الى المعلول . ثانيها ان يقال انه في ذاته يكون غنياً عن الحل وعن الحلول الا ان الحل بوجوب لذاته صفة الحلول فالفتقر الى الحل صفة من صفاته وهي حلوله في ذلك الحل فاما ذاته فلا . ولا يلزم من افتقار صفة من صفاته الاضافية الى الغير افتقار ذاته الى الغير وذلك لان جميع الصفات الاضافية الحاصلة له مثل كونه اولاً وآخرًا ومقارناً ومؤثراً ومعلوماً ومذكوراً مما لا يتحقق الا عند حصول التحيز وكيف لا والاضافات لا بد في تحققها من امرين سلمنا ذلك فلم لا يجوز ان يحل مع جوزان يحل . قوله يلزم ان يكون حلوله فيه زائداً عليه ويلزم التسلسل قلنا حلوله في الحل لما كان جائزاً كان حلوله في الحل زائداً عليه اما كون ذلك الحلول حالاً في الحل امر واجب فلا يلزم ان يكون حلول الحلول زائداً عليه فلا يلزم التسلسل . قوله ثانياً يلزم ان يصير محل الحوادث قلنا لم يجوز ذلك . قوله يلزم ان يكون قابلاً للحوادث في الازل قلنا لاشك ان تمكنه من الابدان ثابت له اما لذاته اولاً



ينتهي الى ذاته وكيف كان فيازم صحة كونه مؤثراً في الأزل فكل ما ذكر في  
المؤثرية فنحن نذكره في القابلية . وجوابنا عن هذا كله ان نقرر هذه الدلالة  
على وجه آخر بحيث تسقط عنها هذه الاسئلة فنقول ذاته اما ان تكون كافية  
في اقتضاء هذا الحلول او لا تكون كافية في ذلك فان كان الاول استعمال  
توقف ذلك الاقتضاء على حصول شرط فيعود ما قلنا انه يازم اما قدم المحل  
او حدوث الحال . وان كان الثاني كان كونه مقتضياً لذلك الحلول امراً  
زائداً على ذاته حادثاً فيه فعلى التقديرات كلها يازم من حدوث حلولة في  
محل حدوث شيء فيه لكن يستحيل ان يكون قابلاً للحوادث والازم ان  
يكون في الازل قابلاً لها وهو محال . واما المعارضة بالقدرة فغير واردة لانه  
تعالى لذاته قادر على اليجاد في الازل فهو قادر على اليجاد فيما لا يزال فهبنا  
لو كانت ذاته قابلة للحوادث لكانت في الازل قابلة لها فحينئذ يازم المحال  
المذكور . وايضاً فان اصحاب القول بالحلول وافقونا على ان ذاته تعالى لم  
تحل في ناسوت عليّ او ناسوت اي شخص على رأي القرامطة او شخص معين  
على رأي غيرهم بل قالوا ان الحال في الناسوت هي الكلمة والمراد من الكلمة  
العلم فنقول العلم لما حل في ناسوت معين ففي تلك الحالة اما ان يقال انه بقي  
في ذات الله تعالى او ما بقي فيها فان كان الاول لزم حصول الصفة الواحدة  
في محابن وذلك غير معقول ولانه لو جاز ان يقال العلم الحاصل في ذات  
فلان هو العلم الحاصل في ذات الله تعالى فلم لا يجوز في حق كحل واحد ذلك  
حتى يكون العلم الحاصل لكل واحد هو العلم الحاصل لذات الله تعالى . وان  
كان الثاني لزم ان يقال ان الله تعالى لم يبق عالماً بعد حلول علمه في ذات

فلان وذلك مما لا يقوله عاقل . وايضاً فان الذات التي ادعى الحلول فيها لا تخلو اما ان تكون قديمة او محدثة والقول بالقدم باطل لانا نعلم بالضرورة ان صاحبها ولد وكان طفلاً ثم صار شاباً وكان يا كل ويشرب ويتغوط وينام ويمرض له ما يعرض لسائر الاجسام البشرية . وان كانت محدثة كانت مغلوقة فتكون حادثة فلا تكون معللاً لتقديم يفايرها . فان قيل معنى كون الذات الانسانية الها ان الله تعالى خص نفسه او بدنه بالقدرة على خلق الاجسام والتصرف في العالم . قلنا يلزم على ذلك انه لا يغلب ولا يقهر احد لاقتداره على التصرف في العالم بما يشاء وجميع من ادعى عليهم بالحلول او الاتحاد او الالهية المحضة قتلوا فلو كانوا الهة لدفعوا عن انفسهم ومارضوا لانفسهم العجز ووقوعهم في الالهانة وتسايط احقر العبيد عليهم فعلياً قتل ابن عليج والحاكم قتل عبيد اخته وغيره قتل قوم ضعفاء ولو تتبعنا المدعى عليهم هذه الدعوة شرقاً وغرباً اوجدنا كلاً منهم أصيب بما يكذب المدعين عليه ويثبت عبوديته المحضة ومساواته الحوادث في كل ما يعرض للانسان . لا يقال ان المدعى عليه رضي بذلك لنفسه على ان قائله خلقه وعبيده فانا نقول لو كانوا خالقهم وعبيدهم لدفعهم عن نفسه فان دفعهم اسهل من خلقهم فاما لم يقدر على ذلك علمنا انه عبد مخلوق اوقعه ضعفه في يد من هو اقوى منه فوقع به وفتك ومثل وهو عاجز عن وقاية نفسه - وكما نحيل الحلول والاتحاد نحيل التعدد فنرد على المجوس القائلين بالثنائية وعلى من قال بقولهم باننا لو فرضنا موجودين يكون كل واحد منهما واجبا لذاته لكانا مشتركين في الوجود الذاتي ومتباينين بالتعين وما به

المشاركة غير ما به المباينة فكل واحد منها مركب من جزأين وكل مركب فهو ممكن وبهذا يعلم ان القول بان واجب الوجود اكثر من واحد ينفي القول بكونها واجبي الوجود . ثم انه لا يخذوا اما ان يقوى احدهما على مخالفة الآخر اولا يقوى فان لم يقو عليه فهو ضعيف وان قوى فالآخران لم يقو على الدفع فهو ضعيف وان قوى عليه فالاول مغلوب فلا يكون الها . ولو كان اله للغير واله للشر او هناك الهان يتبادلان الابدان والاعدام وحاول احدهما فعل شيء والآخر تركه امتنع كون احدهما اولى بالفعل من الثاني لان الفعل الواحد والترك الواحد لا يقبل القسمة اصلا ولا التفاوت واذا كان كذلك امتنع ان تكون القدرة على احدهما اكمل من القدرة على الثاني واذا ثبت هذا امتنع كون احدي القدرتين اولى بالتاثير من الثانية . واذا ثبت هذا فاما ان يحصل مراد كل واحد منها وهو محال اولا يحصل مراد كل منها وهو محال اولا يحصل مراد واحدا منها البتة فبعينئذ يكون كل واحد منها عاجزا والعاجز لا يكون الها فثبت ان كونها اثنين ينفي كون كل واحد منها الها لانه لو كان كل واحد منها قادرا على ما لانهاية له امتنع كون احدهما اقدر من الآخر بل لا بد وان يستويا في القدرة واذا استويا في القدرة استعمال ان يصير مراد احدهما اولى بالوقوع من مراد الثاني والالزم ترجيح الممكن من غير مرجح . واذا وقع مراد احدهما دون الآخر فالذي وقع مراده يكون قادرا والذي لم يقع مراده يكون عاجزا والعجز نقص والنقص على الله تعالى محال . ولو فرضنا الهين فاما ان يتفقا او يختلفا فان انفقا على الشيء الواحد فذلك الواحد مقدور لها ومراد لها فيازم وقوعه بها وهو محال وان

اختلفا فاما ان يقع المراد ان اولا يقع واحد منها او يقع احدهما دون الآخر  
والكل معال . فان قيل لم لا يجوز ان يتفقا على الشيء الواحد ولا يلزم  
محدوران المحدور انما يلزم لو اراد كل واحد منها ان يوجد هو وهذا  
اختلاف اما اذا اراد كل واحد منها ان يكون الموجد له احدهما بعينه فهناك  
لا يلزم وقوع مخلوق بين خالقين قلنا كونه موجداً له اما ان يكون نفس القدرة  
او الارادة او نفس ذلك الاثر او امراً ثالثاً فان كان الاول لزم الاشتراك في  
القدرة والارادة والاشترك في الموجد . وان كان الثاني فليس وقوع ذلك  
الاثر بقدرة احدها و ارادته اولى من وقوعه بقدرة الثاني لان لكل واحد  
منها ارادة مستقلة بالتأثير . وان كان الثالث فذلك الثالث ان كان قديماً  
استحال كونه متعلق الارادة وان كان حادثاً فهو نفس الاثر . فاذا وقفت  
على حقيقة هذه الادلة عرفت ان جميع ما في هذا العالم العلوي والسفلي من  
المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن المشيل  
والشريك والحلول والاتحاد فيبطلان قول اللاتينية القائلين بالله حكيم  
يفعل الخيروا له سفيه يفعل الشر لامية فيه وكذلك قول القائلين بما فوق  
الاثنين كعبدة الكواكب القائلين ان هذه الافلاك والكواكب اجسام واجبة  
الوجود لذواتها ويمتنع عايبها العدم والفناء وهي المدبرة لاحوال هذا العالم  
السفلي وهؤلاء هم الدهرية والذي ادهم لهذا القول انهم رأوا تغيرات احوال  
هذا العالم الاسفل مربوطة بتغيرات احوال الكواكب فبجسب قرب الشمس  
وبعداها من سمت الرأس تحدث الفصول وبسبب حدوثها تحدث الاحوال  
المختلفة في هذا العالم ثم انهم رصدوا احوال سائر الكواكب فاعتقدوا ارتباط

السعادة والنعموس بكيفية وقوعها في طوابع الناس على احوال مختلفة فلما اعتقدوا ذلك غلب على ظنون اكثر الخلق السابقين ان مبدأ حدوث الحوادث في هذا العالم هو الاتصالات الفلكية والمناسبات الكوكبية فلما اعتقدوا ذلك بالغوا في تعظيمها ثم منهم من اعتقد انها واجبة الوجود لذواتها ومنهم من اعتقد حدوثها وكونها مخلوقة للاله الاكبر الا انهم قالوا انها وان كانت مخلوقة للاله الاكبر فانها هي المدبرة لاحوال هذا العالم . ثم انهم لما رأوا ان هذه الكواكب قد تعيب عن الابصار في اكثر الاوقات اتخذوا لكل كوكب صنماً من الجوهر المنسوب ثم عبدوا الاصنام وغرضهم من عبادتها عبادة الكواكب والتقرب اليها . فدين عبادة الاصنام اقدم دين في العالم وكانت فائدة الرسل ابطال تلك العقائد الفاسدة واقامة الادلة القاطعة على حدوث الكواكب واحتياجها الى مدبر حافظ لحركتها مقدر لصورها واجرامها ومرا كزها وابعادها ونقارها وتباعدها واتصالاتها رابط لهذه العوارض بما ينشأ عنها في ذواتها وما تحتها من العوالم وبهذه الادلة ابطالوا كل قول يقول بالاثينية والتثليث او الكثرة واقاموا البراهين على وحدانية الله تعالى باعتبارين الاول ان ذاته العلية ليست مركبة من اجتماع امور كثيرة . والثاني انه ليس في الوجود ما يشاركه في كونه واجب الوجود وفي كونه مبدا لوجود جميع الكائنات . والجوهر الفرد ان كان واحداً من حيث عدم تركبه من اجتماع امور كثيرة فليس واحداً من حيث عدم وجود ما يشاركه في كونه جوهر فرداً وليس هو مبدا للكائنات . وبرهان ثبوت الوحدة انه لو كان الاله مركباً لافتقر تحققه الى تحقق كل واحد من اجزائه وكل واحد من اجزائه غيره فكل

مركب فهو مفتقر الى غيره وكل مفتقر الى غيره ممكن لذاته واجب لغيره فهو مركب فهو مفتقر الى غيره ممكن لذاته فما لا يكون كذلك استعمال ان يكون مركبا فاذا حقيقة الله تعالى حقيقة احدية فردية لا كثرة فيها بوجه من الوجوه والوحدة بهذا المعنى ليست خاصة بذات الحق لان الموجودات الممكنة اما مفردات او مركبات والمركب لا بد فيه من المفردات فثبت ان هناك مفردات في عالم الممكنات وانما الخاصة به وحدة عدم مشاركة غيره له في كونه واجب الوجود وفي كونه مبدأ لوجود جميع الكائنات فلا يشاركه في هذا النعت سواء . ولك ان نقول في اثبات وحدانيته تعالى انه تعالى واحد في ذاته لا قسم له . وواحد في صفاته لا تشبيه له . وواحد في افعاله لا شريك له . اما انه واحد في ذاته فلان تلك الذات المخصوصة المشار اليها بقولنا هو الله تعالى اما ان تكون حاصلة في شخص آخر سواء اولاتكون فان كانت حاصلة في شخص آخر كان امتياز ذاته المعينة عن المعنى الآخر لا بد وان يكون بقيد زائد فيكون هو في نفسه مركبا بما به الاشتراك وما به الامتياز فيكون ممكنا معلولا مفتقرا وذلك محال . وان لم يكن كذلك ثبت انه واحد في ذاته لا قسم له . واما انه واحد في صفاته فلان موصوفيته سبحانه وتعالى بصفات متميزة عن موصوفية غيره بصفاته من خمسة وجوه الاول ان كل ما عداه لا يكون حصول صفاته له من نفسه بل من غيره والله تعالى يستحق حصول صفاته لنفسه لا لغيره . الثاني ان صفات غيره تعالى مخصصة بزمان دون زمان لانها حادثه وصفات الله تعالى لا تختص بزمان لكونها قديمة . الثالث ان صفاته تعالى غير متناهية بحسب المتعلقات فان علمه متعلق بجميع المعلومات وقدرته متعلقة بجميع المقدورات بخلاف

صفات غيره فانها متناهية . الرابع ان موصوفية ذاته بتلك الصفات ليس  
بمعنى كونها حالة في ذاته ولا بمعنى كون ذاته محلاً لها ولا بمعنى كون ذاته  
مستكملة بها لان الذات كالمبدأ لتلك الصفات فلو كانت الذات مستكملة  
بالصفات لكان المبدأ ناقصاً لذاته مستكملاً بالممكن لذاته وهو محال بل ذاته  
مستكملة لذاته ومن لوازم الاستكمال الذاتي تحقق صفات الكمال معه . الخامس  
انه لا خبر عند العقول من كنه صفاته كما لا خبر عندها من كنه ذاته وذلك  
لانا لا نعرف من علمه الا انه الامر الذي لاجله ظهر الامر بحكام والالتقان في  
عالم الخلوقات فالمعلوم من علمه انه امر . لا ندري انه ما هو ولكن نعلم منه انه  
يلزم هذا الامر المحسوس وكذلك القول في كونه قادراً وحياً . واما انه تعالى  
واحد في افعاله فظاهر لان الوجود اما واجب واما ممكن فالواجب هو هو  
والممكن ما عداه وكل ما كان ممكناً فانه يجوز ان لا يوجد مالم يتصل بالواجب  
ولا يختلف هذا الحكم باختلاف اقسام الممكنات سواء كان ملكاً او فلکاً  
او فعلاً للعباد او غير ذلك فثبت ان كل ما عداه تعالى فهو ملكه وتحت  
تصرفه وقهره وقدرته واستيلائه لا يشاركه في ذلك احد ولا يماثله ولا ينازعه  
ولا يتعاضى عاينه اي ممكن كان في اي امر اراده منه والى هنا ينقطع الفكر  
عن البحث في ذاته تعالى لعدم الوصول الى ذلك فقد علمنا مغايرتها لكل  
من الممكنات وكل حادث في الفكر من التصورات الذهنية فانه ممكن والله  
تعالى واجب الوجود لذاته مغاير لهذه الممكنات المتصورة فلم يبق الا انه واحد  
لا يمثل ولا يحل في ذات ولا يتعد بذات ولا يدخل في اية دائرة من دوائر  
الممكنات لتنزهه عن المكان والتعيز وتحقيقه بمعية والحكم له واحد لا اله الا

هو لو كان معه آلهة كما تقولون اذا لا بتغوا الى ذي العرش سبيلا . وجميع طوائف العالم تسعى خلف توحيد الله تعالى وتنزيهه عن مماثلة ابي كائن من خلقه ويثبتون انه تعالى غير متميز ولا قائم بالتميز ولا يافتنون لمن يقول ان هناك موجودات لا متميزة ولا قائمة بالتميز فتكون مثلاً لله تعالى لانه ثبت ان صانع العالم واجب الوجود لذاته فيستحيل وجود موجود آخر واجب لذاته والا لا مشتركاً في الوجوب وامتاز كل واحد منها عن الآخر بخصوصيته وما به المشاركة غير ما به الممايزة فيكون كل واحد منها مركباً عما به المشاركة وعما به الممايزة وكل مركب ممكن مفتقر الى جزئه . ثم ان الجزأين ان كانا واجبين كانا مشتركين في الوجوب ومتميزين باعتبار آخر فيايزم تركب كل واحد منها ايضاً ويلزم التسلسل وهو محال وان لم يكونا واجبين فالمركب عنها المفتقر اليها اولى ان لا يكون واجباً فثبت ان واجب الوجود واحد وان كل ما عداه فهو ممكن وكل ممكن فلا بد له من مرجع وافتقاره الى المرجح اما حال عدمه او حال وجوده فان كان حال عدمه ثبت انه محدث وان كان حال وجوده فافتقار الموجود الى المؤثر اما حال حدوثه او حال بقائه والثاني باطل لانه يلزم ايجاد الموجود وهو محال فثبت ان الافتقار لا يحصل الا حال الحدوث . وثبت ان كل ما سوي الله تعالى محدث سواء كان متميزاً او قائماً بالتميز او لا متميزاً ولا قائماً بالتميز واذا ثبت هذا استحال الحلول والاتحاد ذاتاً وصفة واستحالت البنية والأبوة من باب اولى فان العقل لا يسم بها لاول سماعها ممن غير نظر ولا استدلال لان الرائد اما ان يكون قديماً او محدثاً ولا يجوز ان يكون قديماً لان القديم يجب كونه واجب الوجود لذاته وما كان



واجب الوجود لذاته كان غنياً عن غيره فامتنع كونه ولداً لغيره فبقي انه لو كان ولداً لوجب كونه حادثاً فنقول انه تعالى عالم بجميع المعلومات فلما ان يعلم ان له في تحصيل الولد كمالاً ونفعاً او يعلم ان لا كمال فيه ولا نفع فان كان الاول فلا وقت يفرض ان الله تعالى خلق هذا الولد فيه الاً والداعي الى ايجاد هذا الولد كان حاصلًا قبل ذلك ومتى كان الداعي الى ايجاده حاصلًا قبله وجب حصول الولد قبل ذلك وهذا يوجب كون ذلك الولد ازلياً وهو محال . وان كان الثاني فقد ثبت انه تعالى عالم ليس له في تحصيله كمال خال ولا ازدياد مرتبة في الالهية واذا كان الامر كذلك وجب ان لا يحدثه البتة في وقت من الاوقات . وهناك ادلة اخرى يطول شرحها اوهاها يحيل التبني على اية صورة فان الله تعالى خلق السموات والارض من غير سابقة مادة ولا مدة ولم يلزم من عدم توسط المادة في خلقها تبنيه لها فكذلك كل ذات جاءت من طريق يخالف العادة فان نسبتها اليه كنسبة بقية المخلوقات . من حيث العبودية والافتقار اليه . هذا ما قاله علماءنا في هذا الباب وهو العقيدة الحقة عند المسلمين على اختلاف مذاهبهم واما من يدعون ان علياً إلهاً او ان الإله حل فيه او ان روح الله حلت فيه او ان الله اتحد به ومن يقولون بذلك في جانب الحاكم بأمر الله الناطقي ومن يقولون بذلك من القرامطة وغيرهم فانهم ليسوا من المسلمين بل نكفروهم وان صلوا الى قبلتنا وتعدوا بعبادتنا . واعتقاد المسلمين عامة ان سيدنا عيسى نبي ورسول يجب احترامه وتَعْظِيْمُه وتَنْزِيْهُه عن الكذب والخيانة والبلادة وكتمان شيء مما امره الله تعالى بتبليغه ويكفر من يسبه او ينتقص قدره او يكذبه او يمتقد انه غير رسول فتَعْظِيْمُه

حكم نبينا وبقية الانبياء في التعظيم والاحترام والايان به ونعتقد ان الانجيل  
الذي اوحاه الله تعالى اليه كتاب سماوي بلغه اليه جبريل كما يبلغ التوراة  
الى موسى والقرآن الى محمد عليهم الصلاة والسلام

١٧ غ

لي مملك كلام في هذا المقام اقدمه اليك بعد ان نفرغ من هذا التأسيس  
فهاث الان بقية خبر الدعوة العيسوية لخاص الى الدرعة المعمدية والتأصيل  
العربي المقصود بالذات

ش

بعد ان خاطبهم المسيح عليه السلام يانه عبد الله تبرئة لامة لزم حالة  
الاطفال فلم يتكلم حتى بلغ السن الذي يتكلم فيه الطفل وقد اختلفت كلمة  
بني اسرائيل فيه وفي امه فتارة يتهمونها بزكريا وتارة بيوسف بن يعقوب  
النجار وكثر لعظهم وعلت كلمتهم وجاهر البعض بوجوب قتله والبعض بوجوب  
قتل زكريا وبلغ الاختلاف بينهم مبلغاً كبيراً قيل انه وصل ملكهم هيرودس  
فعزم على قتله فاحتمله يوسف النجار مع امه على اذان وقصد مصر خوفاً عليه  
من القتل وفي مصر تربى سيدنا عيسى حتى بلغ اثنتي عشرة سنة وظهرت له  
بها ارهاصات لنبوته فكان في المكتب يخبر الصبيان بما يصنع اهلوم وبما  
كانوا ياكلون وله قصص كثيرة في مصر مدة اقامته بها كقصه الصباغ  
والتاجر وغيرها مما يطول سرده ولا ينكر مثله على الانبياء الاضعفاء العقول  
ولما مات هيرودس خرجت به امه من مصر قاصدة سورية فما زالت تسير في  
الاوردية وقرى الساحلية والناس تكرمها لكرامة ابنها وما يرونه منه من

العجائب حتى جاءت قرية الناصرة فنزلت بها واقام فيها سيدنا عيسى حتى بلغ الثلاثين من عمره فوحى الله تعالى اليه ان يخرج ويدعو الناس الى عبادة الله تعالى وتوحيده فنادى بين الناس بالدعاء الى الحق واتباعه فيما جاء به من الشريعة واطهر من المعجزات خوارق بهرت العقول ودلت على صدقه فيما جاء به كداواة الاكمة والابصر والزمني فاحبه الناس واتبعوه كثير منهم وحضر يوماً طهماً عند عظيم فقعد يأكل من اناه ولا ينقص فقال له صاحب الدار من انت قال انا عيسى ابن مريم رسول الله فاتبعه مع نفر من قومه واتخذ له حوارين اثني عشر رجلاً فكانوا اذا جاعوا او عطشوا قالوا له قد جعنا وعطشنا فيضرب يده الى الارض فيخرج لكل انسان منهم رغيفان وماء يشربون وقالوا له يوماً من افضل منا اذا شئنا الطعام اطعمتنا واذا شئنا الشراب سقيتنا فقال لهم افضل منكم من يأكل من كسب يده فصاروا يفسلون الثياب بالاجرة وكان من معجزاته انه صور صورة من الطين ثم نفخ فيها وسأل الله تعالى طيراتها فطارت وكان له صديق اسمه عازر فمرض فارسلت اخته الى عيسى ان عازر يموت فسار اليه وقد مات منذ ثلاثة ايام فأتى قبره ودعا الله تعالى فاحياه واحيا امرأة وعاشت واحيا سام بن نوح وعزير النبي وغيرهم فكانت عجائبه من فوق المدارك ومن وراء العقول ومن علم ان الله تعالى فاعل مختار وانه يؤيد رسله بما يشاء فان عليه فهم ما صدر من سيدنا عيسى فانه من قبيل دخول سيدنا ابراهيم النار وخروجه منها حياً ملتفاً بردائه لم يحترق له ثوب ولا عضو وضرب موسى الحجر بعصاه وقلب العصا حية واليد بيضاً ونبع الماء من الحجر وانزال

المن والسلوى على قومه وخروج زفة سيدنا صالح من الجبل وغير ذلك مما هو مسطور في الكتب من معجزات الانبياء التي كلها خوارق غاية ما في الباب ان الله تعالى ينوع المعجزات بحسب كل زمن وما غلب على اهله فيه وقد اخلص بي اتباع سيدنا عيسى وخدمته الحواريون سمعان واخوه اندراوس . يعقوب . ويوحنا . وفيلبس . وبرتولوماوس . وتوما . ومتي . ويعقوب بن خلفا . وتداوس . وسمعان القناني . ويهوذا الاسخريوطي . وكان اجتماع يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) به بشاطىء الاردن من ارض اريحا فعنده هناك وانقطع سيدنا عيسى للعبادة والصلاة والرهبانة في برية اريحا وبظهور خبره وخبر اتباعه قبض هيردوس الصغير على يوحنا وقتله لانكاره عليه امرأاً لا تجيزه الشريعة ودفن بارض نابلس ببلد يقال له بسبسطية وبعض الناس يقول ان راسه بدمشق وزراعه ببيروت بمسجد هناك وجثته بسبسطية واشتهر ذلك بين الناس حتى صار له ثلاثة اضرحة في الاماكن الثلاثة . وبهذا ظهرت شريعته وانتشر خبرها في بني اسرائيل وجميع البلاد الشامية واخذ سيدنا عيسى يشرع الصلاة والصوم والقربات الى الله تعالى وبين الحلال والحرام وبأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويبلغ الناس ما ارسل به من احكام الانجيل فتبمه كثير من بني اسرائيل وخافه رؤساؤهم حرصاً على دينهم الذي يذهب بظهور دعوته الناصحة له فتآمروا عليه واختالفت آراؤهم فجمع سيدنا عيسى الحواريين فباتوا عنده ليلتين يطعمهم ويبالغ في خدمتهم بما استعظموه وقال لهم انما فعلت ذلك لتناسوا به ثم قال ليكفرون بي بعضكم قبل ان يصيح اليك ثلاثاً ويبيعي احدكم بشمن بخس

ثم افرقوا وكان بنوا اسرائيل اتبعوا اثرهم ووقفوا لهم بالمرصاد  
ايقبضوا عليهم فعاثوا بشمعون وهموا بقتله فتبرأ منهم وهذا الذي اشار اليه  
سيدنا عيسى انه يكفر به قبل ان يصبح الديك وبهذا تخلص شمعون من بني  
اسرائيل ثم جاءهم يهوذا الاسخريوطي وعامدهم على ان يدلهم على مكان سيدنا  
عيسى ويسلمه اليهم بدرهم اشترطها عليهم وهذا الذي اخبر عنه سيدنا عيسى  
انه يبيعه بثمن بخس وياكل ثمنه وكان سيدنا عيسى اخبر الحواريين بانهم يشبهون  
لبني اسرائيل ولا يبالون به بسوء فلما دلهم يهوذا على مكانه اخذوه وجاؤا به قائد  
القيصر الموجود وقالوا له هذا يفسد ديننا ويحل نواامسنا وبدعي الملك فاقبله  
ليبقى ديننا لنا ويبقى الملك للقيصر مع ان سيدنا عيسى ما يطلب الملك ولا  
تعرض للملك وانما جاءهم بدعوة حقبة كما جاءهم موسى ولكن جرت عادة  
الانسان ان يدافع عن معتقده وينكر على من يدعو الى غيره باذى بدء  
فلذا اكبر الاسرائيليون امر سيدنا عيسى وانكروا عليه تغيير بعض احكام  
التوراة ونسخها بالانجيل وكانوا يظنون ان لاني بعد انبيهم موسى عليه  
السلام وعندما طلبوا من القائد قتله توقف فتوجهه بابلاغ الامر الى القيصر  
فامر بقتله . وهنا وقع الخلاف بيننا وبينكم فنحن نقول انه شبه لقاتليه واما  
ذاته فانها رفعت الى السماء وهو حي فيها وانتم تقولون انه صلب . ومعلوم اننا  
لا نخالف القرآن برأيي ولا خبر راوي بل نهتمد صحته وصدق خبره في كل ما  
جاء به من القصص والاخبار وقد اخبرنا الله تعالى فيه بقوله « وما قتلوه وما  
صلبوه ولكن شبه لهم » فهذه الاية هي حجتنا ودليلنا فلذا قلنا انه بعد صلب  
الشبه جاءت السيدة مريم عند الحشبة تبكي فجاها سيدنا عيسى وقال لها ما

ببيك قالت ابكي عليك قال ان الله تعال رفعني ولم يصبني شيء وهذا الذي تربته شيء شبه لم فقولي للحوار بين بلقوني بمكان كذا فاطمأنت وذهب ما بها من الحزن ثم انها دعت الحوار بين اليها واخبرتهم بما قاله وبالمكان الذي يريد ان يلقاهم فيه فانطلقوا اليه ورأوه بعينهم وامرهم بتبايع رسالته في النواحي التي عينها لكل واحد منهم قبل ذلك فتفرقوا عنه وذهب كل حوارى الى جهته يدعوا الى دينه وقد لا قوا من الملوك ما هو مسطور في كتب التاريخ والطبيعيون ينكرون صعود الاجسام الثقيلة الى الجو واختراقها الافلاك لوقوفهم عند المحسوسات ونحن لا ننكر على الله تعالى رفع مثل سيدنا عيسى ولا اسراء سيدنا محمد بعد علمنا ان الكواكب اجرام متميزة في مراكزها غير مرتكزة على شيء ولا معلقة بشيء فالذي رفعها وسيرها مع فرط فخامتها لا يعجزه رفع جسم صغير جداً بالنسبة اليها كيف ونحن نرى الاجرام الثقيلة ترتفع الى الجو بالبخار المخلوق لله تعالى فاذا وقع الشيء باثر من آثار الله تعالى كيف يمتنع وقوعه بامرهم ومشيئته لا يقف في ذلك الا من اضله الله تعالى وسلبه نور الهداية فبقي متخبطاً في ظلمات الغواية «ومن يضل الله فماله من هاد» والى هنا نعلم ان سيدنا عيسى استعمل الرفق في انتشار دعوته ولم يستعمل القوة لكونه رفع قبل ان تكون له عصبية تمنعه من اعدائه فان الحكيم لا يفعل العبث وسيدنا عيسى لما رأى عصبية قليلة جداً بالنسبة لاعدائه المنتشرين حوله الآخذين عليه كل مسلك رأى من العبث مقاومتهم بمن لا يشبهون امام هذه الجموع الكثيرة فلذا ترك دينه في ايدي الحوار بين يدعون اليه حتى تكون عصبية تنادي به ونقاتل على نشره

وبنه في الافطار وقد كان ذلك بهد امد غير بعيد من عهده كما سنأتي على بيان شيء من الحروب المسيحية التي كانت في رومة وارض فرانسوا وبريطانيا واسبانيا والمانيا والروس وغيرها مما اريقت فيها الدماء لانشار الدين والدعوة اليه . وكان الحواريون وضعوا القوانين الشرعية وكتبوا الكتب التي يجب قبولها واعتقادها فعينوا من التوراة خمسة اسفار سيدنا موسى وكتاب يوشع بن نون وكتاب القضاة وكتاب راعوث وكتاب يهوذا واسفار الملوك وسفر بنيامين وسفر المقباسين وكتاب عزرا الامام وكتاب اشير وكتاب قصة هامان وكتاب ايوب ومزامير داود وكتاب سليمان الخمسة ونبوءات الانبياء ستة عشر كتاباً وكتاب يشوع بن شارخ ومن الكتب الجديدة الانجيل الاربعة وسبع رسائل كاثوليكية واربع عشرة رسالة لبولس والايركسيس وهو كلام الرسل وقصصهم وبقي الامر كذلك والناس على ما قاله الحواريون قروناً حتى وقع الخلاف بين بعض الاساقفة في تأويل بعض عبارات الانجيل فحصل انشقاق وتذهب كل طائفة بمذهب وهذه عادة الناس في كل دين ان يجتمعوا على كلمة الداعي في اول الامر لا يؤولون منها شيئاً ولا يميلون الى الافهام والمدارك التي توجب الخلاف بالتأويل والاستنباطات فاذا طال العهد وانتشرت الدعوة وتبادل الناس الكلام فيها على اختلاف مداركهم ظهرت الاقوال المتغايرة والاحكام المستنبطة والفرع الراجعة الى الاصل بالتأويل او القياس . ومن هذا ما وقع من الخلاف بين اسكندروس بطريرك الاسكندرية وبين الاسقف اريوش وجماعة من الاساقفة معه فرفع اسكندروس امرهم الى قسطنطين ابن قسطنطين فجمعهم

اليه وتناظروا ثم قر الرأي على عقد جمعية من الاساقفة فجمع قسطنطين  
الفين وثلاثمائة واربعين اسقفاً ورأس عليهم اسكندر وس بطريك اسكندرية  
واسطانس بطريك انطاكية ومقاريوس اسقف بيت المقدس وهذا اول  
مجمع اجتمع فيه رؤساء الدين المسيحي للنظر في الخلاف وتعميد الاجماع على  
كلمة لا تتمدها الطوائف فيعد النظر والمناظرات والبحث في الانجيل وما  
اختلف فيه الناس من عباراته المحتاجة للتأويل قر رأيهم على عقيدة كتبها  
وامضوا عليها ووقع اجماع الحاضرين على الاخذ بها ولعن من يزايد عليها  
او ينقض منها ثم تفرق الاساقفة على اتحاد الكلمة ومنع الخلاف . وفي العقيدة  
التي قرر وه النص على حشر الاجساد اذ قيل فيها عن سيدنا عيسى عليه  
السلام . وصعد الى السماء وجلس على عرش ابيه وهو مستعد للمجيء تارة اخري  
للقضاء بين الاموات والاحياء وفي آخرها قيل نؤمن بكذا وكذا وبقيام  
ابداننا بالحياة الدائمة ابد الآبدين . فهذا نص على البعث الاخروي وحشر  
الاجسام وهو مقضى العبادات في كل دين والانما كان للعبادة والتوبة  
والمغفرة معنى اذا كانت غاية الاجسام الفناء المحض ولا عود ولا بعث فان  
دور الحياة الدنيوية ينتهي على اية حاله يكون الانسان عليها من غنى او  
فقر وعز او ذل وقوة او ضعف وصحة او مرض ورفعة او صنعة ولا دخل  
للطاعة ولا للمعاصي فيها فاذا قلنا بعدم البعث كانت العبادة عبثاً لا طائل  
تحتها وكانت رسالة الرسل شبه هو لغوا وقانون يضعه اي انسان اضطرت  
ضرورة الوقائع والحوادث لا يتخذه ولا يقول بهذا الا من جذبته يد الشقاء  
الى مهواة الجهان فانكر الالهية والنبوة والرسالة وقال ان هي الاحيائنا الدنيا



تموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر

غ ١٨

نحن نعتقد في سيدنا عيسى غير ما تعتقدونه فهل تنكرون علينا ذلك  
وهل ترون اننا محقون في اعتقادنا واذا لم تروا صحة معتقدنا فهل عليكم  
حرج في معاشرتنا ومعاملتنا

اما الاتكار عليكم فانا نمتنعنا من معارضتكم ومجادلتكم الا بالحسنى اذا  
لم يؤد الجدل الى الشبهة وكل مسيحي نزل في بلادنا واستوطنها معنا فانا  
لا نعارضه ولا نعترض عليه ولا ننج اعماله الدينية ونعاشره معاشره الوطني  
ونعامله بالصدق والاخلاص بحيث يحرم علينا الشرع خيانه وغدره وسلب  
شيء من ماله وهتك عرضه ويازمنا المحافظة على حياته . واما كونكم محقين او  
غير محقين فلا يخفناك ان كل متمسك بدين يرى الحق معه فكما تنكر على  
ديني انكر عليك وانا واثت تنكر على بني اسرائيل والا فلو اعتقد الذين صحة  
جميع الاديان ما وقع بينهم اختلاف . ونحن الآن في زمن امتنعت فيه المجادلات  
الدينية وانصرفت فيه الافكار الى الامور الدنيوية اللهم الا ما يوجد عند  
البروتستانت والجزويت والفريير من التعصب الديني فانهم لا يرجعون عن  
طريق وجدوا فيه نجاح مساعيمهم الدينية ولا يوجد في المسلمين من يتعصب  
للدين مثلهم ولهذا ترى المسلم يمكنه ان يعاشر كل طائفة من طوائف العالم  
وترى كل طائفة لا تعاشر المسلم الا الحاجة مع النفرة منه ومن هذا تعلم ان  
المسلمين لا يتعرضون للمعتقدات المغايرة لدينهم فبلاد العرب والعراق والشام

ومصر والناطول والغرب والهند والافغان ممثلة بالطوائف التي تخالفنا ديناً وهم ممتعون باحسن ما يرجون من الامن والراحة والحرية التامة ولا يوجد ذلك في دولة من دول اوروبا وحسبك دليلاً على تعصبكم حككم على كل شرقي دخل بلادكم ان يخلع ما على رأسه مما اعتاد لبسه في بلاده ويلبس البرنيطة والافلو رآه الاطفال بعمامة او طربوش لجروا خلفه واذقوه العذاب الاليم بخلاف الممالك الاسلامية فان الاوروبي ممتع فيها بكل ما يجب من عاداته واخلاقه . وليس ذلك لضعف المسلمين او لخوفهم فان هذه المعاملة الحسناء محفوظة لهم وهم في اعلى ما يكون من الملك وقوة الشوكة فلم يتعصبوا على احد نعصب اوروبا على المسلمين الآن وبالجملة فاننا لا نتعرض لاحد في معتقده مسيحياً كان او اسرائيلياً او غيرها والحال شاهدة بصدق ما اقول

١٩ غ

رأيت في جرائد هذا الاسبوع ان رجال البرلمان الانكليزي عزموا على المجادلة في المسئلة العربية وقد اجتهد جماعة منهم في الحصول على اوراق وشهادات تختص بها ليعارضوا بها او يقوموا حجة مؤيدة بها فهل يلزمك شيء من تلك المناظرات لا ترجمه لك

ش

احب ان نترجم لي كل ما يختص بمصر فاني ساضع كتاباً في هذه المسئلة بما اعلمه من اصولها وفروعها من عهد المرحوم سعيد باشا الى الآن واريد ان اضم عليه الحقائق التي يعلمها الانكليز ليكون الكتاب كافلاً للمسئلة من جميع وجوهها خصوصاً الاخبار السرية التي لا تظهر الا في المجادلات فارجوكم

ان تعني بالترجمة اعناءاً تماماً بحيث لتتبع الجرائد الانكليزية فلا يفوتك شيء منها واني شاكر لاهتمامك بي في هذه الحالة وخدمتك العالم معى خدمة عامة

٢٠ غ

يقال ان وزارة المسترغلا دستون على وشك السقوط فهل ترى ان وزارة اللورد سالسبوري تعود بنفع على المصريين

ش

انت تعلم ان كلاً من غلاستون وسالسبوري انما يشغلن لمصلحة بلاده فدعوى ان هذا حر وهذا محافظ انما هي لتأييد الاحزاب الوطنية التي يبادلها الآراء والوظائف ثنقوى اركان المملكة ويعظم نفوذها والافأية رابطة بين الانكليزي والمصري حتى يعطف عليه وهو يخالفه جنساً وديناً ولغةً ووطناً وتابعية . فاذا كانت الروابط منقطعة بينهما كان تداخل الانكليزي في عمل المصري لمنفعة ذاته لا لمصر ولا لاهلها واذا تحققنا هذا فغلاستون وسالسبوري واضعف انكليزي عند المصريين سواء فان وجهة الجميع واحدة . وانت تعلم ان انكاترة دولة مالية اي تاجرة تحب ان تروج تجارتها في البلاد الشرقية وان تحجر على المحاصيل لتنفرد ببيعها وصنعها فهي تسعى في توسيع مستعمراتها وملكها بما تنقلب عليه من الممالك الشرقية توسيعاً لدائرة تجارتها وتنمية ثروة رجالها وهذا الذي علق الامة الانكليزية بدولتها حباً ومساعدة . ومع ذلك لا اقطع بعدم الفائدة الا بعد رؤية اعمالها في بلادنا فانها نقول انها ستصلح الادارات وتضع حكومة نظامية ثابتة فان ارادت بالحكومة حكومة تشبه الحكومة الهندية ايقنا انها تسلب جميع الادارات من ايدي الوطنيين

عموماً والمسلمين خصوصاً وليس هذا مما يرجوه المصريون منها وان ارادت ان ترشد امراء المصريين لطرق نظامية احسن مما كانت عليه البلاد قبل دخولها فهذا الذي نتظره وعسى ان نرى منها اصلاحاً فننسى تعديها علينا بحسن مساعيها. ومع ذلك لا يخلو وجود الانكليز بين المصريين من فائدة فانهم كثيراً ما يسمعون عنهم اخباراً وحكايات بين مستحسنين ومستقبحين فيهما مشرة المصريين لم يقفون على حقايقهم ويعرفون باعث تداخلهم في شؤونهم واني ارجو ان تنتفع بهم البلاد وان يكفيننا الله تعالى شرورهم

غ ٢١

هل ترى في نفسك نشاطاً للتوجه معي الى ابغاديثنا البقيم هناك يومين او ثلاثة من باب تغيير الهواء خصوصاً والست تحب ان تزك

ش

اما توجهي الآن فغير متيسر لما عندي من الامراض التي تمنعني من تعمل مشاق الركوب واما حضور الست فليس هناك مانع منه وانما يلزمها ان تخفي ثياب بلدية فان كان عندها ثوب وبرقع فيها والا اعطيناك من هنا ثياباً وطنية وبرقعاً لتستر بها فان مجيئها ثيابها الافرنجية مع عدم سابقة لذلك مما يوجب توجه الانظار اليها واعمال الافكار في الباعث على التردد

غ ٢٢

الست لا تحضر الا عند مجيئي من مصر فاني عازم على التوجه غداً لقضاء بعض مصالح هناك فهل يلزمك شيء

ش

احب ان تسأل الشيخ الذي ذهبت اليه في المرة الأولى والأولى ان اعطيك كتاباً بخطي ليظمن ويثق بك ولا يرتاب منك فانه متى رأى خطي اخبر بما عنده من غير ان يتحاشى

الجواب : بعد العنوان

صديقكم المخبوء تحت امتار الحفاء يقدم لحضرتكم ما يجب من التعمية ويسأل عن صحتكم وما انتم عليه من الاحوال . اما حالي فاني مقيم في بلد يخبركم عنه صاحب الشدة حامل هذا الكتاب وقد التزمت صرف اوقاتي في كتابة ما عساه ان يكون نافعاً لإخواني ولم يصرفني سوء الاخبار عما تعهده في من حب الخدمة العامة . غير اني مشوش الفكر بانقطاع اخبار والدي وشقيقي عني وانك وان افدت صاحبنا افادة كلية عن اهلي فاني ارجوك ان تكتب لي ما تعلمه من شانهم واني اقسم عليك بالله العظيم ان لا تخفي عني شيئاً من خبرهم حتى لو كان احدهم توفي فلا تكتم خبره عني فاني لا يشغلني شيء سوى الفكر فيهم . اما ثقتي بالله تعالى فانها اكبر واعظم من خطوبي وكروبي ولذا تراني غير مكترث بما اراه في الجرائد من شدة البحث علي وتهديد من يؤويني واعطاء من يدل علي الفجنيه لعلمي ان لا يقع الا ما يريد الله تعالى وان العبيد لا يمكنهم ان يحدثوا في الكون ذرة او يغيروا شيئاً من مراد الله تعالى فكل عوارضي الدنيوية التي توارد علي الى ماتي مقدرة ازلاً لا تقبل التغيير فالفكر في مستقبلها اي شيء هو من العبيات وبهذا استرحت من اشتغال الفكر وتوارد الهواجس كما الي

ارجوكم ان تنهروني عن اخواني وما تم لهم فاني لا ارى في الجرائد الا شتام  
وتهويلا وانذاراً واغراءً والخفايق مستورة عني بهذه الايهامات وان حدثتلك  
نفسك بالحضور عندي فراجها وقر مكانك فانك ربما اتبعت بمن يقف  
على منتهى سفرك فقد علمت من كتاب بعض اخواني ان الحكومة هجست  
بيتك وفتشته فلا ينبغي ان تخاطر بنفسك فتضرها وتضري معك . وان  
خفت من الكتابة فاعتمد على خطي هذا وقل لصاحبنا ما عندك من الاخبار  
من غير ان تخوف منه في شيء والسلام علىكم ورحمة الله

غ ٢٣

ارى قفطانك صار وسخاً واحب ان آخذ مقياسك لافصل لك  
قفطانين في مصر واحضرهما معي

ش

اشكرك على هذه العناية وها هو المقياس والاحسن ان تاخذ القفطان  
الابيض لتفصل عليه انما تكون الاكام طويلة كاكمام الفقهاء فرجا اضطررنا  
للمشي او للقعود مع الناس فيرون لبس فقيه او عالم . وارجو ان تفصل لي  
لباسين فان البستي في صورة البنطلون ولها اربطة في الرجلين ولا يخفك  
ان الفقهاء لا يلبسون مثلها فيكون ذلك محل الانتقاد والفكر في حقيقتي

غ ٢٤

هل تأذني ان اذهب الى اخيك الذي في الازهر لاساله عن الاحوال  
واقف على ما عنده ايضاً

ش

لا تكلف خاطرك بهذا فانه 'يبعث الي' كتيبه' عن طريق مأمونة وفي  
كل اسبوع يكتب لي خلاصة الاخبار وجميع الجاري بمصر فانا انتفع به  
احسن من كل انسان يكتبني خصوصاً وانه 'يتحرى في كتابته فلا يخبرني  
الا بالحقائق والاخبار الموثوق بها فتراي انتظر كتيبه انتظاري للفرج جزاه الله  
تعالى عني احسن الجزاء

غ ٢٥

بلغني انك طلبت منه 'كتبا' علمية فهل ارسلها او استحضرها لك معي شراء

ش

عندي من كتيبه تفسير ابي السعود للقرآن العظيم وقاموس الفيروزبادي  
والوافي وجغرافية المرحوم رفاعه بك ولا يلزمي الآن كتب فاني ارى اننا  
ربما انتقلنا من هذا المكان فتكون الكتب حملا ثقيلا معي وانما اذا مررت في  
الكتيبة فاشتر متن ابي شجاع لاحفظه لتابعي وهو يساوي قرشاً . ولا تنس  
الدخان فان دخان طنطا غير موافق لي وكلما اشترينا دخاناً من واحد وقلنا  
انه 'جيد نراه' كغيره وهذا كل ما يلزمي من مصر الآن

غ ٢٦

كن بخير فاني ذاهب وساعود بعد ثلاثة ايام

ش

الحمد لله على السلامة كيف وجدت الاحوال في مصر

غ

رأيت الذين قبض عليهم ذهب أكثرهم الى منفاهم وبقي قليل منهم في المحاكمة ولكني رأيت الاجانب متخوفين من الانكليز وكل من كان له صاحب من المصريين بث في فكره ان انكلترة تريد ان تمتلك مصر ولكنها تحال لذلك فلذا رأيت بعض المصريين ممن اعرفهم متكدرين بعد ان كانوا مسرورين وكما سألت واحداً وجدت الفكر جاءه من اجنبي ولا يخفك ان البول لها مصالح شتى في مصر فهي لا تحب ان يضع الانكليز الحماية على مصر فهذا اخذوا ينفرون المصريين منهم خصوصاً دولتنا الفرنسية وانما لا ترضى باقامة انكلترة في مصر ولكنها لتدارك خطأ وزارة غامبتا في عدم الاشتراك معها في ضرب الاسكندرية وليست مدغشقر مثل مصر حتى يمد توجهنا لها مثل توجه انكلترة لمصر فدولتنا لا يقر لها قرار ما دام الانكليز في مصر ولكنها لتتربق الفرص ولها امل في بعض جهات صينية تريد ان توجه اليها اساطيلها للاستيلاء عليها فهي تسكت عن الانكليز حتى يتم لها ذلك الغرض ثم تعود لعاكستهم في مصر . اما صديقك فاني قابله في خلوة مخصوصة واعطيته الجواب ففرح واطمان واوصاني عليك واخبرني ان والدك اقام في مركب استأجره نحو اربعمائة يوماً ثم عاد فسكر في بولاق مدة ثم سافر وهو الآن مقيم بناحية كنج عثمان بجوار كفر الدوار لعدم امكانه دخول اسكندرية الآن . واما شقيقك فانه حضر من النبل الكبير فلم يجد احداً في البيت بل وجد الحكومة وضعت عليه حراساً فتوجه الى ضابط مصر واخبره انه اخوك فسجن اياماً وخرج من السجن وتوجه جهة بركة المنصورة (المنظورة) الزعمه



ان اياه توجه الى اقاربكم الموجودين بالبرية ولكنه قاسى من الاهوال  
اشدها وقد نفر منه اعز احبابكم واصدق اخوانكم فلو سلم على رجل ما  
رد عليه السلام وضار يمشي وحيداً لا يكلم احداً ولا يكلمه احد حتى  
جاء البرية ونزل عند ابن عم لكم يسمى محمداً ابا مصطفى واجتمع  
عليه اقاربكم هناك ولما لم يجد والده استحسن ان يقيم عنده حتى تستقيم  
صحته وتصلح حاله فعلم به بعض من عائلة شنا الشيرة فانذر ابن عمه بعدم  
اقامته واخرجه من ارض البرية لئلا يراه احد فيظن ان اخاه معه فتتم هذه  
العائلة بايوائه وبعد مراجعة طويلة بعث ابن عمه الى ابن عم له آخر في برنال  
فحضر واخذه وتوجه به اليها فاقام عنده مدة وقد بعث اخاه ليجث عن والده  
فبعد الجث الشديد علم انه في كنج عثمان عند بنت اخت له فتوجه اليه  
واجتمع بوالديه وبعد الاقامة بكنج عثمان مدة قاموا الى اسكندرية وهم الآن  
بها غير ان اخاك منع من الخروج من اسكندرية باصر المحافظ اذ قد افترى عليه وعلى  
بعض الوجاهاتهم اسسوا جمعية تسمى الجمعية الاعدامية فهم في كرب شديد  
الآن بسبب غيبتك وما هم فيه من الحبحر والتضييق وملازمة الجواسيس  
(البوليس السري) للبيت فما خرج والدك لصلاة او لقضاء حاجة الا وتبعه واحد  
ولا اشترى اشياء من احد الا سألوا البائع عنه واتهموه بانه يعرف مكانك وبهذا  
التضييق اصبحوا في عناء عظيم فلو امرتني ان آتي بهم الى ابعادتنا لارحناهم  
من هذه الاتعاب والآلام وقد اكد علي صديقك المصري بعدم اخبار احد  
عنك وان لا تثق بصاحب او صديق فان الناس تغيرت احوالهم واصبح يذمكم  
من كان يمدحكم والعيون ناظرة اليك والبعث عليك شديد جداً واخبرني

ان صديقكم الازهري يتردد عليه وانها يتبادلان الكلام في شأنك ويجتهدان في الوقوف على ما عند الحكومة من شأنك ليخبراك بما يقفان عليه فتكون على علم وحذر . وهاهي الثياب التي خطناها لك ان شاء الله تكون لباس العافية

ش

باي لسان اقوم بشكر خدمتك لحبيس مثلي لا يستطيع ان يخرج لقضاء الحاجة الا بعد علمه بخلو المكان من ذي روح ولقد قلدني منناً يحفظها لك التاريخ وزحزحت عني بعض ما اجده من جهة والدي وشقيقي وان كنت ازددت هماً على همي بما صاروا اليه من ضنك الحال والتضييق عليهم بما تركهم غرقى الاوهام والآلام والله تعالى يصرف عنهم ما هم فيه ويفرج كربهم بقدرته الباهرة . اما مجيئهم عندكم فغير ممكن الآن لتتبع الجواسيس اثرهم فر بما جاؤا خلفهم وتبعوك ايضاً في تنقلك حتى اذا راوك ترددت على هذا المحل وصلت اليه الشبهة خصوصاً وان الجواسيس من الادنياء الذين لا يسبق لذهنهم الا ما يجلب الشرور والضرر فانهم ابعد خلق الله تعالى عن الخير بل لا يهتدون الى طريقه فاولى ان لا نتعرض لنقلهم من اسكندرية ولا الحضور احد منهم الآن للزيارة حتى تسكن الافكار وتهدأ الحركات . ولقد نصح صديقنا بتاكيدته وتحذيره فاني اقرأ في الجرائد اخباراً غريبة وارى رسائل هجوم من كانوا يرون المدح فرضاً عليهم وارى شهادات مزورة مقدمة من اناس صورتهم صورة الامراء او الوجهاء وحققتهم حقيقة سفلة اغبياء ويعلم الله انهم ينسبون الي ما لم يخطر ببالي فضلاً عن وقوعه مني وسأبين لك الحقائق عند التكلم على المسئلة المصرية لتتحقق كذب هؤلاء المنافقين والحكومة

العذر في قبولها هذه الشهادة ممن تراهم في مقام الاعتبار ظاهراً ولهذا شدد  
صديقنا في اخفاء خبرنا عن كل انسان فجزاه الله عنا خير الجزاء

غ

اني متوجه الآن واعدود غداً مع الست فاني جئت من الوابور الى بلدكم  
قبل ان اذهب الى الابعادية ولكني اسألك بالله ان تريح افكارك وتترك الامور  
لمولاك فاني ارى من حسن اعتقادك وتوكلك على الله ما يقضى بالتسليم  
والرضا بالمقدور

ش

الامر كله لله وانا اعتقد اعتقاداً جازماً انه لا يقع في الكون شيء الا  
بارادة الله تعالى وتقديره ويستحيل جلب ضرر على انسان لم يقدره الله تعالى  
او دفع ضرر عن شخص قدره وقضاه واني مستسلم لقضائه تعالى وقدره راض  
بافعاله المنزهة عن العيب موقن بانه وليُّ امري وامرهم واسأله ان يلفظ  
بي وبهم وارجوك ان تسلم على الست ولا تكلفها الحضور الا اذا رغبته  
واستحضر معك جانباً من زهر الخطي الموجود ببستانكم لاصنع منه مغلياً لصدري  
حضرت الست اليوم وسلمت اليها اوراق المذاكرة من اولها لتراجعها  
حتى يكون دخولها معنا في المناظرة على علم بما تقدمها ولنشر اليها بمجرد  
عند ايراد كلامها

٢٧ س

راجعت كلامكما ووقفت على مقاصدكما واريد ان نفرغ من خبر  
سيدنا المسيح وندخل في سيرة نبيكم لتتلخص منها الى المقصود فهات ملخص

ما صار بعد رفع سيدنا عيسى وما وعدت به من ذكر بعض الوقائع الدموية التي حصلت للدين ونسبته حتى لا تترك البحث محتاجاً للعودة اليه

ش

قدمنا انه جرت عادة امناء الرسل وخلفائهم ان يتبعوا الرخص ويحافظوا على العزائم ويلاحظوا اخلاق الامم وما يناسب المكان والزمان فهم مع كل رسول يؤولون كتابه ويفسرون ما انبهم منه ويبينون ما غمض ويحلون ما اشكل واعضل ويفصلون الجميل ويطلقون المقيد ويقيدون المطلق ويممون الخاص ويخصمون العام ويعرفون المنسوخ ويقيسون حوادثهم الحاضرة على ما مثلها مما وقع في عهد رسلم او معاصريهم او قريبي العهد بهم رفقا بالام وتسيلا للمعاملات وتوسيعا لدوائر المباح والجائز وتاليا للنفوس الاية راجعين بافكارهم ومباحثهم الى اصل الرسالة ومآل الدعوة وكتاب النبوة وقد يجتهد البعض في فرع او اصل فيظن الغير انه مخطن فتتحرك عليه جموع العلماء للمناظرة والنقض والابرام وعلى هذه القاعدة الجارية في كل امة وزمن ظهر اريوس بدعوته واجتهاده وعقد له المجمع الاول وبعد مضي مائتين وخمسين سنة من هذا المجمع ظهر مقدونيوس بدعوته وعقد له المجمع الثاني ثم ظهر نسطوريوس بدعوته وعقد له المجمع الثالث بعد الثاني باربعين سنة . ثم ظهر ديستورس صاحب المذهب اليعقوبي وعقد له المجمع الرابع بعد الثالث باحدى وعشرين سنة . ثم عقد المجمع الخامس بعد الرابع بماية وثلاثين سنة لابطال دعوى التناسخ . وكل هذه المجمع كانت لدفع شبه عن اصل العقيدة المسيحية اولرد تأويل او لتصحح غلط محافظة على

ما قرره المجمع العلمي الاول وهذا الاجتماع هو المسي عندنا معاشر المسلمين بالاجماع فان علماء الدين في كل امة متى اجتمعوا على امر وجب على الامة الاخذ به وعدم الخروج عنه . وبهذا الاجتهاد انقسم الدين المسيحي الى اقسام الكاثوليك والارثوذكس والاروسى والمارونى والنسطورى واليعقوبى وغيرها ثم ظهر القسم البروتستانتي في القرن السادس عشر الميلادي وتفرعت منه مذاهب الكلويني واللاثرائى والانكليكانى والبرسبترىاني وغيرها ولكل من هذه الفروع شعب واغصان تدور مع الاصل الانجيلي حيثما دار وتختلف في تأويل او قياس . ولم يقصد واضعو المذاهب الا المقاصد الجليلة ولكن وقوع كتبهم في ايدي من هم دونهم حزماً وادراكاً وعلماً وسياسة حملهم على القول بالنفاصل والاسبقية والارجحية فوضعوا رسائل بقدر مداركهم اوغرت الصدور ونفرت النفوس وملأتها بما ليس من شؤون الدين وبهذه الرسائل يتنديء الآخذون بها بالمجادلات والمعارضات البرهانية متنقلين الى التأييب والتساب ثم لا يزالون يرتفعون درجة بعد درجة الى ان يصلوا درجة العدوان وارقة الدماء على فروع ترجع الى اصل واحد . وكم اوقع هذا الخلاف طوائف بني اسرائيل في دماء واعدام وتخريب ايام دورهم الاول ووجود الاحكام بايديهم . وكم اجري الدماء بين كنائس رومة وكنائس الروم حتى آل الامر الى استيلاء الروم على رومة واهانة كنيستها المقدسة وقتل بطارقتها ورهبانها بقسوة وغلظة كاسياتي بيانه . وكم اجري الدماء بين السنين والشيعيين والخوارج من طوائف المسلمين وآل الامر لحرق الكتب وقتل العلماء والحكام كما سيأتي تفصيله . وما سفك الدماء الغزيرة في الامم الثلاث الا رسائل التعصب

والخروج عن منهج الاديان القومية لانفس الاديان باعتبار ما صدرت به عن مهابطها .  
ومعلوم ان سيدنا عيسى عليه السلام جمع اليه الحواريين قبل رفعه وقال لهم  
« اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » ثم ارشدهم الى طريق  
سابقه من اخوانه الانبياء باستعمال الرفق والتلطف في الدعوة والتساهل مع  
المتعصب والمنكر ودفع المعارض بالحسنى ليكون ذلك ادعى للالتئام واقرب  
تأليف العصبية وتأسيسها فقال « من آمن واعتمد خالص ومن لم يؤمن يدين »  
وهذا شأن كل رسول جاء بدعوة تنسخ دعوة معاصره يستعمل الرفق اولاً حتى  
يكون العصبية التي بها يتمكن من حمل الناس على دعوته بالقوة وقد ارشدهم  
لاستعمال القوة عند تمكن العصبية بآية السيف « لا تظنوا اني جئت لالقي  
على الارض سلاماً ما جئت لالقي سلاماً بل سيقاً » فكان هذا الارشاد  
الدرجة الثانية في نشر الدين بالقوة فانفتح لاتباعه باب التظاهر والقتال بعد  
ان كان مغلقاً بآية « ومن لم يؤمن يدين » الآمرة باستعمال الرفق واللين  
للقاصرين على تعليم الانجيل وتفهم الامم معناه وما جاء به من الفوائد الدينية  
والدنيوية فانه يدعو لعبادة الله تعالى وتوحيده وتأليف النفوس وتهذيب  
الاخلاق ومواساة المعدم وحفظ الارواح والاعراض ويعرف انواع العبادة  
الانجيلية ويعين درجات العاملين ودركات المخالفين الى غير ذلك مما هو  
الفائدة المتبعة في جميع دعوات المرسلين . وعلى هذه الارشادات جرى  
الحواريون ثم الروساء الآخذون عنهم وجابوا الاقطار داعين للانجيل  
والعمل به متصربين على الدعوة مع الخشوع والخضوع والرفق في القول  
والعمل عملاً بالآية الاولى وسعيًا في تأسيس العصبية حتى تم اجتماعها

وقويت اعضادها واتسع نطاق الدعوة فانبرى الاتباع والروّساء في المتجاورات يدعون ويرشدون الى ان ظهرت مضادة قادة الامم وابوا عليهم الاخذ بدينهم فرجعوا الى آية السيف وحملوا الانجيل على اسنة الرماح ونادوا في اقطار عصبيتهم « المسيح حي . المسيح يملك . المسيح سلطان الارض » فانبثت حمية الدين في النفوس وتحركت له الدماء وتداعت العصبية حول الرسل لبث دعوتهم بالقتال بعد ان كان الدين دين هدو وسلام فجددوا الجنود وعبوا الجيوش وامتزج الدين بالملك وابتدأت الفتوحات بالسيف والرمح حتى دخل الدين المسيحي ممالك اوروبا واقساماً من آسيا وافريقية ثم قاموا على مملكة بني اسرائيل فقوضوها ودكوا عروشها وبددوا شملهم وشتتوهم في اقسام الكرة الارضية وهم على اثرهم قتلاً وتشريداً حتى تم لهم من الظفر والانتصار ما تم ثم عاد الروّساء الى النصح والارشاد وتهذيب النفوس ولكنهم مع صرفهم القرون الطويلة في بث الدين والتحذير من العدوان لم تذهب تعاليمهم القسوة التعصبية من اناس اشتغلوا بقتال من يخالفهم مذنباً وان اتفق معهم ديناً فحملوا السلاح باسم الدين بل باسم المذهب الخاص كما فعل كل من طائفتي الاستر و غوط والمبرودية في ايطاليا اذ قاموا عليها بعد ان تربوا تحت احضان ساداتها ومزقوا ممالكها واستولوا عليها في القرن الخامس الميلادي بعد تخريب وتدمير وقتل وهتك ونهب تشتمز منه النفوس . وبينما هاتان الطائفتان تعيشان في سرادينا ونابلي وسيسليا ( صقلية ) خرجت قبائل شتى وطوائف عديدة من جرمانيا داعية الى المذهب مقاتلة عليه كالوندال والسكسون والسويوة والافرنجة فخرجوا من اقطارهم رافعين علم الدين الكاثوليكي وهاجموا ممالك

اوروبا وخرّبوا مدنها ودوخوا بلادها واعدموا الوف الوف من النفوس  
وهتكوا واستباحوا ومثلوا ودكوا عروش المالك كانت مشيدة قائمة على قواعد  
متينة تدين بدينهم وتحالفهم في المذهب الفرعي ثم اسسوا لهم ممالك خاصة  
بطوائفهم في فرانسوا وانكلترة واسبانيا والبرتغال وسويسة باسم الدين ولاجله  
ثم خرجت الطائفة التونيكية الجرمانية متعصبة للمذهب الكاثوليكي ايضاً  
وهتكت حجاب الامن وهدمت سور الاجتماع الاوروي بحروب زلزلت بها  
الممالك قديمة وحديثة وبددت شمل الامم واستباححت الاموال والاعراض  
واهانت المعابد ومجامع الاديان المخالفة لمذهبها وقتلت الرؤساء الدينيين  
ومثلت بالبطارقة والاساقفة وفعلت من افعال التوحش ما لم يسبق له مثل  
في العالم الهعبي ثم انزوت اخيراً في روسيا الشرقية واسست مملكتها  
الحاضرة . وبعد هذو الحركات العدوانية زمنياً اندرت طوائف اخرى مفضلة  
القوة الادبية على القوة المادية وعقدت الجمعيات الدينية الخيرية وبثت  
القساوسة والرهبان في جميع الممالك وفي البلاد الممجيبة الاهل باسم المرسلين  
والمربين والمعلمين وفتحت لهذا العمل الوفاً من المدارس طاوية مبادئها  
الدينية في صحف التعليم فاتحة باب مدارسها لكل داخل على اي دين كان  
لتلطف في نقله الى دينها او مذهبها الخاص . وقد ادركت الممالك المسيحية  
مقاصد هذه الجمعيات فعضدتها وساعدتها في الاقطار الشرقية وابدت  
سطوتها الدينية بالدفاع عنها وحماتها ومدح مساعيها . وبهذا انتشر الدين  
المسيحي في كثير من الاقطار ولولا ما اعترضه من هذه الخلافات المذهبية  
والوقائع الدموية والتعصب الشديد والنقاعد عن نصره الجار لمخالفه المذهب



وانقطاع مواصلات الامم وتمذر الاسفار اذ ذاك لانتشر في جميع  
اقطار الارض قبل الدعوة الاسلامية . ولكن جرت عادة التربية تحت  
الاحضان وكبر العصبية المختلفة الجنس واللغة والوطن ان تظهر دعاة  
ومتغلبين يريهم الدين وينقلهم من سكن الجبل الى حركة العلم فتخلك  
الافكار وتعلو وتسفل بقدر ما عليه اهلها . من الاستعداد العقلي والتميز  
الفطري حتى اذا مالت نفوسهم الى الاستقلال الملكي والعز الوطني والشرف  
الجنسي والتعصب المذهبي تجزأ الكتل وكبر الصغير وقوي الضعيف وساد  
الوضع وجرد سيف الدين مع سيف الملك وجال رب الاول جولة وحمل  
صاحب الثاني حملة فتبيد اناس وتخرب ممالك وتهتك اعراض وتسلب حقوق  
ولا اغماذ لهذين السيفين ما دام من الانسان اثنان وانما لتغير المطالب في  
كل امة وتتنوع اشكال الحروب في كل زمن والباعث هو هو دين  
وسياسة اذ ليس للانسان طريق اعدام في الغالب غيرها . وبينما طوائف  
الروم والرومانيين في مغالبة على الملك ومقاتلة للدين اشرق عليهم النور  
المحمدي آتياً من صاب عبدالله بن عبد المطالب بن هاشم بن عبد مناف الى  
آخر نسبه الشريف صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . وكان الدين  
المسيحي لمذا العهد قد انتشر في جميع اور وياوفي مصر والشام وبلاد نجران  
من بلاد العرب وبعض بلاد اليمامة وارمينية والحبشة وبقي الباقي من بلاد  
العرب على الوثنية والفرس على الجوسية والهند كذلك والسودان على  
الوحشية والغرب على الجوسية في معظمه والنصرانية في بعضه وكذلك  
الصين واليابون وانام وغيرها على ما كانوا عليه من الدين البوذي . وقد

دخلت اوروبا تحت التعاليم الدينية مدة ولم تفدها أكثر من دعوتها الى  
الايان بالمسيح عليه السلام فلم يترتب عليها التفنن في العلوم ولا تأليف كتب  
نافعة ولا تعليم ما تدعو اليه الحضارة ويزيد المدنية كما حصل في الدين  
الاسلامي باعنائها علمائه وخلفائه كما سيأتي بل كانت التعاليم قاصرة على  
الاصول الكنيسية ولم تلتحق اوروبا بالعلوم العقلية من رياضية وطبيعية  
وفلكية وغيرها الا بعد مخالطتها للمسلمين ايام الحاربات الفتوحية والمعامع  
الصليبية حيث اعذنت بنقل الكتب وترجمتها ودراستها واشتغلت بالمعارف  
اشتغال جد واجتهاد حتى حيرت العالم بما هداها اليه العلم من الاختراع  
والابتداع وزينت الممالك بالمحسنات العمرانية وادهشت الناس بتفنتها في  
الاختراع حتى لا يكاد يمر اسبوع الا ليسمع فيه بمخترع جديد ومصطنع  
مفيد . وكل هذا نتيجة الاختلاط بالمسلمين واحكامك الافكار في بعضها  
والتربية تحت الاحضان سنة الله في خلقه . وكان بنو اسرائيل لهذا العهد قد  
تفرقوا في الاقطار وتشتتوا في الممالك بما قاسوه من ذل الاستعباد وقهر السلطة  
والتعصب الديني الذي لم يزل يجري في عروق المسيحيين الى الآن لاعتمادهم  
انهم هم الذين صلبوا المسيح عليه السلام وقتلوه كما لا يخفك وهذه عداوة لا  
يمحوها كروور الايام والليالي لتولدها عن الاعتقاد الديني الجاري من ابن آدم  
مجرى الدم فكان بعضهم في بلاد العرب والبعض في افريقيا والبعض في  
اوروبا منزويين بين اهلها ولا حاكم لهم ولا قرة مجتمعة ولا يفوض اليهم امر من  
امور الملك مهما كان اختلاطهم وارتباطهم بمن هم معهم من المسيحيين . ومن  
هذا يعلم ان سيدنا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ولد واربعة اخماس اهل

الارض على شركهم لم يدخلوا تحت قانون دين سماوي وقد ولد بين قوم اميين لا يقرؤون كتاباً ولا يعرفون سياسته ولا يجتمعون تحت رأي عام كل قبيلة مستقلة بنفسها وربما كان في القبيلة بطن او فخذ مستقلاً لا يخضع لرئيس قبيلته والرُحل منهم في الاودية والجبال اكثر من سكان القرى قد توزعوا اهواءً وتمددوا قبائل وتباينوا تديناً وتباعدوا مسكناً وكل يرى انه عظيم قومه وحكيم قبيلته لا اوتوه من الفصاحة والبلاغة والافتدال على الكلام نثراً ونظماً كما سنيين اخلاقهم وعاداتهم واديانهم ومعاملتهم ان شاء الله

غ

ارى صاحبك الازهري قد حضر ولا بد ان يكون ذلك لامر غريب

ش

اظنه اتى للزيارة والافانك كنت عنده من عهد يومين ونشير له  
بحرفي سم لكونها نصف اسمه

سم بعد السلام والتحية

هل تأذون لي بمراجعة محاورتكم لارى ما انتم عليه من المناظرة

ش

تفضل ولكن ليعلم الاستاذ الفاضل اننا الى الآن في مقدمة التأسيس  
آخذين في تأصيل المسائل الدينية التي بنى عليها الخلاف الجاري بين الناس  
ولم ندخل في المقصود بعد لكون معرفة التأصيل ينبي عليها معرفة النتائج  
التي اظهرتها تربية الاديان وتكوين عصبياتها بالتجاذب القلبي الذي لا يحلله  
الافساد العقيدة نعوذ بالله تعالى من ذلك

ان هذا التاصيل بديع واراكم . تتبعين الاشياء بطريق التلخيص لا  
بالاسهاب والتطويل وهو التزام حسن ليسهل تناوله وقراءته ولكنني رأيت  
امراً اقدمه للاخ الشرقي مسنفاً عن الحقيقة . عند كلامه على صخرة  
بيت المقدس قال انها لسان من الجبل يتصل به من جهة الشمال فقط  
فاما من جهة الجنوب وكذا من جهتي المشرق والمغرب فلم يتصل به بل  
ثم فراغ وان نبي الله سليمان عليه السلام بنى على تلك الصخرة قبة الخ  
عبارة وقد حضرني ما ذكره الامام ابو بكر بن العربي رحمه الله تعالى  
في شرح موطا الامام مالك رضى الله تعالى عنه فيما حكاه عن علي بن  
برهان الدين الحلبي في كتابه انسان العيون في سيرة الامين المامون المعروف  
بالسيرة الحلبية حيث قال « صخرة بيت المقدس من عجائب الله تعالى  
فانها صخرة قائمة شعشاء في وسط المسجد الاقصى قد انقطعت من كل  
جهة لا يسكها الا الذي يسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه في  
اعلاها من جهة الجنوب قدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين ركب  
البراق وقد مالت من تلك الجهة لهيبه وفي الجهة الاخرى اصابع الملائكة  
التي امسكتها لما مالت ومن تحتها المغارة التي انفصلت من كل جهة عنها  
فهي معالقة ما بين السماء والارض وامتنعت لهيبتها من ان ادخل تحتها لاني  
كنت اخاف ان تسقط علي بالذنوب ثم بعد مدة دخلتها فرايت العجب  
العجاب ثم شي في جوانبها من كل جهة فزارها منفصلة عن الارض لا  
يتصل بها من الارض شيء ولا بعض شيء وبعض الجهات اشد انفصالاً

من بعض قال وهذا الذي ذكره ابن العربي ان قدم صلى الله تعالى عليه وسلم اشرت في صخرة بيت المقدس حين ركب البراق وان الملائكة امسكتها لما مات. قاله الحافظ ناصر الدين الدمشقي في معراجة « فالتت ترى ابن العربي بنى كلامه على العيان والمشاهدة فاكشف لنا حقيقة الحال وامط جلباب الاشكال عن هذا السؤال قبل ان اتم المناظرة قراءة  
ش

لا يخفك ان صاحب الاس الجليل اورد في هذه الصخرة اشياء كثيرة لم يصح شيء منها والذي قاله ابن العربي غير بعيد ان يكون معجزة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فان المعجزات كلها خوارق للعادات ولعل ذلك كان لاول نظرة قبل ان نتصل بالجليل والا فانها قد مرت عليها القرون وهي على ما اخبر علماء الاخبار من كونها لسانا في الجبل بناء على هيتها التي هي عليها ( هنا ينبغي ان نقول بعد كتابة هذه الكلمات بسنين عثرت على الحكومة المصرية واعدتني عن مصر الى الشام فتوجهت الى بيت المقدس وزرت الصخرة ودخلت مغارثها واصابت فيها ركعات وقد رايتها قد بنيت جوانبها حتى استوت على المغارة مرتفعة عن الارض نحو متر ونصف ولكن الانسان عند وجوده تمتمها بمجد الجهة الشمالية لا فاصل بينها وبقية الجهات يبصر البناء الجديد فيها ويحتمل ان الفاصل بينها وبين الجهة الشمالية كان ضعيفا جدا حتى لم يظهر للرأي في بدء النظر بلا امان ولذا قيل انها لسان ملتصق بالجليل وقد رايت اثر قدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الجهة الجنوبية وقد وضع عليه دولاب

يفتحه الخدمة ان جاء زائراً واذا ضربنا كل حائط ونحن تحتها نسمع رنيناً يعلم منه انفصالها عن الجبل ولكن هذا الرنين يضعف جدا في الجهة الشمالية فلعله لقرب المواجحة ) ومن قول ابن العربي وبعض الجهات اشد انفصالاً عن بعض يعلم انه تأملها وحقق النظر فيها وان القائلين بانصالها لم يعنوا النظر في الجهة المنفصلة فيها انفصالاً خفياً عمن يرى من بعد هذا تحقيق ما يقال في توجيه الكلامين على اننا متى تحققنا ان ارتفاعها كان معجزة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم سهل علينا كل شيء . فان البناء المحيط بها لم يتبين منه البناء من الصخرة لاستوائه معها ومشابهته لها فربما كانت مرتفعة بهذا المقدار ثم بنى هذا البناء تحت جوانبها منعا ما اعساه ان يحصل من تقوى بعض الناس عليها بالمشي فتسقط ويذهب هذا الاثر الخالد وقولنا ما قيل في الصخرة غير هذا فمن وضع القصاص المراد به مبالغتهم في ارتفاعها وطولها وعرضها ونسبة ذلك الى الحديث الشريف او مشاهير العلماء ، ترويحاً لاقاصيصهم وبالجملة فان البناء الموجود حولها الآن منع الناس من التحقيق والوقوف على الحقيقة وجعلهم يخوضون فيها بالظن والتخمين خصوصا بعد علم الجميع ان بيت المقدس وقع في ايدي النصارى مدة قبل الاسلام ولما فتحه سيدنا عمر وجد الصخرة مردومة بالقمامات فزالها عنها ثم وقع بعد ذلك في ايديهم ايام الحروب الصليبية واستمر تحت تصرفهم مدة حتى اعاد المسلمون فتحه وفي مثل هذه الاحوال تقوى الظنون في عدم انفصالها عن الجبل او في انفصال الجهة الشمالية انفصالاً خفياً جداً لا يظن الا بدقة التأمل والله اعلم بحقيقة الحال

٢٩

س

الآن زال الاشكال باحالة رؤية ابن العربي على اول نظرة او على تدقيقه النظر في الجهة الخفية الانفصال ولم لم تذكر الحروب الاسرائيلية عند ذكر بني اسرائيل ولم تستقص الحروب المسيحية قبل الدخول على التأسيس العربي حتى تكون الوقائع معلومة لتحصل المقابلة بين الاديان الثلاثة

ش

قد اشترط علي الخواجا عدم الدخول في موضوع لم يعينه لي وهو لم يطلب ذلك ولعله آخر هذه الحروب وتفاصيلها الى وقت آخر

٣٠

غ

نعم انا لا أريد ذكرها الآن لثلا يطول التأصيل بما قامت به كتب التاريخ وإنما الملخص الذي ذكره صديقنا الشرقي ضروري للمقابلة وعند دخولنا في السيرة العربية لا بد ان نضطرنا المواضيع لذكر بعض الحروب الاسلامية فيكون له حق المناظرة بينها وبين المسيحية والاسرائيلية اذ ذلك . والآن ندخل في السيرة الحمديّة وملخص الدعوة الاسلامية وما كان من العرب عند سماعها لنصل الى المقصود

س

ارى انه ان سرد القصة بنهاها احتاج لوضع كتاب مستقل كبير وقد جمعت في كتب شتى تغنيه عن السرد والبيان وان ذكرها ملخصة مختصرة كان ذلك اوقع في النفس وابعد عن السأم والملالة

غ

انا بنينا مناظرنا على الاختصار والتلخيص من اول الامر وهو لا يخرج  
عن طريقة بناه ولكي اسأل حضرتكم عن موجب الحضور هل طرأ هناك شيء

س

لم يكن هناك غير ما يسرنا جميعاً وما جئت الا لزيارة الاخ والاطمئنان  
على صحته. ومعرفة حالة اقامته هنا وهل بقي الامر مستوراً كما اعهد ام اذيع  
بين اهل الدار فنجمت على محل آخر ننقله اليه لتلايفشو السر فتتطأير  
الاخبار حتى تصل الحكومة فيقع ما لا نرده

ش

الامر على ما تعهد من الكتمان والتحرز من افشائه اذ لا يعلم الحقيقة الا  
صاحب البيت ووالدته وقد اخبروا الشيخ خليلاً لنتبهم به فهو يأتي بحدثي  
ويسامرنى وقتاً بعد وقت وقد وجدت في حضوره راحة وانساً فاني كنت  
اقضي اليوم قبل ذلك في كتابة او تلميم صالح شيئاً ينتفع به فلما جاء الخواجا  
زالت الوحشة عني بالمره فصرت اجلس معه الوقت الذي يقيم عندي وبعد  
قيامه استحضرت الشيخ خليلاً فيؤانسني وهذه العناية رحمة من الله تعالى بي وانا  
في هذه الحال الصعبة اسأل الله تعالى نفعي بها بفضله جلت قدرته وانشيخ  
خليل هذا هو مأذون البلد اي نائب الشرع فيها وله اخ اسمه الحاج شاذلي  
استحضرتهم لفتح خراج تحت ابطي فانه حلاق صحة البلد ولاهل البيت ثقة نامة  
بهذه العائلة فتوافني في انس بحضور هذين الاخوين وقتاً بعد وقت وانظر  
لصعوبة الامر وتعرضها للدخول عندي ثم انظر لكتمها السر تعلم انها من  
رجال الشدة الذين ملثوا همما ومروءة



٣١ غ

هات ملخص السيرة المحمدية لندخل على التفاصيل العربي ولكن  
غيرتك سهلة لا تتجاوز وصف نبيكم واخلاقه وسيرته وما كان عند دعوته  
من قومه ومن عاصروه وان كان ذلك مبسوطاً في كتب مطولة ولكنني احب  
ان اسمعه منك مختصراً بحكم المطاب ذلك لثلاث تكون المسئلة الشرقية  
مقنضية اذا لم يذكراصلها

ش

اوصاف نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم واوصاف نبيكم عليه الصلاة  
والسلام وبقية الانبياء حافظ عليها العلماء لوقوف الامم على اوصافهم واخلاقهم  
وسيرتهم ليقعدوا بهم فيما يجوز الاقتداء فيه وليعلموا من صفاتهم واخلاقهم ما  
تهتدي به النفوس لمعرفة قدرهم وعلو شأنهم ولكون نبينا آخر الانبياء وقد  
اعتنى اصحابه والعلماء من بعدهم بجمع صفاته واخلاقه وما كان عليه من الاحوال  
فجاء ذلك في كتب مطولة تلخص منها انه صلى الله عليه وسلم ولد سنة ٥٧١  
ميلادية في العام المسمى بعام الفيل من ابيه عبد الله بن عبد المطلب بن  
هاشم بن عبد مناف بن قصي بن حكيم وامته بنت وهب بن عبد مناف بن  
زهرة بن حكيم فنجتمع امه مع ابيه في جده حكيم الذي كانت تلقبه العرب  
بكلاب لكثرة صيده بها وقد ولد محتوناً مقطوع السر مكحول العينين فمما  
مفئداً يتلألاً وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر اطول من المربع واقصر من  
المشذب اي البائن في الطول عظيم الهامة رجل الشعراي كان شعره مشط  
فتكسر قليلاً ليس بسبط ولا جمع ان انفرت عقيقته اي شعر رأسه فرقا

والا تركها معقوصة لا يجاوز شعره شحمة أذنيه اذا هو وفره . ازهر اللون اي  
 نيره ليس بالابيض الامهق اي الناصع البياض ولا بالآدم اي الاسمر اللون  
 اي انه ابيض فيه حمرة . واسع الجبين . ازج الحواجب الازج المقوس  
 الطويل الوافر الشعر سوانغ من غير قرن اي من غير اتصال شعرها بينهما  
 عرق يدره الغضب أقبى العريان اي سائل الانف مرتفع وسطه له نور يملوه  
 ويحسبه من لم يتأمله اسم اي طويل قصبة الانف . كث اللحية اي غزير  
 شعرها تلاء صدره . ادعج العينين اي شديد سواد حدتيهما . انجل اشكل  
 اي واسع العينين في بياضها حمرة اخشب الاشفار . مدور الوجه . سهل الخدين  
 ضليع الفم اي واسع . اشنب اي اسنانه في رونق وفيها تعزيز كالاسنان الشباب .  
 مفلق الاسنان اي بين ثناياه فرق . دقيق المسربة وهي خيط الشعر الذي بن الصدر  
 والسرة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة . اذا افتراضا حكما افتراض عن مثل لنا  
 البرق وعن مثل حب الغمام . واذا تكلم زويي كالنور يخرج من ثناياه .  
 معتدل الخلق نادئا اي ذالحم . متماسكا اي يمسك بعضها بعضا . ليس  
 بالطم اي مسترخي اللحم ولا بالملكثم اي مجتمع اللحم الوجه . سواء البطن  
 والصدر اي مستويهما . مسبح الصدر اي ليس فيه قعس واسع . عظيم  
 المنكين بعيد ما بينهما . ضخم الكراديس اي رؤس العظام . جبل العضدين  
 والذراغين والاسافل اي ضخما . رحب الراحة اي واسعها . شان الكفين  
 والقدمين اي لحيمهما عظيمهما . سائل الاطراف اي طويل الاصابع . ضبط  
 العصب . تخضبان الاخمصين اي متجاقي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا  
 تناله الارض . مسبح القدمين اي املسها ينبو عنها الماء . انور المجرذ اي ما

جرّد عنه الثياب من جسده يرى مشرقاً . موصول ما بين اللبّة والسرة بشعر  
يجري كالخط . عاري الثديين اي من الشعر . اشعر الذراعين والمنكبين  
واعالي الصدر . طويل الزندين . اذا زال زال ثقلأ اي يرفع رجلاه بقوة .  
ويخطو تكفوؤا اي يميل الى سنن المشي ويصده . ويمشي هوناً برفق ووقار  
ذريع المشية اذا مشى كأنما ينحط من صبب اي واسع الخطو اذا مشى يرفع  
رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية الخنثال . واذا التفت التفت جميعاً  
خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السما جل نظره الملاحظة  
ليس بفظ ولا غليظ ولا صغاب في الاسواق اي عالي الصوت ولا متزين  
بالفمّش ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر كريم الخلق سديد الرأي  
وافر الحلم لباسه السكينة وشعاره البر وضميره التقوى ومقوله الحكمة وطبيعته  
الصدق والوفاء وخلقه العفو والمعروف وسيرته العدل وشريعته الحق وامامه  
الهدى وملته الاسلام استكمل الاوصاف الجبلية والكسبية من كمال خالقه  
وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضائه  
واعندال حر كاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم ارضه وقوة جاشه وتخلقه  
بالاخلاق العلية من الدين والحلم والعلم والصبر والشكر والعدل والصدق  
والزهد والتقوى والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت  
والرفق والتؤدة والوقار والرحمة والرافة والنزاهة والحزم وقوة العزم وصدق  
الفراسة والبلاغة والحكمة والحذق والذكاء والفضل والمجد والسودد والشرف  
والامانة والفظانة وكل ما ينطوي تحمت حسن الخلق الذي اخبرنا الله تعالى  
عنه في القرآن بقوله " وَاِنَّكَ لَعَلِي خَلْقٌ عَظِيمٌ " ثم هو ارجح الناس عقلاً

وافضلهم رأياً يعلم ذلك من تدييره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسته  
 العامة والخاصة وما افاضه على العالم من العلوم وقرره من الشرع من غير تعلم  
 سبق ولا تقدم بممارسة شيء من العلوم على معلم ولا مطالعة كتب ولا مخالطة  
 اهل كتاب فقد بلغ في العلم الغاية القصوى كما يعلم من جوامع كلمه وحكم  
 حديثه وقضايا احكامه واخباره عما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة  
 وحكم الحكما ومسير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسة الانام وتأصيل  
 الآداب النفسية والشيم الحميدة والفنون التي اتخذ اهلها كلامه فيها قدوة  
 وشارته حجة وهو النبي الامي المبعوث بين الاميين الذين لم يقرأوا كتاباً  
 ولا جالسوا عالماً وذلك فضل الله كما قال « وعلمك ما لم تكن تعلم  
 وكان فضل الله عليك عظيماً » جمع الناس بعد النفرة والفت الله به بين قلوب  
 مختلفة واهواء مشتتة وامم متفرقة وقبائل متباغضة . وكان قليل النوم قليل  
 الغذاء لم يمتلي جوفه شبعاً قط لا يسأل اهله طعاماً ولا يتشهاه ان اطعموه  
 اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب يجلس للأكل مستوفزاً مقيماً ويقول  
 انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد . لم يبق جوده  
 في يده شيئاً من المال فقد فتح عليه في حياته بلاد الحجاز واليمن وجميع  
 جزيرة العرب وما تاحها من اطراف الشام والعراق وجانبت اليه احماسها  
 وجزيتها وصدقتهما وسبقت اليه الغنائم وهاداه بعض الملوك بالتحف وما اشتأثر  
 بشيء من هذا ولا امسك منه درهماً ولا ديناراً بل صرفه في جهته واغنى  
 به غيره وقوي به المسلمين وقال ما يسرني ان لي أحداً ذهباً بيت عندي  
 منه دينار الا ديناراً ارصده لديني . وكان يلبس ما وجده ويلبس في الغالب

الشملة والكساء الحشن والبُرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الدباج  
المخوَّصة بالذهب ويرفع منها لمن لم يحضره . قد جبل على مكارم الاخلاق  
بجود الهي وفضل رباني لا يجاهد ولا برِياضة ومعاونة جوع وعطش فان  
الانبياء فظروا على ذلك من غير تعلم ولا ممارسة كتب تشهد بذلك سيرته وسيرة  
كل من سيدنا ابراهيم وسيدنا موسى وسيدنا سليمان وسيدنا عيسى وسيدنا  
يحيى عليهم الصلاة والسلام فان البعض منهم اوتي الحكمة والعلم وهو مراهق  
والبعض اوتيا صبياً والبعض اوتيا في المهد فدواتهم مفطورة على توحيد الاله  
بمحيت لو لم يوح اليهم بشرع ما عصوه ولا مالوا الى المعصية . وقد كان عنده  
من جودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس  
ومجاهدة الشهوة وحسن التدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وجلالة  
المكانة وعظم الجاه وحسن الوقار وفخامة القدر وعلو الهمة وصدق العزيمة ونفوذ  
الكلمة ما امتاز به بين الانام . وكان يؤلف الناس ولا ينفهم ويكرم كريم  
كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوى عن  
احد منهم بشره ولا خلقه وينفق اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبهم بحيث  
لا يحسب جلسه ان احدا اكرم عليه منه من جالس له حاجة صابره حتى يكون  
هو المنصرف عنه ومن سأل له حاجة لم يرده الا بها او يميسور من القول فدوسع  
الناس خلقه وبسطه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سراة يقبل الهدية  
ولو كراعا وبكافي، عليها ويمارح اصحابه ويضحك مما يضحكون منه ويتعجب  
بما يتعجبون منه ويخالطهم ويمجادهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره  
ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين وبعود المرضى في اقصى المدينة

ويقبل عذر المعتذر . ما اخذ احد بيده فيرساها حتى يرسلها الآخر ولم يرمقها  
 ركبتيه بين يدي جالس له . يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة  
 ما روي قط ما دار عليه بين اصحابه يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه  
 ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليهما ان ابي ويكنى اصحابه  
 ويدعوهم باحب اسمائهم تكريماً لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجاوز  
 فيقطعه بانتهاء او قيام ولا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته وسأله  
 عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان اكثر الناس تسمية بكره نقل  
 احاديث الناس اليه ونهى عن ذلك فقال لا يبلغني احد منكم عن احد من  
 اصحابي شيئاً فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر . يصل ذوي رحمه  
 من غير ان يؤثرهم على من هو احق منهم . يتواضع بين اصحابه تواضع احدهم  
 لرفيقه وقد قدم عليهم يوماً مثوكشاً على عصا فقاموا له فقال لا تقوموا كما  
 تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضاً . ويجلس حيث ما انتهى به المجلس . وفي  
 بيته يكون في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخفف نعله  
 ويخدم نفسه ويكنس البيت ويعقل البعير ويلف ناضجه وياكل مع الخادم  
 ويعجن معها ويحمل بضائته من السوق . وكان اوفر الناس في مجلسه لا  
 يكاد يخرج شيئاً من اطرافه كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة ويعرض  
 عمن تكلم بغير جميل . مجلسه مجلس حلم وعلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه  
 الاصوات ولا تؤن فيه الحرم اي لا يقنفي اثرها اشاعة لها . اذا تكلم اطارق جاساً و  
 كان على رؤسهم الطير لا يجب التوسع في الماء كل والمشارب والفرش زهدا في الدنيا  
 وزخرفها ولذائدها فما اكل على خوان ولا في سكرجة وهي الاناء الصغير .

يوضع فيه الأدم ولا خبزله مرقق ولا شيع من خبز الشعير ثلاثة ايام تباعاً حتى مضى لسبيله ولا بث شكوى لاحد ينام على فراش آدم اي جلد حشوه ليف وربما نام على مسح اي كساء من شعر بشني له طاقين او على سرير مرمول بشر يبط حتى يؤثر في جنبه . وكان خوفه من ربه على قدر علمه به تعالى فكان يصلي حتى تريم قدماه ويصوم حتى يقولوا لا يفطر ويفطر حتى يقولوا لا يصوم واذا قام بالليل للصلاة اطال القيام والسجود وسمع لجوفه ازيز كازيز الرجل اي القدر . قد ابان طريقته المثلي في جوامع كلمه حيث قال المعرفة رأس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثمة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قولي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وثرة فوادي في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي عزوجل . يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيئاً ليس بالجاني ولا المهين ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق بشي . حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا غضب اعرض واذا فرح غض طرفه وما انتصر لنفسه قط من مظالمه ظلمها ما لم تكن حرمة من حرمت الله تعالى . كان عليه برد غليظ الحاشية يوماً فجبذه اعرابي جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله تعالى الذي عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال ابيك فسكت النبي ثم قال المال مال الله وانا عبده ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت بي قال الاعرابي لا فقال النبي لم قال الاعرابي

لأنك لا تكافي بالسيسة السيئة فضحك النبي ثم امر أن يحمل له على بعير شعير وعلى  
الآخر تمر . وتصدى لقتله غورث بن الحارث وهو نائم تحت شجرة وحيداً  
فانتبه والسيف بيد غورث وهو يقول له من يملك مني يا محمد فقال النبي  
الله أي يعني الله فسقط السيف من يد غورث فاخذه النبي وقال من  
يملك مني فقال غورث كن خيراً أخذ فتركه وعفا عنه . وصبر على معادة  
قريش ومقاساة تعاملها واذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم إلى أن  
أظفره الله تعالى عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استئصاله شأفتهم فما زاد  
على أن عفا وصفح يوم فتح مكة وقال ما تقولون أي فاعل بكم قالوا خيراً أخ  
كريم وابن أخ كريم فقال أقول كما قال أخي يوسف لا أثريب عليكم اليوم  
يفغر الله لكم اذهبوا فأنتم الطلقاء . وكان إذا مشي مع أصحابه ساقهم أمامه  
ومشي خلفهم فلا يتقدمهم كما يتقدم الملوك جنودهم وركب الحمار تواضعاً  
وإردف خلفه إنساناً تعليماً لمكارم الأخلاق وركب البغلة والحيل والأبل وكان  
يجالس المرضى وذوي العاهات ويؤاكلهم ويسلم على الصبيان إذا لقيهم في  
طريقه ويكلم كل قبيلة بلغتها ويكتب إلى ملوك العرب ورؤساء القبائل  
والأقيال بلغاتهم ويكرم الوفود على أي دين كانوا ويجادل بالحسنى وينظر  
مع ملاحظة الآداب . ويصمت عند تطاول السفهاء ويأمر بالمعروف وينهى عن  
المنكر . أدبه ربه تعالى بآداب القرآن فأوحى إليه قوله « خذ العفو وأمر بالعرف  
وأعرض عن الجاهلین . وطالما ناصيته الجاهلية العداوة وتعرضت له بالأذى وقالت  
مرّة كاهن ومرّة شاعر ومرّة ساحر وهو معرض عن سفاهتهم واقترابهم منتصب  
للدعوة إلى الله تعالى لا يردده عدوانهم ولا يشبطه تحالفهم على رده ومعارضته



وكان ابوه صلى الله تعالى عليه وسلم اصغر اخوته وقد نذر جده عبد المطلب حين عارضته قريش واتعبته في حفره بئر زمزم لئن رزقه الله عشرة بنين يمنعونه من قريش لينفرن احدهم عند الكعبة لله تعالى فرزقه ابا طالب واسمه عبد مناف . والعباس . وعبدالله . والفيداني . وحجرة . والحارث . والزبير . وضرارا . والمقوم . وعبد العزى الملقب بابي لب . ورزقه من البنات عاتكة . وصفية . واروى . وام حكيم . وبرة . واميمة . وكان عبدالله وابو طالب والزبير وعبد الكعبة الملقب بالمقوم وعاتكة واميمة وبرة من ام واحدة هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمرو بن مخزوم بن يقظة . فاراد عبد المطلب وفاء نذره فاخبر اولاده وامر كل واحد ان يكتب اسمه على قدح ثم جاء بهم صاحب القداح التي كانوا يضربونها عند كل امر ارادوه وقال له اضرب بقداح بني هؤلاء واخبره بنذره فضرب فخرج السهم على عبدالله فاخذ ابوه بيده فقامت قريش وقالت ما تريد من ابنك قال اذبحه وفاة بنذري فمنعته وقالت والله لا نفعل لئلا تكون سنة يا تي الرجل منا بابنه فيذبحه في نذره وذهبوا به الى كاهنة كانت بخبير فقالت ارجعوا الى بلادكم واضربوا القداح عليه وعلى عشرة من الابل فان خرجت على الابل فانحروها او لا فزيدوها حتى تخرج القداح عليها فرجعوا وضربوا على عشرة فخرجت على عبدالله فما زالوا يزيدون عشرة بعد عشرة حتى بلغت مائة فضرب عبد المطلب على المائة ثلاث مرات وهي تخرج عليها فامر بنحروها وتحاية سبيلها لكل جائع من انسان او سبع فلذلك يقال لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ابن الذي يمين عبدالله واسماعيل فان معظم الامة يقول انه

الذي لا اسم حتى . وعبد المطلب هذا اسمه شيبة وامه سلمى بنت عمرو الخزرجية  
النجازية تزوجها هاشم بالمدينة وحملها الى مكة فلما حملت وقاربت الوضع  
عادت الى اهلها فولدته بالمدينة ومات ابوه بغزة فبقي عند اخواله حتى ذهب  
عمه المطلب بن عبد مناف فأتى به يردفه خلفه فلما دخل مكة قيل له من  
هذا فقال عبد لي ثم البسه حلة واخرجه الى قريش وقال هذا ابن اخي هاشم  
فاشتهر بعبد المطلب وكان لعبد المطلب السقاية والرفادة وهو الذي حفر بئر  
زمزم التي هي بئر اسمعيل عليه السلام وكانت جرهم قد دفنتها وعند ما  
اظهرها وحفرها جاءته قريش وقالت بئر ابينا اسمعيل فاشركنا معك فأبى  
عليهم فحكوا كاهنة بني سعد بن هذيم وكانت بضواحي هاشم فركبوا اليها  
وبيناهم في الطريق فرغ ماء جماعة عبد المطلب واشتد بهم الظما ولم تسقم قريش  
فقال لهم عبد المطلب ليحفر كل منا حفرة حتى اذا مات احدنا واره اصحابه  
حتى يكون آخرنا موتاً قد وارى جميع اصحابه فضيعة رجل واحد خبير من  
ضيعة عشرة رجال فحفروا كما قال وبقيت قريش تشرب من ماءها ولا  
تسقيم حتى مشى عبد المطلب يبحث على ماء فساخت قدم ناقته فنبع الماء  
وشرب قومه ففالت قريش الذي سقاك الماء في هذه الفلاة هو الذي سقاك  
زمزم هي لك بلا معارض ورجعوا ووجدوا في بئر زمزم حال حفرها غزالين  
من ذهب واسيافاً ودروعاً القتها جرهم فيها فارادت قريش مشاركته فقال  
نضرب عليها القداح ففرج الغزالان للكعبة والاسياف والدروع له فضرب  
الاسياف باباً للكعبة وحلاه بالغزالين . وهو اول من تعبد بجمراه  
فكان اذا جاء رمضان خرج اليه واطعم المساكين طول الشهر فوقه

وله مع ملك الحبشة القصة المشهورة عند ما جاء لحرب مكة في العام الشهير  
بعام الفيل . وعبد المطلب هذا ابن هاشم وكان هاشم احد اخوة اربعة هو  
والمطلب وعبد شمس ونوفل واسم هاشم عمرو وهو اول من هشم الثريد  
لقومه واطعم اهل مكة وكان له السقاية والرفادة فحسده امية بن عبد شمس  
على سيادته واطعمه الطعام ونافره فتحاكما الى الكاهن الخزاعي بمسنان على  
خمسین ناقة والجلاء عن مكة عشر سنين ففضى الكاهن لهاشم فاخذ الابل  
ونحرها واطعمها الناس ورحل امية الى الشام عشر سنين فكانت اول عداوة بين  
هاشم وامية . وابوه عبد مناف اسمه المغيرة وهو الذي عقد الحلف بين  
قريش والاحابيش وكان جميلاً جداً وهو احد اربعة اخوة هو وعبد الدار وعبد  
العزى وعبد بن قصي . وابوه قصي اسمه زيد وسمي قصياً لان امه  
تزوجت غير ابيه وهو صغير فانتقلت به الى بلاد عذرة مقر زوجها ربيعة  
بن حرام فلما كبر نافر قضاى وعيره بالغربة فرجع الى امه فاخبرته بنسبه  
وشرف قومه فانتظر حتى جاء الشهر الحرام وخرج مع الحاج حتى اتى مكة  
واقام مع اخيه زهرة ثم خطب من حليل بن حبشية الخزاعي ابنته حبي فزوجه  
اياها وكان حليل والى البيت الحرام فاوصى بولايته لابنته فقالت اني لا  
اقدر على فتح الباب واغلاقه فيجعلها لابنه المحترش الملقب بابي غبشان فاشتري  
قصي منه الولاية فلما رأت خزاعة ذلك تكاثروا على قصي فاستنصر اخاه  
لامه رزاح بن ربيعة فحضر مع اخوته ومن جاء معهم من قضاة وتهمياً بنو  
النضر مع قصي ووقعت الحرب بينهم وبين خزاعة وبني بكر فكثرت القتلى  
ثم مالوا الى الصلح وحكموا عمرا بن عوف بن كعب ففضى لقصي بولاية

البيت ومكة واهدر كل دم اصابه قصي من خزاعة ثم جمع قصي قومه من الشعاب والادوية والجبال واسكنهم مكة وانزل بني ميارب بن فهر وبني الحرث بن فهر وبني بغيض بن عامر وبني تيم الادرم بطواهر مكة فسموا قريش الظواهر ثم اجتمع القرية ن وولوه الملك عليهم فكان اول ولد كعب بن لؤي ملكاً وكان اليه الحجابة والسقاية والرفادة والذوة واللواء فلحاز كل شرف قريش وتينت قريش به فما تزوج امرأة ولا يعقد لواء ولا يتشاورن في امر الا في داره . وخطب في قومه فقال انكم جيران الله واهل بيته وان الحاج ضيف الله وزوار بيته وهم احق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاماً وشرباً ايام الحج فكانوا يخرجون من اموالهم فيصنع به الطعام ايام منى فيجري الامر على ذلك جاهلية واسلاماً مدة وهذا هو الرفادة . ولما كبر وكان ابنه عبد مناف ساد قومه وانتهت اليه الراسة في حياة ابيه شككا اليه عبد الدار ضعفه في قومه فاعطاه دار الندوة وحجابه الكعبة واللواء فلا يعقد لقريش لواء الابيد والسقاية والرفادة . اما اللواء فبقي في بنيه الى ان جاء الاسلام فابطله واما الرفادة والسقاية فان بني هاشم وبني عبد شمس وبني المطلب وبني نوفل اجتمعوا على اخذها من بني عبد الدار لشرفهم عليهم ففترقت قريش مع الفريقين فكان بنو زهرة وبنو اسد وبنو تميم وبنو الحرث مع بني عبد مناف وكان بنو سهم وبنو جمع وبنو مخزوم وبنو عدي مع بني عبد الدار وتحالف كل فريق مع حزبه وتباً والقتال ثم انتهوا الى الصلح على ان تكون السقاية والرفادة لبني عبد مناف فكانتا بعده في هاشم ابنه ثم للمطلب اخيه ثم لابي طالب ثم اعطاها لاخيه العباس واما

دار الندوة فبقيت لعبد الدار وولده من بعده حتى باعها عكرمة بن عامر ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن معاوية بن ابي سفيان فجعلها دار الامارة بمكة ثم دخلت الحرم واما العجبة فبقيت في بني عبد الدار الى الآن وهم بنو شيبه بن عثمان بن ابي طلحة بن عبد العزي بن عثمان بن عبد الدار . وانما ذكرنا هذه النبذة من تاريخ اجداده صلى الله تعالى عليه وسلم لتعلم انه سيد ابن اسيد وانه عريق في الشرف والمجد ولا تزال تترقى اجداده الى عدنان وكل واحد له فضل ما نوره وذكر مشهور وسيادة في قومه وعز بين قبائله فلم يجي من قوم ادنياه ولا من جماعة وضعاء ولا من سفلة الناس بل جاء من اعز بيت واشرفه واكرم قبيلة واعزها وافضل شعب واجده تحوطه السيادة من آباءه وامهاته ولولا خشية الملل لذكرت آباءه آباءً آباءً وامهاته أما أمًا ولكن ذلك مشتهر معلوم مدون في امهات الانساب ومطولات كتب السير والاخبار . توفي ابو عبد الله بالمدينة وقد ارسله ابو عبد المطلب يمتاز له تمرًا والنبي حمل في بطن امه ثم ولدته وارضعته في بني سعد فان العرب كانوا يرضعون اولادهم من الغير ليأتي الولد نجيبا اذ كانوا يقولون ان ارضاع الام ولد ما مفسد لاخلاقه وذلك لانها ترضعه فرق ما يلزم من اللبن شفة عليه وهي انما تسمى في التخمة فتجلب عليه الامراض بسوء تدبيرها ثم انها تقصر في كفه عن القبح رحمة به فيخرج سفيها غير مهذب بخلاف المرضع فانها لا ترضعه الا ما يلزم من اللبن لتوته وتنظفه وتتركه يتحرك ويتربض وتقره عند ما يشب ويمشي وترده عن الرذائل بعنف لئلا يعود فيخرج مؤهلا للكلمات . وقد كنهه بمد اييه جده عبد المطلب حتى

توفي فكفله عمه ابو طالب حتى كبر فكان يسمى بين اهل مكة الامين وما وقعوا في امر الاحكامه فيه واشتهر بالصدق والشجاعة والامانة وعلو الهمة فلما بلغ الخامسة والعشرين من عمره خطب له عمه ابو طالب خديجة بنت خويلد بعد ان ارسلت الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تعرض نفسها عليه للزواج فامر بها ابو طالب ودعا قريشاً وخطب فيهم خطبته الشهيرة فدخل بها واولدها القاسم وعبدالله وفاطمة ورقية وزينب وام كلثوم واولد مارية القبطية ابراهيم . وقد حضر عليه الصلاة والسلام حلف الفضول وهو ان الفضيل بن الحرث الجهمي والفضيل بن وداعة القطوري والمفضل بن فضالة الجهمي اجتمعوا فتحالفوا على ان لا يقرؤا ببطن مكة ظالماً وقالوا ان الله تعالى عظم امر مكة فلا ينبغي لها الا ذلك ثم درس ذلك بتوالي الزمن حتى اجتمع بنو هاشم وبنو المطلب وبنو اسد وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة في دار عبدالله بن جدعان وتمالفوا على انهم لا يبعدون بمكة مظلوماً من اهلها او من غيرهم الا قاموا معه وكانوا على ظالمة حتى ترد اليه مظلمته وسموا ذلك الحلف حلف الفضول وقد حضره النبي ونال حين ارسله الله تعالى لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبدالله بن جدعان ما احب ان لي به حمر النعم ولو دعيت به في الاسلام لاجبت . فانظر هذه المكرومة التي اتخذها العرب ايام الجاهلية وهم سكان جبال وقنار ما قرأوا كتاباً ولا عرفوا مدينة ولا خالطوا اعماماً مهذبة وهل يوجد في الجمعيات الانسانية التي تفتخر بها اوربا الآن جمعية مثل هذه التي تاخذ للمظلوم بحقه من الظالم وتحفظ الحقوق لاهلها وتكف يد الاستبداد عن كل ذي روح . كل جمعية انسانية

بعد هذه لاتساويها في الدرجة كيفما علت مراتبها وشرفت مقاصدها  
 ووقع بين سيدنا الحسين ابن سيدنا علي بن ابي طالب وبين الوليد بن عتبة  
 منازعة وهو اذ ذاك على المدينة من طرف عمه معاوية فتعامل الوليد على  
 سيدنا الحسين لتمكته من القوة والسلطان فقال له الحسين اقسم بالله  
 لتنصفني او لاخذن سيفي ثم لاقومن في مسجد رسول الله صلى الله تعالى  
 عليه وسلم ثم لادون بجلف الفضول فقال عبد الله بن الزبير وانا احلف  
 بالله لو دعا به لاجبته حتى ينصف من حقه او نموت وبلغ الخبر المسور  
 بن مغزفة وعبد الرحمن بن عثمان التيمي فقالا مثل مقالته فلما رأى الوليد  
 تدافع الناس حوله انصف سيدنا الحسين من نفسه ورد له حقه ولو وجدت  
 جمعيات كهذه الآن لآبادت خلقاً كثيراً . وفي السنة الخامسة والثلاثين  
 من مولد النبي صلى الله عليه وسلم هدمت قريش البيت وبنته حتى بلغ  
 البنيان موضع الركن وفيه يوضع الحجر الاسود فارادت كل قبيلة رفعه الى  
 موضعه ووقع بينهم الخلاف وانتهى الى تحاقمهم على القتال ومكثوا اربع ليال  
 يتشاورون فقال ابو امية بن المغيرة اجعلوا بينكم اول من يدخل عليكم  
 المسجد حكماً يقضي بينكم فدخل النبي عليه الصلاة والسلام فقلوا هذا الامين  
 قد جاء رضينا بحكمه واخبروه الخبر فقال لهموا الي ثوباً فاتوه به فاخذ  
 الحجر الاسود ووضعه في الثوب ثم قال لناخذ كل قبيلة بناحية من الثوب  
 ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا فلما بلغوا به الموضع الذي يوضع فيه وضعه بيده ثم بنى  
 عليه . وكان الذي يلي هذا البيت سيدنا اسمعيل وولاه بعده ابنته نبت ثم  
 غابت جرحم على ولد اسمعيل فاخذته منهم فوليه مضاض ثم بنوه من بعده

حتى بغت جرمهم واستنعت حرمة البيت وظلموا من دخل مكة من الحاج  
وغيرهم وظهر فيهم الزنا والفساد فسلط الله عليهم الرعاف ثم اجنمت خزاعة  
على اجلائهم فافتتلوا حتى هزمت جرمهم فخرجت الى ارض جهينة فجاءها سيل  
فذهب بهم اجمعين وفيهم يقول عمرو بن الحرث  
كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر  
بلى نحن كنا اهلها فابادنا صروف الليالي والجدود العوائر  
فولى البيت بعدهم عمرو بن ربيعة رئيس خزاعة ثم وليته قريش بعد  
خزاعة الى ان جاء قصي فاخذها وانفرد برآسته بين قريش كما لقدم . ثم اخذ  
النبي يتعبد في غار حراء من صغره فلم يعبد وثنا ولا حضر ذبيحة لصنم ولا  
اجتمع مع قريش في مجمع عبادة بل كان يخلو بنفسه في الجبل وربما اقام  
فيه الليالي الكثيرة العدد وكما رأى قريشاً حول الاصنام سفه احلامهم وقبح  
آراءهم وزجرهم عن عبادة صور يصنعونها وحجارة ينحوتونها بايديهم وذكركم بدین  
ايهم ابراهيم وكان اليهود يحذرونه ويقرارن نخشى ان يكون هذا المبعوث  
آخر الانبياء فيبطل ديننا ويدعو الى كلمة سواء وقد حذر بجيرا الراهب عمه  
ابا طالب وقال ان ابن اخيك هذا يكون له شأن عظيم ولئن ظفر به بنو  
اسرائيل ليفعلن به شرًا فاحذرهم واحتفظ به وعاش في قومه اربعين سنة  
قبل ان يرسله الله تعالى ما ضبطوا عليه كذبة ولا رأوه وقع في مكروه ولا  
تلبس بمعصية ولا تمدى على احد ولا تعرض لجاره ولا طمع في مال ولا تطلع لجاه  
ولا زاحمهم في نادي لهو ولعب ولا شاركهم في شيء من عوائد الجاهلية ولا  
يجل بعباء ولا حكم بغير حق ولا تكلم بلفغو ولا افحش في قول ولا اثار فتنة



ولاوشى باحد ولا نم على احد ولا افسد بين اثنين ولا قصر في صلح المتنافرين وتأليف المتباغضين حتى كان احب الى قریش من ابائهم بل من انفسها لما خص به من الصفات الحميدة والاخلاق الجليلة والافعال الجميلة وكان على جانب عظيم من اللين يطعم الطفل ان يقعد في حجره ويبعث في زدائه ينتصر للمظلوم ويتقاضى له خصمه ويعينه على رد حقه لا ينطق الا بقول فصل وحكم عدل له هيبة في القلوب كانه ملك يحاط بجنود واعوان دخل عليه في بيته رجل فاخذته الهيبة فارتعد فقال له هون عليك فانما انا ابن امرأة كانت تأكل القديد فتنازل له في الخطاب ونسب نفسه الى امه تواضعا ووصفها بانها كانت تأكل القديد لئلا يظن الرجل انه ابن ملك فيقع في قلبه ما يقع عند مقاباته الملوك وهذا تواضع غريب وابن جانب لم يلجته فيه لاحق وكم له من سجايا واخلاق واوصف ان وجدت واحدة منها في انسان انطلقت الاسته بمدحه والثناء عليه بما يفوق الاطراء وقد جمعت فيه خلقه وفطرة بخلق الله تعالى وحسن عنايته به فحق له ان يفخر بقوله ادبني ربي فاحسن تأديبي

غ ٣٢

ومن الذي رباه هذه التربية وعلمه هذه العلوم وفي اي مكتب وصل الى هذا التأديب والتهديب فان الانبياء السابقين تعلم كل منهم على استاذ معين وهو صغير ثم افيضت عليه الكمالات حتى تأهل للرسالة فارسله الله تعالى وهو مرشح لارشاد الخلق ودعوتهم الى عبادته ولم يبعث نبي الا وهو متعلم ما به يؤيد حججه ويقوم برهانه فان مجرد الارسال لم يكن كافياً في بث

الحق في اذهان الناس خصوصاً ومعظم الانبياء انما بعث الى قوم وثمين  
فنزح ما بأفكارهم من الاعتقاد المتوارث عن آباءهم لا يكون بمجرد الاخبار  
بالرسالة او قراءة شيء من الكتاب الداعي الى الاخذ به والعمل بما فيه بل  
لا بد وان تكون الدعوة مصطبحة بقوة علمية جدلية واتمدار على المناظرة  
واطلاع على سير الامم واحوالهم فهذا تعجبت من حسن ما سردته من سيرة  
نبيكم وطلبت منك بيان مكتبه ومعلمه لا كون على يقين في شأنه

ش

انت تعلم ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولد بمكة كما اخبرتك  
وكانت مسكن الاميين بل ان العرب كادوا ان تعميهم الامية فانه ما كان  
يوجد في مثل مكة الا آحاد من الناس يعرفون الكتابة ممن يترددون على  
اليمن وبلاد نجران وبلاد الشام للتجارة وحضور المواسم وقد تربى نبينا صلى  
الله تعالى عليه وسلم في بني سعد رضيعاً ثم سلمته مرضعته الى جده عبد المطلب  
وهو تركه تحت وصاية عمه ابي طالب فخرج امياً لم يتعلم قراءة ولا كتابة  
ولاجلاس بين يدي معلم من اهل الكتاب يدلك على ذلك اطلاق الام على  
اختلاف ادبانهم واوطانهم ولغاتهم على انه امي<sup>١</sup> وعدم اتهام قريش له بقراءة  
كتاب او حفظ تاريخ ولم يسمع ذلك عنهم مع انه تعرض لتسفيه احلامهم  
وتزييف عبادتهم وتقييع عوائدهم ودفعهم عن معبوداتهم الباطلة باشد ما يكون  
من المنقريع والتوبيخ ولم يتجرأ واحد منهم على نسبة ما يقوله للكتاب او لمعلم  
غاية ما قالوه بعد انتشار دعوته ان سلمان الفارسي بعلمه مع انه ما صحبه الا  
بعد الدعوة بكثير على انه كان فارسي<sup>٢</sup> العبارة لا يحسن العربية والنبي<sup>٣</sup> لم يتعلم

الفارسية حتى يحسن الاخذ عنه وما أخرجهم عن نسبته الى معلمين الا علمهم بانه تربي بين ايديهم لم يخط بقلم ولا قرأ في كتاب ولا صحب كاهنا ولا حبرا ولا عالماً بالسير وال اخبار وكان اكثر ما يقولون انه ساحر او كذاب وهذان وصفان لا يستازمان سبق تعلم قراءة او كتابة فان السحر قد يشتغل به الرجال الذين لا يكتبون والنساء اللاتي لم يخالطن العلماء والقراء فلذا سهل عليهم ربه به ونسبته اليه ولطالما وقع لهم معه وقائع تستدعي الكتابة كيوم الحديدية فاستدعى عليا بن ابي طالب ليكتب عنه ولم يقل له احد هم اكتب بيديك فانك متعلم لست بامي . وكما انه لم يتعلم الكتابة لم يجالس كهانهم وحكائهم لعلمه انهم يتكلمون باللغو والباطل ويجذبون قلوب الناس بما يفترونه وما يزينونه لهم من الاعمال فكان يتماشى مجالس هؤلاء ويجالس الاميين والضعفاء ولو كان تعلم شيئاً من العلوم او صحب عالماً مرة لامثلاث كتب الاخبار بذلك خصوصاً كتب الذين يعارضون دينه ويبحثون على ما يصفون به حجه ويدفعون به دعواه الأيحاء اليه خصوصاً عندما يسمعون قول الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجذونه مكنوا با عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، وقصص كتاب الوحي معه لا يخلو منها تاريخ ولا ينكرها من له ادنى اطلاع فهو امي امية لم تشب بتعليم ما والذي تسمعه من سيرته فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

غ ٣٣

ومن امي شي كان يرتزق قبل بعثته فاني اسمع كثيراً من الناس يقولون

انه كان ياكل من مال زوجته خديجة

ش

من لا اطلاع له على الحقائق والسير الحقة يقول ما يشاء لا يبالي اخطأ  
او اصاب فان شهرة آباءه وبيت هاشم تغني عن التفصيل ولكن لزيادة الايضاح  
اقول لك ان جده عبد المطلب كان غنياً بل كان اغنى اهل مكة وقصته مع  
ابرهة ملك الحبشة في طلبه رد ابله معلومة وكذلك افتداؤه ولده عبدالله  
بمائة ناقة وذبحه للحاج ما يقوم بكثير من الوفود وبعد وفاته كان في كفالة  
عمه ابي طالب وكان عمه هذا يتجر في القماش والزيت وله حظ وافر  
بين اهل مكة وقد امهر خديجه عشر قلائص وغنى عميه العباس وعبد  
العزي لا يختلف فيه اثنان فهو من بيت مجد وشرف وثروة تناسب حال  
ذاك الزمن وتلك البقعة الجرداء وما كانت تنفقه خديجة انما هو في خاصة  
نفسها وحاجة بيتها فان الركون الى ثروة المرأة لم يكن مالوفاً عند العرب  
كما هو مالوف عند الاوروبيين الآن وقد بقي عمه ابو طالب حياً يتفق  
عليه حتى بلغ من العمر تسعاً واربعين سنة ولو علم اهل مكة ان خديجة  
كانت تنفق عليه وتطعمه لبروه بذلك وعدوه من دواعي احتقاره وعدم  
اعتباره ولم يسمع من اهل مكة قول في هذه القضية وعندما امر بالقتال كان  
ياكل من سهمه الذي ياخذه من الغنائم . ومعلوم انه بنى امزه على الزهد  
والاقتصاد وعدم التوسع في المعيشة فلذلك كان يقنع بميسور العيش وما  
زاد عن نفقته ينفقه ولا يتركه يبيت عنده ومن كانت هذه صفته كان  
ابعد الناس عن التطلع لمال الغير والطمع فيما بايدي الناس من النعمة  
وسيان عنده ايسرت زوجته او اعسرت الا ترى انه اخذ زوجات بعدها

كان يفتق عليهم وأيس لاحداهن شي . يذكر من المال والمناع فهو في  
نزاهة نفس وغنى بيت لا يذكر في جانبه احتياجه لثراو مثرية خصوصاً  
وثقته بالله تعالى لا تعادها ثقة مخلوق وهو يقول له لا نسألك رزقاً نحن  
نرزقك والعاقبة للتقوى

٣٤

غ

انه زوج بعض بناته قبل بهنته فعلى اي شرع كان يزوج ويتزوج

ش

كان يزوج ويتزوج على شرع اسمعيل فقد كانت العقود عندهم  
مروفة على ايجاب وقبول وكانوا يهرون النساء ويولون لحضور القبيلة  
مجانس المقدم فيقوم الرجل ويخطب الخطبة وفيها يصرح بخطبة المرأة ومقدار  
مهرها فيميبه الولي وتم صفة العقد على صورة شرعية وعلى هذه الصورة  
زوج بناته وتزوج ازواجه وكذلك اباؤه الاعارن ما اخذوا زوجاً بغير عقد  
شرعي كما قال ما ولدني من سفاح الجاهلية شي .

غ

حسبك الآن سرد ما قلته وفي غد نجتمع ان شاء الله فان عندي  
اشغالاً تختص بالعزبة اذ لا يخفك اننا نجتمع القطن الآن واحب ان اقف  
آخر النهار عند المخزن لوزن ما يحضره الجماعون وملاحظة وضعه في المحل  
الذي اعينته للشغالة - هذا صديقتنا المحترمة محمد الممشري حضر من طرائس

محمد

السلام عليكم ورحمة الله - ان حضرة الاستاذ الاكبر رضي الله تعالى

عنه يسلم عليك ويقول لك دع عنك هذه الوسوس والاهام واشتغل  
 بطاعة الله تعالى واكثر من ذكر الله ليلا نهاره ينور الباطن ويصفي القلب ولا  
 تعاق أملك بجزوجك في هذا الهمام او الذي بعده فان الامد طويل وعلمه  
 عند الله تعالى والشئ الذي استأثر الله بعلمه لا تشغل نفسك به بل اشغل  
 وقتك بما ينفعك ولا ينفعك الآن الا الالتجاء الى الله تعالى والانقطاع اليه  
 والتوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حالة لا ينفعك فيها صدق  
 ولا صاحب ولا يقرب منك اخ ولا خليل وليس بعد هذه الشدة شدة  
 فاجتهد في الطاعة والابتغال الى الله تعالى واعمر وقتك بالعبادة او بالاشتغال  
 بكتابة تنفع عباد الله تعالى وقد اكد علي ان اشدد عليك بطاب قراءة  
 سورة يس احدى واربعين مرة كل ليلة وان قرأتها العدد المذكور في النهار  
 مرة كذلك كان احسن وقد اخبرني بذلك وهو ضاحك فاستبشرت وزال  
 ما عندي من الفكر في شأنك والله تعالى يحسن العواقب

غ ٣٥

من هذا الاستاذ واي ارتباط بينك وبينه

ش

هو استاذنا الكامل المولى الفاضل الورع التقى السيد شحانة القضي  
 وهو شيخ من الصالحين المنقطعين الى الله تعالى ولكنه يأكل من كسبه ويقوم  
 بيته ولا يطلب من الناس شيئاً ولا يأخذ عوائد من مريديه كما يفعل اشياخ  
 الطريق بل بيته مفتوح للصادر والوارد وكرمه زائد وفضله مشهور وهو الذي  
 اخبر صديقي محمدا الممشري بمكاني الاول وبعث لي جواباً يقول لي

فيه قم معه ولا تبرح من عنده حتى يأتبك اذني ولي به ثقة عظيمة لتقواه وحسن صلاحه وقوة يقينه ولطف سيرته التي انفرد بها في عصرة ونحن معاشر المسلمين نعتقد ان الارواح الطاهرة تلهم من جانب الحق سبحانه وتعالى ما لا تلهمه الارواح الخبيثة فلذا اعتقاد في الصالحين من شيوخننا لاعلى ما اخبرتني به في اسكندرية من اننا نعتقد ان الاولياء يخلقون ويدفعون المصائب بانفسهم ويجابون التوائب بقدرتهم فان اعتقاد ذلك كفر صريح عندنا وانما نعتقد ان دعاء الصالحين اقرب الاجابة من دعاء غيرهم فلذا نقصدهم لطلب الدعاء عسى الله ان يقضي الحوائج ببركة دعائهم فقد قال في كتابه الذي نعتقد صحته . ادعوني استجب لكم . وهوؤلاء الاشياخ تلقوا كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله عن اشياخهم بالسند المتصل الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فالتاس وان تلقوها عن آباءهم وصاروا بها مسلمين فانهم ياخذونها عن الاشياخ للبرك بالسند الذي هو كالحجة والبرهان او كالرخصة من الشارع في ذكرها . ثم ان الاشياخ شانهم بذل النصحية والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم مكارم الاخلاق والحث على الطاعة . وكل شيخ له جملة تلاميذ يتلقون عنه وهوؤلاء يصبرون اخواناً ينفع بعضهم بعضاً ويتزاورون ويتناصحون ويتسألون فيما بينهم عن العقائد والفوائد النافعة للدين والدنيا ولا يوجد في الجمعيات التي عقدت للمرأة آخاة ما يوجد عند اخوان الطريق المخلصين من الالفه وحسن التردد ومدار ذلك على استقامة شيخهم وحسن سيرته فان كان مستقيماً مخلصاً بعيداً عن الرياء وحب المظهر والجاه مقبداً بالكتاب والسنة كان

ابناؤه على قدمه . وانتفعوا بصحبته ومواعظه وان كان من اهل الدعاوي  
 الباطلة المحبين للمظهر والجاه المتمرضين لاموال الناس المقصرين في الطاعة الميالين  
 للبدع والاهواء لم ينتفع به احد ولا تؤثر تربيته ولا يفيد مرديبه غير الخسران  
 والضلال بتقليده فيما يدعيه . ويتحمله . والناس تظن في شيوخ الطربق  
 الظنون الفاسدة ويرمونهم بالنقيصة جهلاً بحقيقة الامر وقياساً لاهل الحق  
 على ما يرونه من اهل الباطل . انظر لشيخنا كيف يامر بالطاعة وينهي عن  
 المعصية ويحيل الامر على ما عند الله ويلزمنا بالانقطاع عن الخلق والالتجاء  
 الى الخالق والاشتغال بذكره ليصرف عني الهمم والافكار السيئة ويريمني من  
 الهواجس والخواطر بما يحدته التوكل على الله تعالى من الثقة به وعدم الخوف  
 من سواه واطمئنان النفس بركونها الى العزيز القادر جل شأنه فأكل واشرب  
 وانام وانا في راحة بال منصور عن الهواجس موقن بان المقدر كائن فان  
 كان خيراً فلا يدفعه الامن وان شراً فلا يئمه الخوف فاولى ان اريح افكاري  
 واشتغل بما امر به تاركاً العقبي لما جرت به المقادير من قبل

غ ٣٦

وهل تقابلت مع الشيخ في هذا الاخفاء قبل حضورك هنا

ش

لم اتقابل معه الى الآن وانا بعثت اليه من اخبره بكاني الاول وكنت عازماً على  
 السفر الى الشام ومنها الى اوروبا فممنني من الخروج من البلاد وامرني بالتستر  
 حتى يقضي الله تعالى بالفرج وقد رابت بركة رأيه فان السيد حسن موسى  
 العقاد وسايان بك نسامي قبض عليها بعد خروجها من البلاد فلو كنت



خرجت الى الشام لقبض عليّ هناك كما قبض عليهما في بلاد الدولة . وانا  
الآن ابن في هذا المكان . معتقد انه لا يصيبني الا ما قدره الله تعالى واراده .  
وما احب ان اخرج الى بلادكم بطريق الحرب فاني غير واثق بنجاح العمل لي  
هناك لعلمي ان الشرقي لا ينتفع بشيء منها الا ان يتجر في مصنوعها بإرساله  
الى الشرق ووربما لم يصادف نجاحاً بما كسبه اهلها له وليس عندي ثروة تساعدني  
على الإقامة فيها بلا عمل ولا اريد ان اكلفكم بصرف زائد لاجل غير معلوم  
فأولى لي ان اقيم ببلادي منتظراً لتفريج كربتي ولا يخف عليك ان كل شيء له  
غاية ينتهي اليها وامري لا بد وان ينتهي باحدى الغايتين السلامة وهي  
المرجوة او العطب فلا ينبغي ان اجعل حياتي المتوسطة بين الوقت الحاضر  
والغاية محل كدر واهام بل اللازم ان اصرف الوقت في عبادة وكتابة حتي  
اصل الى الغاية وانا صحيح الفكر والجسم ان شاء الله تعالى

٣٦ من

ارى ان السيد بعد سرد صفات نبينهم ( عليه الصلاة والسلام ) سيدخل  
على المسئلة الشرقية ببيان اصول دعوتهم وانتشارها وابتداء التخاذل الحاصل  
بين الامم الآن بسبب الخلاف الديني واحب ان يؤخر السيد هذا ويوسع لي من  
جانبه ايمكنني من الخوض معه اولاً في بحر عصبيته الشرقية الارمنية او السامية  
وما كانت عليه قبل البعثين وبعدها من حيث المدنية والسياسة والعوائد  
والاخلاق والمعاملة وارتباط فروع هذه الجنسية المنتشرة في جزيرة العرب والشام  
ومصر والغرب والعراق والحبشة وما تتخلل الحالتين من العوارض والمقتضيات  
وما بارضكم من المعدات العمرانية والمعينات الاستيطانية وما خصصتم به من

الطباع والفطريات قبل ان ندخل في المقابلة بين المسئتين الشرقية والغربية  
لاقف على الحقائق اصولاً وفروعاً قديماً وحديثاً حتى لا ارجع الى الحوادث  
الحالية ومظاهرها واعرف سياحة ملوككم واطبقها على سير عصبيتكم لا تبين  
النفور الحاصل الآن بين المانين في وطن او وطنين واتحقق ما للصبية  
الشرقية من الارتباط والافتراق قبل البعثين فاني ارى هذا البحث يكشف  
وجوه المسئتين ان لا وقوف له على الحقائق الا بالسباع والتلفيق من متعصب  
او متغال في الاطراء او متلون بمشربه

ش

لم تقترحني غير ما همت بان اوعز اليك به فاطرحي رداء الخبايا والمالاة  
وشمري عن ساعد الجد في البحث والنقد والاعتراض واستقصاء الاحوالنا  
الشرقية وكل ما كان عليه قومنا وما طرا عليهم ولا توخري امرا مراعاة للجانب  
ولا تنفاضي عن آخر في جانبك فهات سوءا واخذني جواباً حرّاً لنا وعلينا  
فلمباحث تكشف الحقائق وتعرف البسائط وتعمل المركبات غير اني ارجوك  
ملاحظة النظام الموضوع وتنبع فروعاً من غير شذوذ الى غيره مع مراقبة انا  
في النأيس الشرقي فلا تعولي عنه الى التفريع وعوارض المسئتين حتى لا  
نتشوش المطالب بتوزيمها في اطراف المناظرة ونرجو حضرة الخواجة ان يعن  
النظر ويدقق البحث فيما يدور بيننا لينبهنا على خطأ او يردنا عن خروج  
او يعترضنا بما يعن له كما ارجوك ان لا تخرجني بي الى ما يهزني عن الجواب  
لعدم المواد وان لا توأخذيني بما اقصر فيه مما اقف عند التخييل منه او المحفوظ  
فان سوءالك تضمن مباحث طويلة ومواضيع واسعة

ما حماني على تطابي هذه المباحث والوقوف على حقايقكم قبل البعثين  
 الافكار اشغل ذهني وذهرل اعترائي وأسف عظيم اكمدني عند ما مررت في  
 فلوات الشام وبجناح بلدانه في الشهر الماضي عند قدومي من دمشق الى بيروت  
 بعد ما زرت شقية التي اذ رأيت آثار التدمير والتغريب ونظرت في تلك الاودية  
 الوسيعة الحالية من السكان بقدرت عدداً من النفوس الهادمة ممن كان يسكنها  
 ويمررها فكاد يخلع عظمه قلبي لشدة تأثره به ثم تصورت ان تلك الارواح  
 المطهرة والنفوس الزكية اقتطعت زهرة حياتها من رؤس اغصانها في سبيل الدعوات  
 الدينية والمغالبات الماكية وبينما انا اذ كرت في تلك الامم وما دهمها من الغارات  
 خطرت لي الحروب الصليبية ومن هلك فيها من الامنين الشرقية والغربية  
 فتبرت جوانحي وتشجبت اعضاءي وارسلت عيونني دمعاً كاد ان يخط له مجرى  
 في خدي وكما هممت بتخطيء امة من وجه صوبت عملها من آخر ولا  
 اراك الا متأسفاً مثلي نائماً على من انعم عليهم عند كشف حقائق الظالمين  
 والمتغلبين فلما العرب والشاميون فرعان من الفروع السامية او الاربية وقد  
 اخذا دوراً عظيماً في المدنية ابام الجاهلية الاولى غلبني البكاء بمجرد التذكار  
 فلا حول ولا .....

ش

آه آواه من ألم ألم باجسام العقلاء لآبره منه مدة دوام الشام وهي  
 لا انقضاء لها ما بقيت الأجزاء الارضية اشركيني معك في مسح الدمع ساعة  
 على جنة يبست اغصان ثروتها وذوت ازهار بهجتها ونضبت ميساه حياتها

فأصبحت محل تذكار واعتبار . تلك الساحة التي كانت ميدان الرهان  
ومجرى السوابق ونشأة الصناعة ومكتب المعارف ومبدأ السياحة ومجمع  
التجارة ومرجع الملاحة ومسكن العز ومثوى الرفاهية ومقل الاتجا، ومرجع  
المفاخر ووطن الحركة وارض النشاط ضربت عليها السعادة خيامها فقصدتها  
العالم بفتياء ظلالها وينداوى بمرف شذاها ويتلبس من نور معارفها ما يستضيء  
به في ظلمات اوطانه . هذه هي الارض المباركة الطيبة التي بذورها وفي مجاورها  
الجنس القوقاسي حبة الاصل الاربي فانبتت شجرة مباركة تحلت بفروعها العربية  
والشامية والمصرية والاندلسية والمراكشية والعراقية والحبشية ثم نمت تلك الفروع  
وتشعبت منها اغصان عمرت كثيرآ من الحزاب واصلحت اقطارآ فاسدة وزاحمت  
الوحش في غاباته حتى طردته الى الاقاصي وزينت وجه الارض بمظاهر العمران  
ثم ظهرت تلك الفروع والاغصان بابتداع الصنائع والآلات والمعدات التي بها  
خرج العالم من الكهوف وتمتع بلذائذ لم تكن في تصورهم فضلاً عن اكنانه .  
هذه هي الفروع التي سارت امام العالم تعدوه باناشيد العمران ونغوده بتعود  
المدنية ايام كانت فروع الاجناس المغوية والملابارية والهند الجرمانية  
( الاورو باوبه ) والزنجية نامية في الجبال والمغارات تنغذى بطبيعي النبات  
وتلتحف بجلود الحيوان منكبدة على الوثب الحيواني ، منقادة للطبيعة البهيمية  
فارغة من الآداب والكمالات فمدت هذه الفروع العمران في الاقطار  
وفتحت ابواب الاكتشافات البرية وخاطرت حتى دخلت المضائق البحرية  
ووصلت الى كثير من الجزائر والمغارات ونقلت اليها الوفا من قبائلها واختطت  
بها مدناً وبلدانآ لا تنقص عن الوقت الحاضر مدنية بالنسبة لدورها الاولى

ونشرت علي العالم علم تمدن قتر بي كثير من الامم تحت احضانها حتى تهذبوا  
وعرفوا قدر الجنسية وشرف الوطنية بما غنثهم من ألبان معارفها وما اشغلت  
به افكارهم بالاحتكاك في افكارها فقاموا عليها ووزقوا علمها واخذت كل امة  
قطعة لونها بلون خاص ونشرتها على مرزعات اوطانها فيما تربته من اعلام المدنية  
الكثيرة العدد الآن هي تلك القطع التي كانت مجتمعة في العلم العربي  
المرفوع على مصر والشام والمغرب وبلاد العرب والحبشة والعراق فلا بدع ان قلت  
بالشرفيين تمدن العالم ومن شرقهم ظهر العمران فابك الآن على بقايا تدل على  
كليات واثار تدل على ام ولك العذر في البكاء ولاوم علي ان ضربت الكف  
بالكف اسفاً واكلمت اصابعي غيظاً وندماً - واسمع حضرة الخواجة يقول  
اننا تأثرنا بعبارة حركت سوا كتبنا واني انتقلت من الموضوع العربي الى موضوع  
شامي انكلم فيه بجرقة مصحوبة بقبض دمع وتصعيد زفرات - اما التأثر فطبيعي  
لكل باحث في آثار الاوائل عنقبض من اهمال الاواخر واما الموضوع فاني  
لم اخرج عن الموضوع الشرقي بل التاصيل العربي المتفرع مع الاصل الشامي  
من اصل واحد وانما الدم الجنسي يميل بوحداته المتفرقة الى جرثومة الاجتماع  
ويجتمع في دورته حول اروحة المذاهب . فما رأيت من انتمالي عند ذكروطن  
اربعي على اختلاف فروعه فذاك قسري يجذبه الطبع فيتراخي فيه التطبع  
فقد قال علماء السير والتاريخ ان اولاد سام بن نوح الشهيرين عند الافرنج  
بالقوقاسيين عند ما تفرقوا نزل كنعان بن سام بولده دامتقيوس وولده ولده  
بارض الشام ونزل ارفخشذ بن سام بولده عابر وولده بفسطين من ارض  
سورية ونزل القارح بن سام بولده همذان وولده وسط الجبال من بلاد

فارس ونزل اشور بن سام باولاده باسل وازران ونبيط وولد اولاده بارض فارس فالديلم من باسل والفرس والحزرم من ايران والنبيط والسرياب من نبيط ونزل اليقن بن سام بولده الروم في آسيا الصغرى واختطت زبطرة بنت ابنه الروم مدينتها الشهيرة باسمها ونزل ارم بن سام باولاده اشوذ ولاوذ وجاشر وجديس وعابر وعرض بمجزيرة العرب فمن عوض جاء عاد ومن عابر جاء ثود ومن لاوذ جاء عمليق ومن جاشر جاء طسم . والتمتأخرين من مؤرخي الافرنج اختلاف مع المتقدمين في هذا التفرع بل في الاصل التوليدي لا نطبل بذكره لما في ذلك من الخروج عن حد الايجاز الملتزم . وكيف لا ترى مني ما ترى والست تعرض لي بحركات جنسية تدافعت تدافع الصخر من قم الجبال فكسر بعضها بعضاً . ام كيف لا ارسل العبرات وهي تذكري بارض رضي الله والانسان عنها وجفاها اهله وعتها بنوها . الست ترى ان جميع الاديان على اختلاف مصادرها لم تظهر الا من هذا الجنس العاق لمفار نشأته فان مهابها منحصرة في العرب والشاميين والعراقيين وهم كما قدمنا اباء جنس واحد لم تدخله امشاج المولدين ولا اخلاط الدخلاء ثم هم هم الذين انقسموا العداوة ووزعوا الاحقاد في مجامعهم العمرانية تاركين تعاليم كتبهم الاديبة وارشاداتها المذنية آخذين بظواهر الاختلاف والتباين حتى قست القلوب وافترقت الكلمة وثنافر الانارب واختالف الاهل وعرفت الاجنبية بينهم فتسمى كل قسم باسم خاص يميزه عن فرده او جذعه وسوا العدوان والمغالبة بان دعوا اليه المطامع وسعوا ارض نشأتهم بدماء ابناءهم وآبائهم واخوانهم فهم يجنون من غرس التعصب كباد آباء وقلوب امهات يرمونها بدائب

المدواة ويسيفونها بما الخلاف ويهضمونها بجمرة الاحقاد . وايتمهم حافظوا على  
 ما افترقوا لاجله حتى تكون الثمرات الملكية والمظاهر الزمنية سترًا على تلك  
 الاضغان ولكنهم تهاونوا وقصروا ثم تنافروا وتخاذلوا فانت الدعوة الكلدانية  
 بالقوة الفارسية وتبدد المظهر الاسرائيلي فكان غنيمية للاجناس وانتقلت مظاهر  
 الدعوة الشامية الى الفرع الهند الجرمانى ومظاهر الدعوة العربية الى المغولى  
 ثم الى فرعه التركي . فمن يجيل انظاره في صفحات التاريخ السامى ولا يشق  
 الاكباد بدل الاطوائى ويرسل الدم بدل الماء العيون دعيني ابكى وانوح وما  
 علي من لائم اولاح فافكارى الآن في ماتم شرقي نسمع من رثاء الناديات  
 لفروعه قولى

مساكين اهل الشرق بانوا بظلمة      ون شرقهم بانث الى الأمم الشمس

٣٨ غ

اراك تغالى في جانب فروعكم السامية بلا دليل لقيمه ولنجانى عن  
 الهند الجرمانى واغصانه مع شروق شمس مدينته فادفع عني هذا الخاطر بما  
 تعلمه في جانب فروع جنسيتنا العظيمة الشأن وما لما من الاعمال البديعة  
 والافعال الغربية فان اندفاعك في جانب جنسيتكم ورفعه الى اعلى مقام مع  
 تفاضيك عن غيرها ما يعاب عليك ويوجب انقباض النفوس منك

ش

ارى الحاجة غضب عند ذكر الفروع الاريمية بطريق التلويح وظن انى  
 احابى قومي واتحامل على غيرهم مع الي لم اذكر الا كلييات استدعاها المقام  
 ثم نسب الي التجاني عن الفروع الهند الجرمانية مع علمه اننا لم نحقق الاصول

الشرقية واعمالها حتى ندخل على الغربية واحوالها ثم اراء بطالبني بالدليل  
 واقامة البرهان على ما نسبته لفروعنا من المدنية وسابقة العمران وما اظنك  
 ترد المأثور او تنكر المشاهد او تبعد المعلوم فان العرب والشاميين اسسوا  
 من مبادئ المدنية وقواعد العمران ومعدات الحضارة ما حفظه لهم التاريخ  
 وان جهله اباؤهم او تناسره ولا تظن الي اعني ما كان منهم بعد بعثتهم  
 بل اريد ما انرا به قبلها فانسه اعظم في الفضل وارقي في المجد وحيث  
 انك طالبتني بالدليل والمقام غني عنه فخذ الجواب بحسب الممكن  
 بالاستقراء . تعلم ان اللغات دلائل على درجات اهلها من حيث المدن  
 وعدمها والقدم والحدوث فان اللغة تعظم وتوسع موادها كلما دعت ضرور  
 العمران والمدنية الى اتساع نطاقها بتسمية الموجودات والمبتدعات وتوضع  
 على قواعد مطردة عندما تنمو معارف مدنها ما يها وتنتور افكارهم وتنتشر  
 فيهم المعلوم وتوجد عندهم المدارك العالية وتقتصر في الامة القاصرة في  
 المدنية والعلوم وتضييق الى حد المصطلحات على ضروريات المآكل والمشرب  
 والمعاملة الفطرية . وهذه اللغات السريانية والعربية والفارسية والعبرانية  
 تخبرك بابوابها وفصولها وقواعد المنتظمة المضبوطة عما دعت اليه ضرورة  
 عمران اهلها ومدنيتهم من كثرة الاشتقاق وتعدد المترادفات وتقسيم المواد  
 وتسمية الموجودات من مدن ونبات وحيوان وآلات صناعة واثاث بيت  
 ومواد زراعة ومعدات حرب واصطلاحات تجارة وتعليم ومعاملة وتبنيك  
 بما يوجد في كل واحدة من دخيل الاخرى عن تبادل المحبة بين اهلها  
 واختلاطهم في الجامع والاستيطان والرحلة والاتحاد فلا تكاد ترسى



رقم الابداع

٩٥/١٠٥

I.S.B.N

977- 18 - 0010 - 8

---

« الذمم لا تضيع بالعوارض ، والهمم تحيا في الشدائد ..  
والإنسان عبارة عن سطر يكتب في صفحات الزمان »

عبد الله النديم  
« كان ويكون »



## تقديم

يستمد عبد الله النديم أهميته في تاريخ مصر من مصدرين : الأول ، وطنى ، ويتمثل في مشاركته الايجابية في الثورة العربية كخطيب للثورة ومدافع بالكلمة المكتوبة عنها ، والثانى ، فكرى ، ويتمثل فيما أصدره من صحف وألفه من كتب ، ومن هنا كان اهتمام مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر بإعادة نشر ما أصدره من صحف وكتب . فقد سبق للمركز أن نشر صحيفة « التنكيت والتبكييت » ، أولى الصحف التى أنشأها عبد الله النديم فى ٦ يونيو ١٨٨١ ، ثم نشر صحيفة « الأستاذ » ، ثالثة الصحف التى أصدرها النديم بعد « التنكيت والتبكييت » و « الطائف » . وما نحن نقدم للقارئ كتاب « كان ويكون » أبرز مؤلفات عبد الله النديم التى كتبها بعد هزيمة الثورة العربية وتصفيتها فى عام ١٨٨٢ .

وكانت سلطات الاحتلال قد نصبت المحاكم العسكرية لمحاكمة الثوار ، ونفت منهم من نفت وأعدمت من أعدمت ، وجاء دور محاسبة عبد الله النديم ، فبلغت له تهمة الاشتراك فى حرق الاسكندرية ، ونسبت للنديم أنه قال عند عودته من الاسكندرية بالقطار يوم ١٣ يولية ١٨٨٢ : « إننا جرقنا الاسكندرية ، وقتلت بمسدسى ثلاثة من الأجانب » ، وعندما علم بذلك أيقن أن مصيره لن يفترق عن مصير سليمان داود ، وهو الاعماد . فقرر الاختباء ، وواتاه الحظ بقبول الشيخ محمد الهمشرى ، عمدة

العتوه القبليّة ، ايواءه في داره ، رغم المخاطرة الجسيمة . ولكن الظروف تطلبت من النديم التنقل في قرى مديرية الغربية وبلادها متنكرا ، وقد أقام ببعض هذه البلاد ، مثل « الكوم الطويل » ثلاث سنوات ، تحت اسم الشيخ يوسف المدني ، كما أقام في القرشية ضيفا على أحمد باشا المنشاوي مدعيا أنه عالم يمني يدعى الشيخ على اليمنى ! وقد تزوج في خلال هذه الضيافة بزوجته الثالثة . وظل على مغامرات هذا الاختفاء مدة تسع سنوات حتى تعرف عليه رجل بوليس سرى سابق ، فوشى به طمعا في المكافأة التي رصدتها الحكومة للقبض عليه وقدرها ألف جنيه ، فألقى القبض عليه في بلدة « الجميزة » في ٢ اكتوبر ١٨٩١ ، وكان رئيس نيابة طنطا الذي أجرى التحقيق معه قاسم أمين !

على أن القبض على النديم أثار ضجة كبرى في مصر والعالم الاسلامي ، وبدأت الصحف تكتب مطالبات بالعتوه عنه ، فقرر مجلس الوزراء برئاسة عبد الرحمن باشا رشدي في جلسته المنعقدة في ١٢ اكتوبر ١٨٩١ ، ابعاد النديم إلى الشام ، والافراج عن جميع الذين قبض عليهم وسجنوا بتهمة معاونته على الاختفاء ، ومنح النديم ١٥٠ جنيها ليستعين بها في منفاه في شئون الحياة .

وقد سافر النديم إلى يافا من ميناء الاسكندرية وسط  
مظاهر تكريم الوطنيين ، وشيعة محافظ الاسكندرية عثمان  
باشيا عرفى ، ووصل إلى يافا فى ١٥/١٠/١٨٩١ ، ولكنه لم  
يستمر طويلا لأن الخديو توفيق توفى فى تلك الأثناء وخلفه  
الخديو عباس حلمى فى يناير ١٨٩٢ ، وأراد أن يتقرب إلى  
الوطنيين ، فعفا عن النديم فى ٢ فبراير ١٨٩٢ وعاد النديم إلى  
مصر فى يوم ٩ مايو ١٨٩٢ ، بعد أن اختفى من الحياة السياسية  
ما يقرب من عشر سنوات - أى منذ ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ . وكان  
عمره قد اقترب من الـ ٤٧ عاما .

على أن نضال النديم الوطنى والمحن التى مر بها ، خصوصا  
محنة الاختفاء ، أضعفت صحته ، وغلبت عليه روح التصوف ،  
فليس العمامة الخضراء والجبّة والقفطان وهى زى الأشراف  
المنتسبين إلى أسرة الرسول الكريم ، وجاهر باتصال نسبه  
بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وأصبح يدعى : « السيد عبد الله  
نديم » .

على أن عملا وطنيا آخر كان ينتظر عبد الله النديم ، فقد  
عاد ليجد الاحتلال البريطانى يسيطر على البلاد ويخمد كل  
صوت ويشهر سيف الاغلاق على كل صحيفة وطنية ، فقد ألغى  
جريدة « الوطن » وعطل جريدة « الأهرام » ، وألغى جريدة  
« الشرق » وجريدة « الزمان » ، وأنذر جريدة « الصادق »

بالإغلاق ، ومنع جريدة العروة الوثقى من دخول البلاد .  
ولكنه عاد ليجد الصلة بين حاكم البلاد والثورة كرومر قد  
تغيرت ، إذ بدأ الصدام بين الخديو عباس والثورة كرومر بسبب  
تسلط العميد البريطاني ، وأخذ الخيو عباس يتقرب من  
الوطنيين ، وحفظ له النديم جميل عفوه عنه وسماحة له بالعودة  
إلى مصر ، فسارع إلى تأييده وجعله رمزا للمقاومة الشعبية  
للاحتلال ، وطلب من الشباب أن يؤيدوه في مقاومته للاحتلال .  
واتصل الخديو بالنديم وبجمعية الشبان التي يجتمع أعضاؤها  
به ، ومنحهم تأييده ومعونته ، وتوثقت أواصر الود بين عباس  
والنديم .

وقد سارع مصطفى كامل إلى لقاء النديم عندما علم  
بظهوره في القاهرة ، وقدم نفسه إليه كطالب من طلبة الحقوق ،  
فرحب به ، ونشأت بين الفتى والنديم صلة كان لها تأثيرها  
البالغ في مصطفى كامل ، فقد وجهته إلى العمل الصحفي بعد  
أن شرح له النديم أهمية الصحافة ودورها في تنوير وتكوين  
الرأى العام .

وكانت خطة النديم لإيقاظ الوعى بين الشعب المصرى  
وتوعيته بأضرار الاحتلال ، هي إصدار جريدة يعبر فيها عن  
آرائه ويحفز فيها همم المصريين ، ولكن كيف السبيل إلى

إلى تضريح وزارة الداخلية ؟ لقد تغلب على ذلك بأن طلب إلى أخيه عبد الفتاح النديم استصدار ترخيص باصدار مجلة الأستاذ الأسبوعية ، على ألا تتعرض للأمور السياسية الداخلية والخارجية . وقد نالت هذه المجلة من الشهرة والانتشار في شهور قليلة ما لم تنله غيرها في أعوام ، وكتب فيها كبار الكتاب والشعراء في مصر والخارج ، وأصبحت أكثر الصحف انتشارا حتى اليومية منها ، وأصبحت منافسا خطرا للمقطم لسان حال الاحتلال ، وجاهر فيها النديم بنصرتة للخديو وتأييده لسياسته .

على أنه عندما شعر كرومر بخطر « الأستاذ » أوعز إلى رياض باشا رئيس الوزراء بأن يرسل انذارا إلى « الأستاذ بالفلق اذا تعرض للسياسة ، واتهمته المقطم والبروجرية بأنه يعد لثورة كالثورة العرابية ، وعندئذ طلب اللورد كرومر من الخديو نفي النديم لأنه يثير روح التعصب الدينى فى البلاد . فنفى النديم مرة أخرى خارج مصر ، وخرج آخر عدد من الأستاذ فى ١٢/٦/١٨٩٢ ، وغادر مصر إلى يافا فى منتصف يونية ١٨٩٢ ، ثم استقر بالأستانة ، ونال الحظوة لدى السلطان العثمانى وتعرف بذوى الفضل من الوزراء والعلماء ومنهم السيد جمال الدين الأفغانى ، وقضى نحبه بها فى ١١ أكتوبر ١٨٩٦ .

وهذا الكتاب الذى تقدمه للقارىء ، وهو كتاب : كان ويكون : كتبه النديم أثناء فترة الاختفاء عن عيون الانجليز ، وهو عبارة

عن مناظرة بين النديم وأحد الفرنسيين حول المشكلات الدينية والخلافات السياسية والتاريخية بين الشرق والغرب وعادات الأمم المختلفة ، والمقارنة بينها ، وأصل الأديان وفلسفتها - وهي مناظرة حبية تمت بالاتفاق بين المتناظرين .

وقد عهدنا إلى الدكتور عبد المنعم الجميغى بكتابة دراسة تحليلية له ، مع الحرص على طبعه بطريقة التصوير للحفاظ على شكله الذى صدر به من مطبعة « المحروسة » فى عام ١٨٩٢ .

ومركز الوثائق وتاريخ مصر المعاصر اذ يقوم بنشر هذا الكتاب ليأمل أن يكون قد أدى جزءا من رسالته فى الحفاظ على تاريخنا القومى ومصادره الأصلية .

والله ولى التوفيق

الهرم فى ٢٢ مايو ١٩٩٥

أ.د. عبد العظيم رمضان

رئيس اللجنة العلمية المشرفة على  
مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر



## دراسة تحليلية

يعتبر عبد الله النديم أحد كبار المؤلفين المصريين البارزين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فله من المؤلفات الكبيرة والصغيرة ما يعد بالآلاف منها الأشعار والأزجال والروايات ، والرسائل الأدبية والمقالات الصحفية والمؤلفات السياسية والعلمية والدينية التي شغلت افكار الكثيرين من الباحثين والسياسيين<sup>(١)</sup> .

ولعل أبرز هذه المؤلفات هو ماكتبه خلال فترة الاختفاء فبعد هزيمة العرابيين في التل الكبير تمكن النديم من الاختفاء عن عيون الانجليز داخل قرى مصر ونجوعها لفترة امتدت من عام ١٨٨٢ إلى عام ١٨٩١ وقد اشرف على اختفائه جهاز من الوطنيين المصريين ساعده على الاختفاء عن عيون الحكومة وأمدوه بالكتب والمراجع التي ساعدته على التأليف والكتابة ومن هؤلاء الشيخ شحاته القصبى أحد مشايخ الطرق الصوفية المشهورين والشيخ سعيد الأزهرى صديق النديم والذي آواه في منزله حوالى شهر ، وامده بما يلزمه من كتب ، والشيخ محمد الممشرى عمدة العتوة القبلية الذى أقام النديم في داره ثلاث سنوات وغيرهم .

وبالرغم من قسوة فترة الاختفاء ، ووحشة الأماكن التي كان يختفى فيها النديم وظلمتها لدرجة أنه لم يعرف فيها الليل من النهار ، ولم يتمكن من الكتابة أو القراءة إلا على ضوء مصباح صغير من الغاز<sup>(٢)</sup> الكثير الدخان فإنه فكر في التأليف والكتابة حتى يشغل وقته ويمارس هوايته ومع أن صديقه المستر عليه نصحه بتأجيل ذلك حتى تتحسن الأحوال بقوله «يمنعك من الكتابة الآن ظلمه القاعة ، واشتغال فكرك

بهذه المزعجات الحاصلة» فإن النديم لم يتأثر بكل هذه المعوقات التي زادتته تصميها على الكتابة والتأليف فأخذ يصنع الحبر من هباب القرن وبدأ يشغل نفسه بالكتابة فتفتقت قريحته واستطاع أن يؤلف عشرين كتابا في ألوان شتى من الآداب والعلوم والفنون ويتضح ذلك من رسالة له إلى صديق قال فيها «ترانى فكرى كليمى ، وقلمى ندىمى استودعه مافى الصدور فيحفظه فى السطور ثم يرده على كتابا لم يجمع إلا صوابا . فاعود إليه بالنظر لترويح الفكر ، فتارة اشتغل بكتابه فصول فى علم الأصول وأجمع عقائد أهل السنة بما تعظم به الله المنه ، وحينما اشتغل بنظم فرائد فى صورة قصائد ، ووقتا اكتب رسائل مؤتلفه فى فنون مختلفة ، وآونة أكتب فى التصوف والسلوك وسير الأخبار والملوك ، وزمنا أكتب فى العادات والاخلاق وجغرافية الآفاق ، ومرة أطوف بالأكوان على سفينة تاريخ الزمان ، ويوما اشتغل بشرح أنواع الهدى فى مدح الشفيق صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه ، وأنصاره وأحزابه . وقد تم لى إلى الآن عشرون مؤلفا بين صغير وكبير فانظر إلى آثار رحمة اللطيف الخبير كيف جعل أيام المحنة وسيلة للمنحة والمنة»<sup>(٣)</sup> .

كما أوضح النديم أن الفترة التي قضاها فى الاختفاء قد افادته فى التفرغ للكتابة والتأليف وأبعده عن ضياع وقته فى زيارة الأهل والايخوان وفى حضور مجالس الجمعيات والمدارس وغيرها فقال «أترانى كنت أكتب هذه العلوم فى ذلك الوقت المعلوم ... (وكننت) اشتغل بعض النهار بتحرير الجورنال ، واقضى ليلى فى دراسة الاحوال مشتغلا بمجالس الجمعيات الخيرية ومدارسها الشيعية وزيارة الاخوان ومراقبة ابناء الزمان ... فمتى كنت انظر للمخلفات وأكتب هذه المؤلفات»<sup>(٤)</sup> .

ومن رسالة اخرى كتبها النديم إلى صديقه الأزهرى يتضح أن رغبته فى التأليف والكتابة ترجع إلى حبه للخدمة العامة ورغبته فى افادة

مواطنيه حيث يقول «وقد التزمت صرف أوقاتي في كتابه ماعساه أن يكون نافعا لإخواني، ولم يصرفني سوء الأخبار عما تعهده في حب الخدمة العامة»<sup>(٥)</sup>.

وكتاب كان ويكون» الذي نعرض له هو أحد الكتب العشرين التي ألفها النديم أثناء اختفائه وعن أسباب وضع النديم لهذا الكتاب هو أنه قبل الاختفاء كان قد اهتم بجمع الحوادث الهامة الخاصة بالشرق والغرب في كتاب من أربعة أجزاء سماه «مقابلة النظير» كان قد أهدها إلى السلطان العثماني محمود الثاني وأنه أراد استكمال هذا العمل بتأليف كتاب يشرح فيه للمؤرخين والكتاب سواء في الشرق أو الغرب الأحداث التي ألمت بمصر وانتهت باحتلال الانجليز لها بصفته شاهد عيان لها ومشاركا فيها حتى يوضح الأمور على حقيقتها ولا يترك لأحد الفرصة أن يطلق قلمه بما يوافق مشاربه واغراضه لاجما يتفق مع الحقيقة ويتضح ذلك من قول النديم «فإن سألت سائل عن سبب وضعته أجبته بأنني لم أضعه امتثالا لأمر ملك أو خدمة لأمر أو ذى جاه أو لطمع في جائزة أو موافقة لأمة دون أخرى بل عندما خرجت متغيبا ووصلت المختفى الأول تذاكرت مع .. صاحب البيت في حوادث الشرق الأخيرة وأهميتها بالنسبة للمؤرخين وكاشفته بما كنت مشتغلا به من جمع الحوادث المهمة المختصة بالشرق والغرب دينا وسياسة وتخليدها في كتابي المسمى (مقابلة النظير) وانى انهيت منه أربعة أجزاء ضخمة إلى السلطان محمود وأريد الآن أن اشتغل باتمامه»<sup>(٦)</sup>.

وبالرغم من أن صديقه قد اثناه عن الانشغال بتأليف هذا الكتاب بقوله «يمنعك من الكتابه الآن ظلم القاعة واشتغال فكرك بهذه المزعجات الحاصلة ولو نشطت للكتابة فانك لاتعلم ان كان كتابك فقد أو بقى موجودا فيكون هذا الجزء الأخير أبتر»<sup>(٧)</sup>.

ومع أن النديم قد انصرف عن هذا الكتاب إلى كتابه الشعر بناء على نصيحة صديقه فإنه لم يلبث أن عاد إلى الكتابه عندما بلغه أن هناك من سيضع كتابا عن حوادث الثورة العرابية بما يتفق مع مشاربه خشية أن تضيع الحقيقة واخذ النديم يفكر في الخطة التي سيتبعها في كتابه الذي اراد أن يبدأ بتأصيل الأديان والمقارنة بين الشرق والغرب وينتهي به عند حوادث الثورة العرابية وخلال ذلك وبعد أن كتب المقدمة تذكر صديقا فرنسيا قديما كان قد حضر إلى مصر ليكتب عن احداثها عن مشاهدة ويقين ، وكان قد تعرف عليه بالاسكندرية في عام ١٨٧٥ ويعرف أن له ضيعة كبيرة قريبة من مخبثه بالعتوة القبيلية ، وأنه لم يسافر إلى بلاده كما فعل العديد من الاوربيين خلال أحداث الثورة العرابية .

وقد فكر النديم في الكتابة إلى هذا الفرنسي لعله يجد عنده من الأخبار والمدونات مايساعده على ماشرع فيه ، فتشاور مع الشيخ المهمشري صاحب الدار التي يختبئ فيها في الأمر ، وطلب منه الاتصال بالخواجه الفرنسي ولكن العمدة تردد في الأمر وأخذ يراجع النديم حوالى ساعتين موضحا له كيف يأتمن على سره شخصا أجنبيا<sup>(٨)</sup> . ولكن النديم أقنعه بالذهاب بقوله «لاتخش شيئا فإني واثق بذمته وعلو همته ، وقد استخرت الله تعالى فانشرح صدرى لهذا الأمر ، فتوجه إليه واعطه جوابى الذى سأكتبه إليه فإن سألك عن مكانى فقل له هو عندى وأن رغب لحضور فاحضره معك من غير أن تتخوف منه فى شيء<sup>(٩)</sup> مؤكدا له ثقته بطهارة ذمته ووفائه وانسانيته فافتتح العمدة فى آخر الأمر وطلب من النديم أن يكتب الخطاب ليوصله للفرنسى ، فكتب النديم للفرنسى خطابا موضحا فيه ظروفه ، وطالبا منه أن يحافظ على سره ، وان يكون رجلا من شداد العزائم<sup>(١٠)</sup> .

وقد حمل الشيخ الهمشري رسالة النديم إلى الخواجه الفرنسى وسلمها له فقرأها ثم أعطاها لزوجته فقرأتها ثم أعادتها إليه فمزقها إربا زيادة في الحذر، ونظرا لتواجد بعض الناس في مجلس الخواجه أثناء ذلك، قام الخواجه بتمويه الأمر عليهم فقال للهمشري في غضب «قل له .. احفظ لى حقى عندك قبل كل انسان حتى آتيك ونتحاسب وإياك أن تمد يدك لبنك أو خواجه غيرى فإن فعلت ذلك وقعت في شرك المحاكم وحكمت عليك بما لاترضاه»<sup>(١١)</sup>.

ومعنى ذلك أن الخواجه أوضح للمتواجدين في مجلسه أن الأمر لا يزيد عن كونه عملا تجاريا يتعلق بأحد عملائه المتعاونين معه في التجارة، فخرج الهمشري من بيت الفرنسى متكدرا ذاهل الفكر لعدم فهمه لقصد الفرنسى، ولما وصل إلى النديم وحكى له ما حدث إستبشر النديم خيرا وفهم مقصد الفرنسى، وشرحه للعمدة بقوله هو بعباراته التى القاها عليك «يشدد علىّ بعدم اخبار أحد عن مركزى، ويحذرنى من الوثوق بغيره مدة الاختفاء وينذرنى بأن الناس تغيرت أحوالهم فإن أخبرت صديقا غيره ربما انقلب عدوا وسلمنى إلى الحكومة فتحكم علىّ بما تراه، ثم أنه وعد بمجيئه وإن لم يعين الوقت فعبارة كلها خير ونعم»<sup>(١٢)</sup>.

وخلال انتظار النديم للخواجه حدث أن زار مأمور المركز منزل العمدة فسرت الهواجس من جديد في قلب العمدة، وتشكك في أن الخواجه اتصل بالمأمور وأخبره بمقر النديم<sup>(١٣)</sup>، ولكن ما حدث كان بمحض الصدفة فالمأمور نزل بمضيئة العمدة أثناء تنقله بين قرى مركزه بالمرور عليها دون أن يعرف بمكان النديم وخلال تواجد المأمور حضر الفرنسى إلى العتوة القبيلية في الغروب مرتديا جبة وقفطانا وعمامة ومتلفعا بغرام أبيض على هيئة مشايخ القبائل<sup>(١٤)</sup>، ودخل المضيفة ولما رأى المأمور فيها تحول إلى قاعة أخرى دون أن ينتبه إليه المأمور ثم

دخل إلى غرفة النديم وقد وصف النديم المقابلة بقوله «وبينما أنا جالس وإذا بهذا الوفي دخل عليّ وسلم سلام المشوق الوهّان فعرفته بصوته وقمت إليه وتعانقتنا عناقاً طويلاً تخلله ضحك وبكاء ثم جلسنا ودار الكلام بيننا فقص عليّ أخباراً وأحوالاً لا أعلم لي بها فتكدرت وامتلت غماً وهماً» .

وقد أخبر النديم الفرنسي بنيته على التآليف والكتابة وطلب منه المساعدة بأحضار بعض الكتب التاريخية ، وقد عجب الفرنسي من قدرة النديم على تحدى الصعاب فبالرغم من احاطة المخاطر به من كل ناحية فإنه يفكر في التآليف ولم تنته الشدائد عن خدمة الفكر الانساني<sup>(١٥)</sup> .

وعرض الخواجه على النديم أن يشاركه في ما عزم عليه بقوله «لا بد أن أشاركك في هذا العمل ، وأساعدك عليه»<sup>(١٦)</sup> ولما تناقشا في خطة الكتابة انتهيا بأن تكون على هيئة مناظرة بينهما فيتقدم الفرنسي إلى النديم بأسئلة حول المشكلات الدينية الخلافات السياسية والتاريخية بين الشرق والغرب وعادات الأمم المختلفة والمقارنة بينها ، وأصل الأديان وفلسفتها ويحجب عليها النديم اجابات صريحة كما اتفقا على أن يزور الفرنسي النديم في مخبئه على فترات متقاربة وصلت في بعض الأحيان أنه كان يزوره يوميا .

كما اتفق الفرنسي مع النديم على أن يصطلح في أثناء كتابته كلمة الغرب بدلا من أوروبا حتى تكون مقابلة لكلمة الشرق ، كما اتفق على أن يطلق اسم الغربي على الفرنسي واسم الشرقي على النديم خلال المناظرة<sup>(١٧)</sup> وأن يكنى الدين المسيحي بالمسألة الغربية والدين الاسلامي بالمسألة الشرقية وأن يبدأ الكتاب بتأصيل المسألتين الشرقية والغربية بطريقة علمية بعيدة عن التعصب الديني أو القومي ثم ينطلق

النديم منها إلى سرد تاريخ مصر ، وقد طلب الفرنسي من النديم ألا يذكر اسمه إلا في أواخر الكتاب<sup>(١٨)</sup> ، ولما كان الكتاب لم يكتمل فإننا لم نعرف اسم الفرنسي إلى الآن . وطلب الفرنسي من النديم أيضا الرد على جميع الأسئلة التي ستوجهها إليه سواء كانت دينية أو سياسية أو غيرها بطريقة موضوعية بعيدة عن التعصب مؤكدا له أنه سيفعل نفس الشيء معه ولا ينكر عليه أى حقيقة إذا كان يعرفها كما طلب منه أن يلتزم في اجابته بالتصريح لابلتويج ، وألا يترك الاجابة على أى سؤال متبورة<sup>(١٩)</sup> واتفق الفرنسي مع النديم على تدوين المناظرة بطريقة عامة حيث ستقرأها جنسيات ونوعيات من البشر مختلفة منها «المسلم والمسيحي والموسوى والبرهمى والمجوسى والبوذى والوثنى وغيرهم»<sup>(٢٠)</sup> وتعاهدا على ذلك «وعادا للحديث وتذكار ما كان وما سيكون» .

وقد اتبع النديم في تأليف هذا الكتاب تسجيل ما يدور بينه وبين الفرنسي من حديث عندما يخلو إلى نفسه بعد نهاية كل لقاء ، ثم يعرضه بعد ذلك عليه قبل الخوض في غيره حتى لا يكون قد غاب عنه بعض ماتم في المناظرة<sup>(٢١)</sup> وقد أخذ الفرنسي يزور النديم على فترات متقاربة ، وكان يحضر زوجته معه أحيانا لتشارك في المناقشة ، وتسهم بأرائها فيها كما كان يحضر المناقشة أحيانا الشيخ سعيد الأزهرى صديق النديم<sup>(٢٢)</sup> والذي مكنه من الاختفاء وأعد له مخبأه الأول وكان يحضرها أيضا الشيخ محمد الهمشرى العمدة وصاحب المنزل الذى كان النديم يختبئ بها ، وكانت تطول المناقشة بينهم أحيانا ويسهم كل منهم بأرائه فيها .

وقد استعان النديم في وضع هذا الكتاب بالاضافة إلى ما ذكره بدفترين كان يضعهما في جيبه يدون فيها افكاره ، كما اطلع على تفسير العلامة أبى السعود العبادى وقاموس الفيروز ابادى وغيرهما من الكتب<sup>(٢٣)</sup> التى كان يحضرها له سعيد الأزهرى .

وعن تقسيم الكتاب فقد بدأه النديم بافتتاحية يغلب عليها السجع ثم اتبعها بمقدمه بين فيها تاريخ وضع الكتاب والظروف التي كانت تحيط به اثناء تأليفه كما شرح فيه منهجه في التأليف .

ويقول النديم في مقدمته لهذا الكتاب أنه قد بدأ الكتابة فيه «في الساعة الثامنة من يوم الخميس ٢٨ ربيع الثاني عام ١٣٠٠ هجرية الموافق ٨ مارس عام ١٨٨٣ ميلادية في قاعة ظلماء وحيدا بعيدا عن العلماء والكتيبات والجرائد محتفيا متغيبا عن الجواسيس والعيون علىٰ واذا اعان الله تعالى على اتمامه وانهاهه على ماتصورته ورتبته في مخيلتي أطلقته بين القراء في صورة فدلكة دينية ولغوية ووطنية وسياسية وجنسية وأدبية مكلفا بطلب الصحة والدليل ولا أدعى العصمة فيه بل أقول أنه قابل للبحث مهيا للانتقاد معرض للاعتراض» (٢٤) .

ولم يرتب النديم موضوعات هذا الكتاب في أبواب وفصول كالمتبع في مثل هذه الأمور بل كان يعنون موضوعاته بما يناسبها من عناوين وقد أوضح ذلك في مقدمة الكتاب بقوله «فليتقبل القارئ ما أكتبه على أنه شوارد أفكار وتتممه أعمال وارشاد إلى اجتماع شرقي ومقابلة غربية علما وأدبا لاخشونة وتظاهرا . وليعلم أني لأرتب كتابي على أبواب وفصول بل أعنون المواضيع بعناوين تناسبها وأمزجها بالطوارئ التي تعتريني ترويحاً لنفوس القراء وتسلية لذوى الأفكار» (٢٥) .

وتضمن الكتاب بعض المسائل الدينية الجاري عليها الاختلاف بين الناس بطريقة قال عنها النديم «فإنى أسرد ذلك باعتبار ما هو عليه عند أهله لا مقبحا دينا ولا مزدريا بمشرب ولا مستخفا بامة ولا منتقصا لجنس» (٢٦) .

وتطرق الكتاب إلى مسئولية كل من الشرقيين والغربيين حول ما يحدث في العالم من مشاكل بالرغم من أن كلا من الدينين الاسلامي



والمسيحي يدعو إلى محاسن الأخلاق والبعد عن العدوان وحفظ الحقوق والنفوس والأعراض «والتطهر من أوساخ الآثام ورزائل الفجور، ... وربط الآخذين به بقانون إلهي يسوى بين الأمير والحقير والغني والفقير والقوى والضعيف، ويحكم بمسئولية كل فرد من الأفراد عن أقواله وأفعاله»<sup>(٢٧)</sup>.

وقد أرجع النديم السبب في ذلك إلى أن كل فريق يتبارى في قدح الفريق الآخر ويخطيء معتقداته حيث «تسايقت أقلام الكتاب في التخطئة والتصويب والإفساد والتصحيح والتقبيح والتحسين والمدح والذم والإغراء والتحريرض وملأوا العالم بأوراق لقحت القلوب بما فيها فحملت العداوة وأنجبت هذا التنافر»<sup>(٢٨)</sup>.

وتعرض الكتاب إلى ظهور الرسل والمذاهب الدينية والديانات السماوية والوضعية وغيرها والكتب القديمة، واللغات والفلاسفة والحكماء ومناظراتهم العلمية موضحا أن كل إنسان يتمسك بدينه لأنه يرى صحته، وأن الرسل منها اختلفت مبادئهم وتباينت لغاتهم «لم تختلف دعوتهم في موضوعها» وبنائها على أن هناك إله واحد موحدًا لهذه الأكوان<sup>(٢٩)</sup> يحيى ويميت وينعم ويعذب في دار أخرى أعد فيها جنة للمصدقين العاملين، ونارا للمكذبين الضالين كما أوضح أن هؤلاء الرسل اتخذهم الله «أمناء على وحيه هداة لخلقهم يعلمون الشرائع ويدعون إلى وحده الاجتماع ويدلون الخلق على خالقهم ويعرفونهم قدره ومجده وعظمته وكبريائه وقد اصطفاهم وخصهم بالرسالة وعصمهم من الدنثيات وسفاسف الأمور»<sup>(٣٠)</sup>.

وأن حكمة الله تعالى اقتضت أن «يبعث كل رسول في قومه ليكون منهم عصبية تسهل انقادها للرحم يمهدها طريق دينه ويتقوى بها على نشره وتعميمه»<sup>(٣١)</sup> وتطردت المناظرة إلى فئة الفلاسفة والحكماء

الأقدمين التي حفظت كتب الحكمة واعتنت بدراستها وشرحها حتى سهلتها «للمسلمين والموسويين والعيسويين وحلت مشكلات الحكماء ورموز القدماء وترجمت لغايتهم المتروكة وعرفت أقلامهم المختلفة» وقد قسم هؤلاء إلى قسمين قسم يسند دينه إلى سيدنا نوح عليه السلام وهم الصائبون وقسم يسنده إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام أتيا بطريق التلقى عن نوح عليه السلام وهم الكلدانيون»<sup>(٣٢)</sup>.

وإن هؤلاء اشتغلوا بكتب الفلسفة على أنها كتب تعليم فلما جاء الاسلام نشر التمدن في العالم الذي حمله الأوربيون إلى بلادهم بنشاط وهمة «وجمعوا كتب العلوم الشرقية من بلاد المسلمين شرقا وغربا .. وصرفوا في ترجمتها وتحصيلها الأعمار الطويلة والأموال الكثيرة وانكبوا عليها تعلمًا وتعلية»<sup>(٣٣)</sup> حتى أوصلتهم التجارب إلى الوقوف على أسرار الكون وتطرقت المناظرة إلى قصة فرعون مع بني اسرائيل وهل مات فرعون مؤمنا أم كافرا فأوضح النديم إتفاق العلماء على عدم إيمانه «فالإيمان إذا لم يكن مقترنا بشهادة أن لا إله إلا الله وأن النبي الداعي رسول الله لا يكون مقبولا لأن الإيمان بالله مع عدم الإقرار بصحة رسوله تكذيب للرسول في دعواه وتكذيب الرسول كفر على كفره لأنه ما شهد أن موسى رسول صادق ولا آمن برسالته»<sup>(٣٤)</sup> كما أوضح النديم بأن التوبة ليست للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن .

وأشار النديم إلى توافق التوراة والقرآن في فلق البحر بضربه بعضا سيدنا موسى واعتراض الأوربيين على ذلك بحجة أنه لا يتفق مع العقل<sup>(٣٥)</sup> فأوضح ضرورة احترام مايرد في الكتب المقدسة مشيرا إلى النصوص المقدسة في كل من الكتابين الكريمين وإلى ضرورة احترام ماتعرض له الكتب الدينية .

وتطرق الناظره إلى المسيحية ومولد سيدنا عيسى عليه السلام والإنجيل ككتاب سماوى مقدس وأشارت إلى أن كل متمسك بدين يرى الحق معه فلو اعتقد الناس صحة جميع الأديان ما وقع بينهم خلاف .

وأشارت المناظرة إلى قبة الصخرة في بيت المقدس وكيف أنها من عجائب الله سبحانه وتعالى كما تعرضت إلى قصة الاسراء والمعراج معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>(٣٥)</sup> .

كما تطرقت المناظرة إلى أحوال مصر حيث كان هدف النديم من التعرض للأديان والمقارنة بين الشرق والغرب هو التمهيد للوصول إلى المسألة المصرية حيث يقول «فما ذكر الأديان إلا وسيلة للدخول في المسئلتين ، وما المسئلتان إلا تمهيدا للمسألة المصرية<sup>(٣٦)</sup> فتعرض النديم لأحوال مصر السياسية فذكر أن رياض باشا كان «أحد الرجال المدربين على الأعمال السياسية والادارية بل هو الرجل الصبور على الشدائد الذى لا يقابله مصرى فى اعماله»<sup>(٣٧)</sup> وأنه كان جريئا لدرجة أنه اعترض على الخديو اسماعيل فى وقت كان لا يستطيع أحد أن يفتح فمه بكلمة وتطرق إلى تاريخه السياسى واعماله فى توضيح الديون وترتيب قلم المراقبة ، ومساعدته للنديم فى تأسيس الجمعية الخيرية الاسلامية<sup>(٣٨)</sup> .

وتعرضت المناظرة إلى أهمية التعليم وانشاء المدارس فذكر النديم «إنى كنت أحب تعميم مدارس الجمعيات الوطنية لتخليص البلاد من ضيق الأمية»<sup>(٣٩)</sup> .

وتطرق النديم إلى ما كتبه الجرائد المصرية والأجنبية ضد الحركة الوطنية المصرية والشائعات التى كانت تتوارد بين الناس حول مصيره<sup>(٤٠)</sup> .

وبعد أن بدأ أعضاء البرلمان الانجليزى فى مناقشة المسألة المصرية طلب النديم من الفرنسى أن يترجم له كل ما يختص بمصر ، موضحا أنه ليس لديه ثقة فى الانجليز سواء أكانت حكومتهم من الأحرار أو المحافظين فكل منها يعمل لمصلحة بلاده دون النظر إلى حق أبناء مصر الضائع خصوصا وأنه لا توجد روابط دينية أو جنسية أو لغوية أو وطنية بين المصريين والانجليز<sup>(٤١)</sup> .

وتعرضت المناظرة إلى أحوال مصر بعد الاحتلال الانجليزى لها وكيف قبض على الوطنيين ونفى بعضهم وحوكم البعض الآخر ، كما أشارت إلى تكدر أبناء مصر من الاحتلال وإلى رغبة فرنسا فى ألا تعلن بريطانيا حمايتها على مصر<sup>(٤٢)</sup> .

ويتضح من المناظرة أن النديم كان يرغب فى أن يتضمن هذا الكتاب ما كان قد جمعه عن العديد من الوطنيين المصريين قبل اختفائه ولكن لسوء الحظ ضاع على تاريخ مصر الكثير من عصارة فكر النديم وجهده خلال تسعة عشر عاما فالمعروف أن معظم مؤلفات النديم قد فقدت فى زمن حياته لأسباب شتى منها غرق بعضها فى النيل وذلك أثناء مهاجرة والده من الاسكندرية بعد ضرب الانجليز لها وذهابه إلى القاهرة مع من هاجر وكان قد احضر معه كتب النديم جميعها فى ثلاثة صناديق كبار ولما وصل القطار إلى كفر الزيات تزامم عليه المسافرون من المهاجرين تزامما هائلا نتيجة لهول الموقف وخشية وصول الانجليز اليهم فلم يسع رجال المحطة إلا أن يرموا جميع أمتعة الركاب فى النيل ليركب الناس مكانها<sup>(٤٣)</sup> .

ومنها ما فقد عن طريق السرقة كما حدث عندما غافله خادمه أثناء اقامته بالمنصورة وسرق بعض متاع البيت ومنها الكتب وهرب ، ومنها

ماتم اغتصابه حيث كان النديم إذا سود شيئاً جاء إليه من يستعيره منه ثم لا يردّه إليه وقد فعل معه ذلك جماعة من القاهرة والاسكندرية والمنصورة ، كما أن بعض مؤلفاته قد حُرقت كما حدث في بلدة بدواي دقهلية عندما اختلف النديم مع عمدة البلدة وحرق بعض المتأمرين من انصار العمدة بيت النديم من كتب بعد فراره منه ، ومع ذلك فإن ماتبقى من مؤلفاته يكفي الحكم عليه بأنه كان أحد كبار المؤلفين المصريين في القرن التاسع عشر<sup>(٤٤)</sup> .

نعود إلى كتاب «كان ويكون» فنذكر أن ماورد فيه من مناظرة بين النديم والخواجة الفرنسي يوضح بجانب قدرة النديم العلمية وتضلعه في المسائل الدينية صلابته في ذكر الحقائق حتى ولو كانت قاسية على نفسه أو كان أصحابها من أعدائه والأمثلة على ذلك متعددة نذكر منها : عندما تطرق موضوع المناظرة إلى رياض باشا وهو من أعداء النديم ومن أكبر الناقمين عليه كان النديم موضوعياً في حكمه عليه فاشاد به وباعماله واصلاحاته<sup>(٤٥)</sup> .

ويتضح من المناظرة اعتماد النديم في كتاباته على المصادر الدقيقة أكثر من اعتماده على الروايات والأقاصيص لامتلاء معظمها بالتخيلات والخرافات والمثال على ذلك أنه حينما تطرقت المناظرة إلى موسى وفرعون واختلف النديم مع الفرنسي في الرأي أوضح النديم أنه لا يأخذ بخبر من الأخبار إلا إذا استند إلى أحد الأصليين العظميين القرآن والسنة أو إلى احدهما<sup>(٤٦)</sup> .

كما يتضح من المناظرة سباحة النديم وعدم تعصبه أو تشويشه على آراء الآخرين المخالفين له في الدين فعندما سأله الفرنسي عن أن اعتقاده في سيدنا عيسى على غير مايعتقده هو أوضح له النديم أن كل إنسان له الحق في اعتقاده دون حرج وإن كل متمسك بدين يرى الحق

معه ، وأن المصريين لا يقبلون أعمال الآخرين الدينية مبيناً أن الجدل بينهما لن يؤدي إلى الشجيات لأن الناس لو اعتقدوا في صحة جميع الأديان بما وقع بينها اختلاف<sup>(٤٧)</sup> وإلى جانب ذلك يتضح لنا مدى ثقافة النديم الدينية الواسعة التي استطاع بها أن يتطرق إلى موضوعات دينية حساسة سواء أكانت يهودية أو مسيحية أو إسلامية أو غيرها ، كما يتضح مدى ضلوعه في اللغة وفهمه العميق لأسرارها

وعلى كل حال فقد صدر كتاب كان ويكون في ٢٥٦ صفحة ويتضح لمن يقرأ هذا الكتاب أنه ناقص من آخره فتنهى آخر كلمة فيه عند جملة «فلاتكاد ترى» ثم تنقطع الكتابة عند هذا الحد . ويرجع ذلك من وجهة نظرنا إلى أن هذا الكتاب كان يطبع على هيئة ملاحق توزع مع مجلة الأستاذ التي كان يصدرها النديم ، ولما أغلقت المجلة في ١٣ / ٦ / ١٨٩٣ بناء على إصرار كرومر ، ونفى النديم توقف استكمال طبع الكتاب ولم تطبع الأربعة والستون صفحة الباقية منه كما يذكر صاحب سلافة النديم .

وكتاب «كان ويكون» صدر في ثلاثة أجزاء طبعت مطبعة المحروسة الجزء الأول منه ، وفقد الجزء الثاني منه مثل الكثير من مؤلفات النديم التي تعرضت للضياع أما الجزء الثالث فقد عثر عليه الدكتور محمد أحمد خلف الله مخطوطاً في دار الكتب المصرية تحت عنوان تاريخ مصر في هذا العصر فحققه وأقدم له بتمهيد عن حياة النديم ومكانته وجهوده السياسية والأدبية ثم طبعه في عام ١٩٥٦ تحت عنوان عبد الله النديم ومذكراته السياسية مضافاً إليه خطبتين من خطب النديم ، ومقالتين ومحاوره ، وخمس رسائل من رسائل النديم إلى عرابي في منفاه في سيلان والكتاب يشمل المسألة المصرية وتاريخ مصر عن الفترة قبيل عصر محمد علي وعن عهد محمد علي وإبراهيم وعباس ونشأة الحزب الوطني

الأول والدور الذى قام به ، وعصر اسماعيل ونوفيق والثورة العربية .  
وبعد أن عرضنا لكتاب النديم «كان ويكون» يطرح علينا سؤال  
نفسه هل ماكتبه النديم يعتبر نوعا من المذكرات خصوصا وأن الدكتور  
محمد احمد خلف الله قد أطلق على الجزء الثالث فى هذا الكتاب  
« عبد الله النديم ومذكراته السياسية »<sup>(٤٨)</sup> .

الواقع أن الشروط التى يجب أن تنطبق على وصف بعض الكتابات  
بالمذكرات لا تتوفر كلها فى هذا الكتاب فشرط المذكرات أنها تصور  
الحادث عند وقوعه أو الرأى عند تكوينه<sup>(٤٩)</sup> أما ماكتبه النديم فقد كان  
بعد وقوع الأحداث ، ولا بد أنه تأثر أثناء كتابته بحالته النفسية وقت  
الكتابة لذلك يغدو من الصواب أن نذكر أن هذه الكتابات أقرب إلى  
التاريخ منها إلى المذكرات<sup>(٥٠)</sup> .

وعلى كل حال فإن كتاب كان «ويكون» الذى نقدمه إلى الناطقين  
بالضاد بعد ما يقرب من مئة سنة على تأليفه يعتبر أحد مؤلفات النديم  
الهامة والمتنوعة التى شملت أفكارا قيمة وبحوثا ادبية ودينية وتاريخية  
وسياسية هامة تناوها فى أسلوب شيق جذاب وبروح الباحث المحقق مما  
جعلها على جانب كبير من الأهمية لكل من يرغب فى التعرف على  
تاريخ مصر وثقافتها فى القرن التاسع عشر ،

والله ولى التوفيق

١. د. عبد المنعم الجميى  
أستاذ ورئيس قسم التاريخ  
كلية التربية . جامعة القاهرة

## هوامش المقدمة

- ١ - عن تفاصيل هذه المؤلفات وموضوعاتها انظر : سلافة النديم في منتخبات السيد عبد الله النديم ج ١ القاهرة - مطبعة هندية ١٩١٤ ص ٢٠ .
- ٢ - أحمد تيمور: تراجم اعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر القاهرة ١٩٤٠ ص ٢٠
- ٣ - الاستاذ: العدد الرابع عشر في ٢٢ نوفمبر ١٨٩٢ ص ٣٢٠ تحت عنوان «باب الانشاء والمآثر»
- ٤ - نفسه .
- ٥ - عبد الله النديم : كان ويكون ج ١ . القاهرة - مطبعة المحروسة ص ٢٠٥ تحت عنوان «الجواب بعد العنوان» .
- ٦ - عبد الله النديم : المصدر السابق ص ٦
- ٧ - نفسه
- ٨ - علي الحديدي : عبد الله النديم خطيب الوطنية . القاهرة نسللة اعلام العرب ص ٢٥٤
- ٩ - كان ويكون ح ١ ص ١٢
- ١٠ - عن نص الخطاب انظر :
- كان ويكون ح ١ ص ١٣
- ١٢ - نفسه ص ١٤
- ١٣ - نفسه ص ١٤
- ١٣ - علي الحديدي المرجع السابق ص ٢٥٧
- ١٤ - كان ويكون ص ١٥
- ١٥ - علي الحديدي : المرجع السابق ص ٢٥٨
- ١٦ - كان ويكون ص ١٥
- ١٧ - اختصر ذلك اثناء الكتابه فاصبح حرف غ يدل على الفرنسي واصبح حرف ش يدل على النديم .
- ١٨ - كان ويكون ص ١٦
- ١٩ - نفسه
- ٢٠ - نفسه ص ١٧



- ٢١ - نفسه ص ١٥
- ٢٢ - اشار إليه النديم في مكاناته بحرفي «سع» وهما كما هو واضح نصف اسمه ، كما أشار إلى زوجة الفرنسي بالحرف «س» اختصار لكلمة ست  
انظر محافظ مجلس الوزراء - نظارة الداخلية - محفظة رقم ٢٢  
محضر استجواب النديم
- ٢٣ - كان ويكون ص ٢٠
- ٢٤ - كان ويكون ص ٥
- ٢٥ - نفسه ص ١٠
- ٢٦ - نفسه
- ٢٧ - كان ويكون ص ٢١
- ٢٨ - نفسه ص ٢٢
- ٢٩ - نفسه ص ٢٧
- ٣٠ - كان ويكون ص ٢٧
- ٣١ - نفسه ص ٣٠
- ٣٢ - نفسه ص ٣١
- ٣٣ - نفسه ص ٤٩
- ٣٤ - كان ويكون ص ١٢٥
- ٣٥ - نفسه ص ١٩٤ وما بعدها
- ٣٥ مكرر - نفسه ص ٢٢٠ - ٢٢١
- ٣٦ - كان ويكون ص ٢٦
- ٣٧ - نفسه ص ٧٠
- ٣٨ - نفسه ص ٧١ - ٧٢
- ٣٩ - نفسه ص ٧٢
- ٤٠ - نفسه ص ٥٦ - ٥٨
- ٤١ - كان ويكون ص ٢٠٣
- ٤٢ - نفسه ص ٢٠٨
- ٤٣ - سلافة النديم ص ٢٣
- ٤٤ - عبد المنعم الجميعي : عهد الله النديم ودوره في الحركة السياسية والاجتماعية . القاهرة -  
دار الكتاب الجامعي ١٩٨٠ ص ١٥٤ - ١٥٥
- ٤٥ - انظر كان ويكون ص ٧١ - ٧٢
- ٤٦ - كان ويكون ص ١١٤

- ٤٧ - نفسه ص ٢٠١ .
- ٤٨ - نشرته الأنجلو المصرية عام ١٩٥٦ .
- ٤٩ - محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ح ١ القاهرة - النهضة المصرية ١٩٥٢ ص ١٢
- ٥٠ - عبد المنعم الجميى : الثورة العرابية . بحوث ودراسات وثائقية القاهرة - دار الكتاب الجامعى ١٩٨٢ ص ١٩٣ - ١٩٤



## ثبت المصادر والمراجع

أولاً : وثائق غير منشورة

دار الوثائق القومية بالقلعة :

محافظ مجلس الوزراء . نظارة الدخيلة محفظة ٢٢ محضر استجواب  
عبد الله النديم .

ثانياً المصادر والمراجع

١ - احمد تيمور : تراجم اعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر ،  
القاهرة ١٩٤٠ .

٢ - عبد الفتاح نديم : سلافة النديم في منتخبات السيد عبد الله النديم  
الجزء أول . القاهرة - مطبعة هندية ١٩١٤

٣ - عبد الله النديم : كان ويكون . الجزء الأول القاهرة - مطبعة  
المحرسة ١٨٩٢ .

٤ - عبد المنعم الجميى :

أ - الثورة العربية بحوث دراسات . القاهرة ١٩٨٢ .

ب - عبد الله النديم ودوره في الحركة السياسية والاجتماعية  
القاهرة - ١٩٨٠

٥ - على الحديدى : عبد الله النديم خطيب الوطنية . القاهرة سلسلة  
اعلام العرب د . ت .

٦ - محمد أحمد خلف الله : عبد الله النديم ومذكراته السياسية القاهرة -  
الانجلو المصرية ١٩٥٦ .

٧ - محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية الجزء  
الاول القاهرة - النهضة المصرية ١٩٥٢ .

ثالثا الدوريات

مجلة الاستاذ نوفمبر ١٨٩٢

